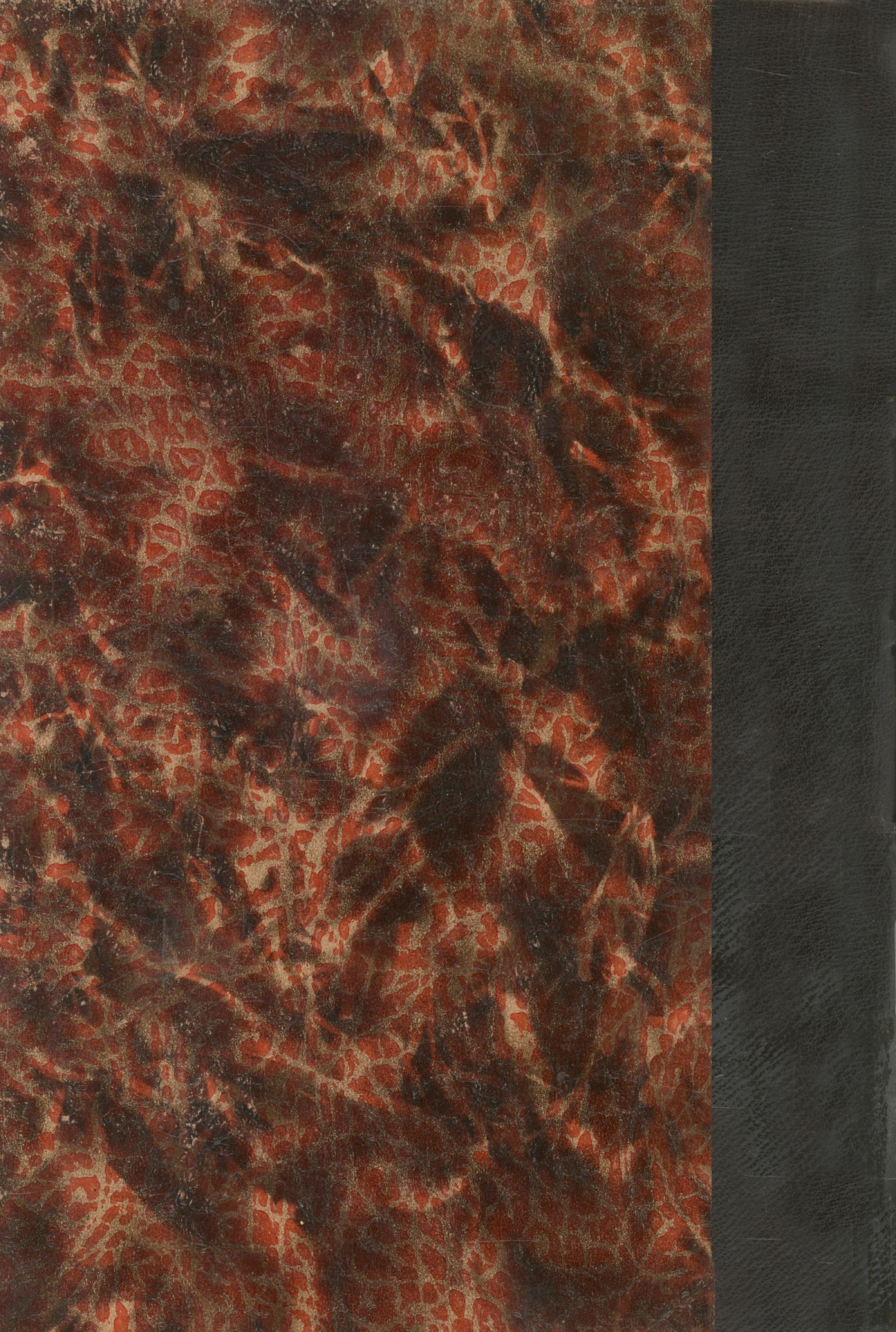
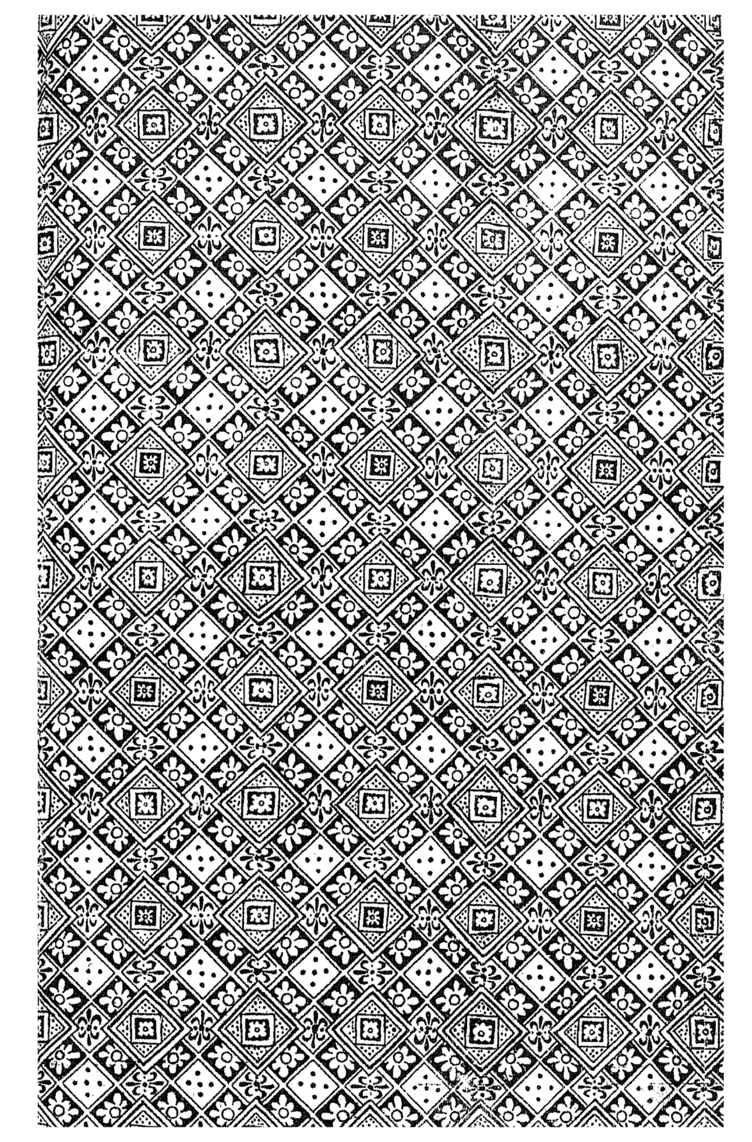
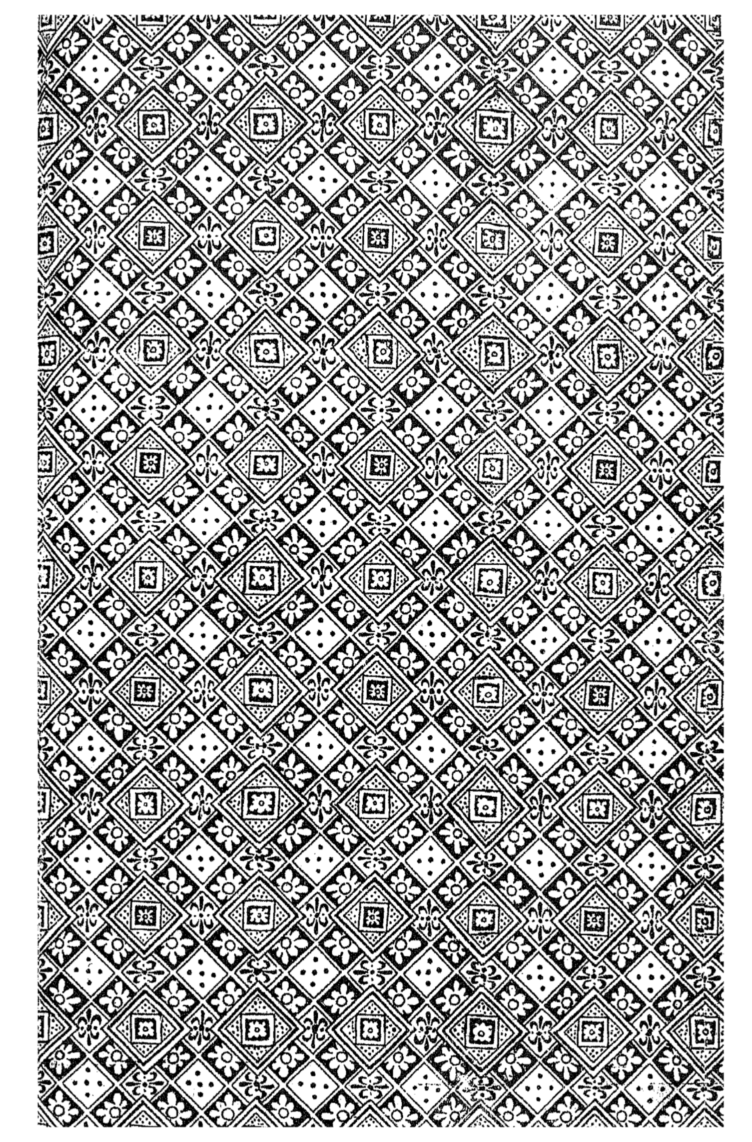








تأليف الاستاذ

أمين بقطر

سكرتير الجامعة الاميركية

(خريج جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك)

(وحائز لدرجة M. A.)

عني بنشره

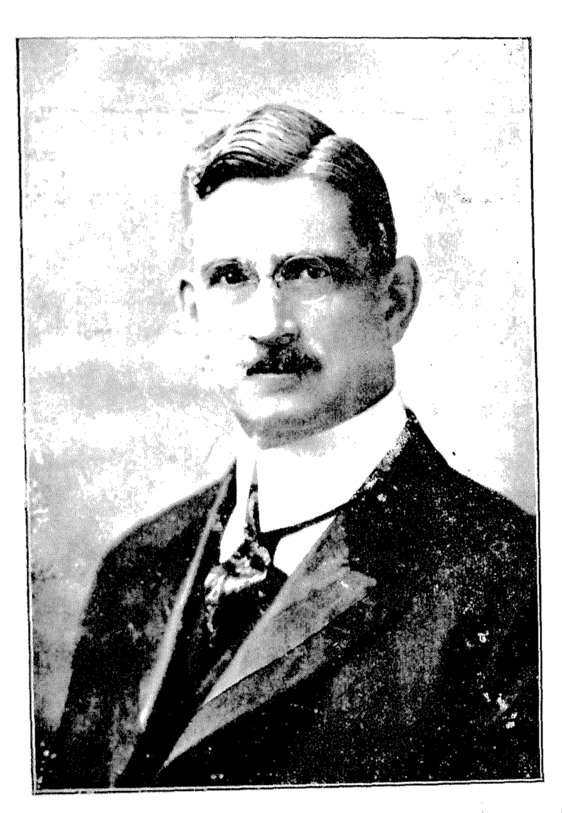
الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

بشارع الخليج الناصرى بالفجالة بمصر

عنوان الخطابات البريدية
الياس انطون الياس
صاحب المطبعة العصرية
(صندوق البريد رقم ٩٥٤ — مصر)
وباللغة الافرنكية :— Mr. Elias A Elias
P. O. Box 954,
Cairo. Egypt.



سيدي الاستاذ دكتور روبرت مكلانهن

مدير كلية الآداب والعلوم للجامعة الاميريكية بالقاهرة

اعترافاً بما لكم من المكانة السامية في قلوب الألوف من الشبيبة المصرية عامة ، وما تركتموه من الأثر الحسن في تكوين حياتي خاصـة ، وما الهمتموني اياه من الآراء السديدة ، والافكار الناضجة الحديثة ، اقدّم كتابي هذا عن اميركا ، بلدكم الجميل المحبوب ، مهـد الحرية ، ومهبط الديموقراطية ؟

امير بقطر

(مقابل صفحة ٣)

كلمة تمهيدية

لم تكن المرحلة القصيره التى قضيتهـا من حياتى فى ولايات امريكا المتحدة ، كغيرها من مراحل الحياة ، فقد كانت كلها سلسلة متصلة حلقاتها من افكار حديثة ومبتكرات شائقة ومفاجآت مدهشة ومشاهد أنيقة بديعة وحوادث مفعمة ومستطرفات اقرب الى الاحلام منها الى الحقيقة

كنت كلما أتوغل فى ارجاء ذلك المغترب النائى واتغلغل فى احشائه ، بين جامعاته وكلياته ، ومعامله الصناعيـة الزاخرة ، ومخازنه التجارية الزاهرة – بناياته الشامخة ، وحقوله المخضّرة ، واشجاره الظليلة الوارقة ، وكلما كنت أقرب الى مبادئه الديموقراطية وأُستدنى من معانى الحرية والمساواة وميادين العمل فيه ، كنت أشعر ان طريقاً لا نهاية له ينفسح أمامى وان غمامة فى ذهني – كنت لا أشعر من قبل بوجودها – تنقشع عن سماء فيه كما تنقشع حاشية الدجى عن بياض الصباح .

لن يغيب عن ذاكرتى ذلك اليوم الذى رحلت فيه عن تلك البلاد الجميلة ، مهد المدنية الحديثة وسيّدة العـالم بأسرهِ . أذكر ذلك الصباح الرهيب والباخرة تتحرك من ميناء نيو يورك ببطء وتؤدة وكأنها تتمزّقُ منها تمزّقاً وتسلّخ فى انفصالها عن الرصيف تسلّخاً ، وانظار المودعين تشيعنا ومناديلهم تخفق نحونا . و بنايات نيو يورك الذاهبة فى جوف الفضاء تزداد ظهوراً و بداعة كلما ابتعدنا عن الشاطىء ، وقد اسدل الضباب عليها استاره فخيّلَ لى أنها فاتنة حسناء رفعت أزارها من خلفها واسبلته على وجهها ضناً منها أن يسدّد اليها الراحلون الحسَّد سهامهم . وما لبث ان اختفى مشهد المدينه وراء الأفق فعفا عن انظارنا كل شيء ودرس كل أثر . وجلس كل ينظر حوله فلا يرى ألا زرقة السماء المشوبة بالغيوم المتقطعة تختلط بزرقة الماء

العميقة يعلوها زبد الامواج المتلاطمة . ولا بد أن ذلك الانتقال الفجائى السريع من أرجاء امريكا العامرة الى خلوة الأوقيانوس الموحشة هزّ عواطف المسافرين وحرّك فى سويداء القلوب اشجانهم ، فقد رأيت البعض فى البهو الكبير جالسين على مقاعد منعزلة ذات مساند مرتفعة ويخيل للناظر أنهم كانوا يطيلون النظر الى نقطة فى الفضاء معينة والحقيقة أنهم كانوا مطرقين مستغرقين فى أفكارهم . وشاهدت آخرين جالسين الى مناضد عديدة أعدت للكتابة ، يسطرون الى أصدقائهم ما يجيش فى صدورهم من الخواطر

وأى وحى ينزل على اصحابه فى غير اوقات الوحدة عقب ساعات الفراق ، وأية عاطفة لا تهتز لمثل هـذا الموقف فتوحى الى اليراع بما تكنّه الأفئدة وتدون على القرطاس ما تفيض بهِ ينابيع المشاعِر

*
* *

وقد عاهدت نفسي فى تلك الخلوة المحزنة والوحشة الغريبة أن أنقل الى مواطنى الأعزاء شيئاً عن مدنية تلك البلاد الجيلة ، وقد كنت دوّنت أثناء اقامتى فيها شيئاً مما كنت أشاهده عدا المذكرات العلميـة التى حرصت عليها فى خلال الفترة التى قضيتها فى جامعة كلومبيا بمدينة نيو يورك والجامعات والكليات الأخرى التى هيأت لى الفرص زيارتها

وقد تمّ لى بعض ما صمّمت عليه فتحققت بعض احلامى فنشرت فى الصحف والمجلات ما نشرت والقيت من المحاضرات ما ألقيت وأعددت من الموضوعات ما أعددت حتى شجّعنى الكثيرون من الاصدقاء والأدباء ان اجمع من هذا كتاباً فقمت بما أقدّمه للقراء اليوم وانا سعيد مغتبط – رغم اعترافى بالعجز والتقصير – وكم يتضاعف اغتباطى لو وجدت من القراء الكرام تلبية لندائى وهو أن يزور ذلك العالم الجديد من استطاع اليه سبيلاً . فما ذكرت عنه فى كتابى لا يوازى ثمداً من قطر أو وشلاً من بحر

أعلم أن الـكثيرين من مواطنى الأعزاء قد زاروا اوروبا فاكتفوا بها ظنًا منهم أن العالم الجديد لا يختلف فى شىء عنها . وهذا مخالف للواقع ،فقد زرت جميع ممالك اوروبا تقريبًا بعد عودتى من امريكا فى صيفين متواليين ، فوجدت فرقًا هائلاً بين امريكا واوروبا.فوسائل الراحة فى الاولى اكثر توفراً ، وميادين الحياة أوسع ، وفسحة العمل اكبر ، ودائرة التفكير والعلم والاختبار اكثر مرونة ، ومظاهر المدنية أعم وأظهر

ولا أظن أن من يشاهد تلك البقعة من الـكرة الارضية يومًا لا يود أن يعود مرّة أخرى ، فما زالت أيامها الجميلة ، وذكرياتها الحلوة ، تمثل أمامى كعروس من الثلج النقىّ الناصع البياض ، كفّنتها محاسن الصدف ، وطلعت عليها شمس الضحى فذابت ، وكوردة من ازاهر الربيع قطفت فى الصباح ، وفى المساء ذوت

تلك الذكريات عينها كانت تختلج فؤادى على ظهر الباخرة وهى تشق عباب البحر قبـــل وصولها شواطىء انجلترا بايّام ، وموسيقاها تعزف بانغامها الشجيّة وسط رقص الراقصين ولعب اللاعبين وصمت الصامتين

واذا رجعت بالقارىء إلى الباخرة أقول أنها اخذت قبيل وصولها تنشط فى سيرها وأنشأت تمخر مياه الاوقيانوس . وكلما غابت شمس يوم كانت تبرق اسرّتى فرحًا بدنوّى من مصر العزيزة

بلادى التى أهلى بها وأحبتى   وقلبى وروحى والمُنى والخواطر

وقد ذكرنى هذا الانتقال السريع من أسف ولوعة على ما تركت ورائى ، الى جذلٍ وحبور لما كنت انتظر أمامى ، بجواب فتاة يابانية كانت زميلةلى فى الجامعة على سؤال وجهه اليها أحد الطلبة فى جامعة أخرى عقب خطبة ضافية ألقتها على جمهور من النساء والرجال ، قال الطالب — أيهما أحب اليكِ امريكا أم اليابان — فأجابت الفتاة بغير تردّد

« أحب امريكا كخطيبى ، ولـكننى أحب اليابان كأمىّ »

أمير بقطر

تمثال الحرية

من فرنسا الى اميركا

أنشودة الحرية أعذب ما يتغنى به المهاجرون الى العالم الجديد . تحمل السفن يوميًا من شواطىء أوروبا الوفًا من عشاق الحرية وتمخُر بهم عباب المحيط الاطلسي بأمواجه الشاهقة المتلاطمة وهم يتجشَّمون مخاطر السفر والتغرب عن الاوطان بغيةً في الحرية . يبيعون متاعهم ويفترقون عن احبائهم وينزحون بأطفالهم ونسائهم حبًا في الحرية . على ظهور تلك البواخر الضخمة يجتمعون الوفًا من كل امم اوروبا وينشدون في دجى الليل الحان الحرية تشق كبد السماء . ومتى عزفت موسيقى الباخرة اهتزت لها الافئدة ، ورقص الرُّكبُ ازواجًا على نغماتها ، وبلغ الحماس أشدَّه حبًا في الحرية .

وما تكاد أيام السفر الجميلة تنقضي حتى يعلِنَ ربّان الباخرة المسافرين عن موعد وصولها مرفأ نيويورك ، ضالتهم المنشودة ، فيتهافت الجميع على قراءة لوحة الاعلانات وما يعلق عليها من آونة الى اخرى . ويقيم ربان السفينة في الليلة الأخيرة حفلة وداعية راقصة ، يوزع فيها على الركاب كتبًا متقنة الطبع مزدانة بالصور مُدَوَّنًا فيها اسماء المسافرين وقد يبلغ عددهم اكثر من ثلاثة آلاف ، فضلاً عن الهدايا والتحف والقبعات الورقية الملوّنة التي يعطى لكل مسافر منها واحدة . وما يكاد يتفتح الافق وتبرز الغزالة من خدرها حتى يوزع آخر عدد من جريدة السفينة وفيه يودع الربان المسافرين بكلمات رقيقة ويرجو لهم في بلاد الحرية طيب الأقامة . وقبل ان تصل الباخرة المرفأ ببضع ساعات تحلّق طيارة فوق سمائهــا قادمة من نيويورك ثم تقذف على سطح السفينة الوفًا من جرائد الصباح الأمريكية فيلتقطونها بشغف ويتنسمون من خلال سطورها أخبار الحرية .

وعلى بعد ثلاثة أميال من مرفأ نيويورك يظهر تمثال الحرية فتتطاول اليه الاعناق وتغرورق العيون بدموع الفرح ، وتشاهد تلك الشعلة المتقدة المنبعثة من اكبر تمثال



(تمثال الحرية القائم فى جزيرة بدلو على بعد ميل وربع من مرفأ نيويورك)

(مقابل صفحة ٦)

من نوعه يطل على العالم الجديد فيرسل الى كل فرد من سكانه شعاعًا قويًا من نور الحرية

ولما كانت حكاية هذا التمثال الذى أهدته جمهورية فرنسا لصديقتها الولايات المتحدة طلية جميلة رأيت أن ادونها هنا بتفصيل موجز اتمامًا للفائدة

حدث منذ اكثر من ستين عامًا أن المسيو لا بولاى أحد كبار الساسة الفرنسيس أقام وليمة شائقة فى قصره المنيف على مقربة من فرساى دعا اليها اقطاب السياسة زملاءه . وكان البحث فى خلال العشاء يدور حول الصداقة الدولية وكان تيار الافكار موجهًا الى ان المودَّة بين الدول عبارة لا وجود لها الا فى عالم الخيال . غير أن رب الدار كان فى بحر المناقشة السابح الوحيد ضد التيار . وقد أبان لضيوفه كيف أن عاطفة الحب بين الدول تكون حقيقة لا خيالاً متى اشتركت تلك الدول فى عمل معين واحد ، وخاضت غمار بحر واحد ، أو بعبارة أوضح متى كانت امانيها واحدة . وضرب لهم ولايات امريكا المتحدة مثلاً ، واشار الى مواطنيه الفرنسيس الذين حاربوا مع الامريكان جنبًا الى جنب توصلا لنيل الاستقلال وسفكوا دماءهم حبًا فى حرية امريكا وغادروا فرنسا رغم ارادة الحكومة الفرنسية لهذا الغرض . وما تولدت فيهم تلك العاطفة الا لِما شاهدوه من وجه الشبه بين مبادىء الثورة فى فرنسا ومثلها فى امريكا —

وكان المسيو برتولدى بين الذين اختمرت فى أذهانهم الفكرة التى أبداها لابولاى . ولما اشتبكت فرنسا فى حرب السبعين مع المانيا كان برتولدى ضمن المحاربين وكان الجنود يتحدثون احيانًا عن امريكا فيزداد هو شغفًا بها واعجابًا بأهلها . ولما وضعت الحرب أوزارها وخرجت منها فرنسا ذليلة الجانب مكسورة الجناح وضمَّت بلاده العزيزة ولاية الزاس الى المانيا عدل عن العودة الى وطنه ولم يشأ ان يسكن باريس بعد ان مثلت بها الحرب الأهلية أشنع تمثيل ، فعقد النية على ركوب متن البحار وشد رحاله الى امريكا .

وعرَّج قبيل الرحيل على صديقه المسيو لابولاى فألفى عنده لافايت وغيره من سلالة الفرنسيس الاماجد الذين اشتركوا فى حرب الثورة الامريكية . هناك

وجدوا الفرصة سانحة للتحدث عن اميركا وما قامت به من الخدم الجليلة والاعانات التى بعثت بها الى فرنسا بعد حصار باريس . وأدت المحادثة الى الاتفاق مع برتولدى على توليته وجهه شطر امريكا ودرس احوالها واخراج ما تتركه من الاثر فى نفسه الى حيّز العمل حتى يرجع بعد ذلك للتفكير فى صنع تمثال يخلّد فى التاريخ اكبر ذكرى لدعامة الصداقة المتينة بين البلدين ويقف فى وسط البحر شامخاً بين القارتين رمزاً للحرية .

أقلعت السفينة بالمثّال الغنى برتولدى وقلبه يخفق لذكرى الحريّة وذهنه مشبّع بما سمعت أذناه . وكانت الأسفار فى تلك الأيام شاقة طويلة واخطار البحار كثيرة محدقة ، ولكنّه سافر رابط الجأش جذل النفس شديد الأيمان راسخ العقيدة بنجاحه . ومتى كانت مطامح الشجعان جساماً هانت فى سبيلها المصاعب . ولما ان اقتربت السفينة من مرفأ نيويورك هبت عليها نسمة خفيفة باردة فذاق برتولدى طعم الحريّة الامريكية لأول مرة فانتعش بَدَنُه وطرب فؤاده . وما كادت ترسو السفينة حتى شاقَهُ مرفأ نيويورك ومنظر بروكلن وجريزى والنهيرات المنسابة من ذلك المكان الى قلب القارة الامريكية . وساعد ذلك المشهد البديع على تقوية الخيال عنده فجادت قريحته ورسم فى مخيلته صورة لتمثال الحريّة المزمع صنعه فريدة فى بابها . وصاح لنفسه والحماس يلتهب فيه التهاباً ، هنا يجب ان يشيّد اكبر تمثال يليق بأمّة كامريكا تغلو فى مرجلها أضخم الاعمال والمشروعات ، وتستعر فى أتونها نار الحياة قوية فعّالة — هنا يجب أقامة تمثال الحريّة ليبعث بنوره الى العالمين !

وقبل أن تتحقق أحلامه أراد أن يغادر نيويورك متجولاً فى ارجاء امريكا الفسيحة حتى يكون أثرها فى نفسه خالداً . فأتمّ رحلته فى خمسة أشهر ثم أقفل راجعاً الى فرنسا ليخرج فكرته الى حيز العمل . وكان فى انتظاره صديقه لابولاى مع بعض الساسة الذين يهمّهم أمر التمثال . هناك أبرز رسم المشروع وقدر الحاضرون ما يجب أن يكتتب به مبدئياً بمليون فرنك . فكتبت ديباجة لقائمة الاشتراك موقعاً عليها من لابولاى ، وهذه صورتها :

« تخليداً للصداقة التى وطدت دعائمها دماء أريقت فى سبيل الحرية عقدنا النيّة

على اهداء اميركا تمثالاً للحرية يكتتب لتشييده البلدان . فالى جميع القلوب التى تشعر بهذه الصداقة وهذا الحبّ الوطنى نبعث بهذا النداء » فوزعت قوائم الاكتتاب وأقيمت الحفلات والمعارض ووضع جوفود مؤلف اوبرا فوست الشهيرة نشيداً مؤثراً لتمثال الحرية وقعت ألحانهُ فى اوبرا باريس وأنشده فطاحل المغنّيين والمغنيات فى جميع حفلاتها . وكان يوم ٦ نوفمبر سنة ١٨٧٥ فاتحة العمل ، فاحتشد جمع كبير من رجال الفنّ وكبار القوم فى فندق اللوفر فى باريس وأقاموا وليمة فاخرة . ثم عرض على الحاضرين نموذج حقيقى ليد التمثال اليمنى وتقرر ارساله الى فيلادلفيا حتى يشاهد الامريكان عظمة الهدية التى تنوى فرنسا أن تبعث بها اليها . وفعلاً وضعت يد التمثال فى معرض فيلادلفيا الذى أقيم سنة ١٨٧٦ وكان طولها خمسة أمتار وطول الأصبع السبابة فقط مترين ونصف متر تقريباً

وفى الوقت نفسه أخذ الامريكان يمهدون السبيل لأقامة التمثال، فاجتمع ثلاثمائة من المفكرين فى نيويورك وقرروا الاكتتاب بمبلغ ٣٠٠ الف ريال لتشييد القاعدة التى يمكن وضع تلك الكتل السميكة التى يتركب منها التمثال عليها . كما أنهم طلبوا من حكومة وشنطون اجازة باقامته وفعلاً أجازت الحكومة ذلك وعينت قائداً حربياً لمعاينة المكان وعين الجنرال « ستون » كبيراً للمهندسين . ومما يجدر بالذكر ان الجنرال ستون فضلاً عن أنه من اكبر قوّاد الحرب الاهليـة فانّه خدم سنوات عديدة فى الجيش المصرى مديراً لمصلحة الاشغال العمومية ومفتشاً عامًّا للمدارس الحربية

نعود بالقارىء الى باريس — هناك نجد الفنّي الكبير برتولدى يواصل ليله بنهاره فى صنع التمثال وقد وضع الرسم وضعاً محكماً وجعل ارتفاع التمثال ستة واربعين متراً تقريباً بغير القاعدة واثنين وتسعين متراً بها . وصنع نموذجاً للتمثال جزءاً من ستة عشر جزءاً من الحجم الأصلى حتى يتمكن الصنّاع من عمل المقاييس اللازمة للتمثال قبل البدء فى صنعه ، لانه من المعلوم ان تمثالاً بهذا الحجم يجب أن يجزأ العمل فيه ويقسم الى قطع صغيرة محكمة الصنع دقيقة المقاييس ثم توضع هذه كلها معاً فى المكان التى تقام عليه . ولا أريد أن أشرح للقارىء مساحة المكان الكبير الذى نصبت

فيه الاسلاك الحديدية وركبت عليه الاخشاب ، وما استعملت فيه من أدوات وأيد عاملة ، بل يكفى أن اقول أن التمثال صنع أخيراً من صفائح من النحاس سمكها ثلاثة أجزاء من ستة عشر جزءاً من البوصة وزنها مئة طن

وفى ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ دعى الوزير المفوض لولايات اميركا المتحدة فى فرنسا لوضع أول قطعة من الأجزاء التى يتركب منهـا التمثال والقاعدة حتى يشاهد الشعب الفرنسى عظمة التمثال وضخامته وجمال صنعه ، و بلغ من اهتمام الجمهور أن عدد الذين تزاحموا لمشاهدته كان مئتى الف نفس

واذا رجعت بالقارىء الى نيو يورك أجد جريدة الورلد منهمكة فى جمع ما بقى من المبلغ الذى تقرّر الاكتتاب به وقد تبرعت الجريدة المشار اليها بمبلغ ٢٥ الف ريال ونشرت الدعوى فى طول الولايات وعرضها وطلبت ان يكتتب المتبرعون بمبالغ ضئيلة جداً حتى يكون العمل وطنياً بالمعنى الصحيح . فبلغ عدد المكتتبين للقسط الأخير فقط مائة الف نفس وكان ما يكتتب به من عشر سنتات (غرشين) فما فوق

وفى يوم ٤ يولية سنة ١٨٨٤ قدم المسيو دى ليسبس التمثال رسمياً لوزير اميركا المفوض فى باريس وفى ٢١ مايو انتهت اللجنة من شحن أجزاء التمثال فى مئتى صندوق وعشرة صناديق كبيرة وفى اليوم عينه أبحرت السفينة «ازير» بأكبر هدية دولية وقد ودعها على الشاطىء أكابر الفرنسيس والجنود الحربية والبحرية وموسيقاها باحتفال لم يسبق له فى تاريخ الامم مثيل

وكان الامريكان يعدون الساعات واحدة فواحدة انتظاراً للسفينة ازير ، ولم يكن فى ذلك الحين لاسلكى ينبئهم بمكانها اولاً فأولا ، غير أنه لم تشرق شمس يوم ١٧ يونية حتى اهتزت الاسلاك البرقية بوصول العروس الباريسية . وقبل وصول الباخرة الى المرفأ قابلها فى عرض البحر فى زورق بخارى أحد كبار رجال البحرية الامريكية نيابة عن رجال بحريته وتبعه الجنرال ستون الذى سبق الاشارة اليه وآخرون من العظماء . فاستقبلهم على ظهر الباخرة ربان السفينة الكبتن لسبناس مندوباً عن الحكومة الفرنسية وقدم لهم رقعة من الجلد بعد أن قرأ ما فيها كما يأتى :

« أتشرف بصفتي نائباً عن الحكومة الفرنسية التي قلدني رئيس جمهوريتها الشرف لأكون مندوبها، أن أنقل من حراستي تمثال الحرية الذي يسر فرنسا أن تهديه لصديقتها أمريكا لانارة العالم » .

فمدّ يده الجنرال ستون وقبل الرقعة الرسمية وأجاب الربان مندوب فرنسا بما يأتي :-

« أتقبَّل هذه الوثيقة بصفتي نائباً عن لجنة تمثال الحرية . و بصفتي الشخصية لا أستطيع أعبّر عن الشعور الذي سرى في جسمي لتحملي مسئولية هذه الرقعة التاريخية و بصفتي مندوباً عن الشعب الامريكي أستطيع أن أقول أنه لم يسبق في تاريخ الأمم أن مملكة عظيمة أهدت مملكة أخرى شيئاً أثمن أو أدل على الصداقة من هذا . وانني سأترك لمن هم أكبر مني مقاماً أمر قبول تمثال الحرية لانارة العالم »

وقبل أن تقام الولائم والحفلات التي قامت لها أمريكا وقعدت قصد عدد من كبار الامريكان ربان السفينة في غرفة الاستراحة الخصوصية ودعوه رسمياً مع حاشيته لتكريمه، وشربوا في الباخرة نخبه . ويذكر الملمون بتاريخ هذا التمثال أن أحد الحضور كان يملأ كأساً بالشمبانيا ، ويشرب نخب فرنسا بكل حماس وفرح ، فوضع الكأس على المائدة وتحطم وتناثرت نقط الشمبانيا على ملابس الحاضرين كالبلور الذائب فهاج الجميع طرباً واتقد فيهم الحماس وهم ينادون بحياة المملكتين .

ولست أريد أن أصف ما زال يذكره سكان نيويورك وما دونوه في كتبهم عن مظاهر الحفاوة التي قام بها الامريكان من أسطول وجنود وأعلام ونظّارة من جميع طبقات الامة ، غير أن شهود العيان يقولون أن تفريغ الصناديق من محتوياتها فوق الجزيرة الصغيرة التي تقرر بناء التمثال عليها كان يقابل من الأهالي بالنشيد الوطني الفرنسي « المارسلييز » الذي اشترك فيه مئات الالوف من الأهالي في الماء (حول التمثال) واليابسة وكان الحماس بالغاً أشده

والتمثال كما هو اليوم كعبة السياح والأجانب القاصدين الى أمريكا . فهناك بواخر وزوارق في رواح ومجيء مستمرين بين التمثال والشاطيء . وهيهات أن يزوره الانسان دون أن يشاهد نفراً من الأجانب والاهالي منتشرين في تلك الجزيرة .

فنهم من يحادث الجنود المرابضة هناك فى أمر المدافع الحربية وثكنات الجيش ومنهم من يبتاع التحف والتماثيـل والصور تذكاراً للتمثال ومنهم من يتناول المرطبات فى الاماكن المعدّة لها وغيرهم يأخذون الصاعد الكهربائى للوصول الى قمة القاعدة ومنها يصعدون بواسطة السلم الحلزونى المشاد داخل التمثال حتى يصلوا الى نهايته . واذكر ان معظم الناس يشعرون بتعب شديد فى صعود السـلم لأنه ضيق كثير التعرجات حاد المنحنيات . وعند بلوغ رأس التمثال يستطيع اكثر من عشرة أنفس أن يقفوا معًا فى الرأس نفسه ،ومنه يطلون على يد التمثال اليمني والمصباح الكهربائي العظيم الذى تقبض عليه بها

ورمز الحرية كالمعتاد ،وكما يظهر من الصورة المنشورة فى غير هذا المكان ،سيدة ذات ثوب فضفاض تنبعث من الشعلة التى بيدها خيوط ذهبية من نور الحرية فتذكّر أهل أمريكا والقادمين اليها على الدوام «بالحرية والاخاء والمساواة» أو بعبارة الديموقراطية التى أفَضْتُ فى مبادئها فى فصل آخر من هذا الكتاب .

وليس هناك مكان على وجه المعمورة كتمثال الحرية فى أمريكا تتجسم فيه أمامك الحرية بأتمّ معانيهـا . هناك وأنت تنظر الى البحر الأطلسي العجاج من ورائك ومبانى نيويورك الصاعدة فى السماء أمامك تمر بخيلتك .صورة متحركة يرجع تاريخها الى بعيد اكتشاف العالم الجديد . فيهـا تري السفن الشراعية تنقل بين الأمواج المزبدة العجاجة أسراً بأكملها من أوربا وما بها من عسف وجور واستبداد الى الارض الجديدة حيث الحرية تنشر ألويتهـا خفاقة . فيها ترى البواخر التى لم يشاهد العالم اكثر منها ضخامة،ولا أشد عظمة وأبهة ،تحمل فوق ظهورها يوميًا ألوفًا من شعوب العالم القديم الى بلاد العجائب والمدهشات – بلاد الذهب والمال والعمل والتفكير – نعيم الحرية وجنة الحياة ؟



(اطفال اسكوتلانديون في جزيرة ألس ينتظرون السماح لهم)
(بدخول امريكا لاتخاذها موطنا لهم)

(مقابل صفحة ١٣)

جزيرة اليس

ان الأزمات المالية الشديدة التي استحكمت حلقاتها في جميع ممالك اوروبا منذ اضطرمت نيران الحرب العظمى دفعت الملايين من سكانها وسكان آسيا وبعض بلدان افريقيا الى النزوح عن أوطانهم والمهاجرة الى بلاد المال والذهب والثروة — ولايات امريكا المتحدة . وقد ذاع صيتها في الآفاق وعلم الناس في قاصي الارض ودانيها انها البلاد الوحيدة التي تتحقق فيها المبادىء الديموقراطية الصحيحة ويقدم فيها مجال المطامح الجسيمة وتخلق الثروة من العدم وتطول حبل الامل الى ما لا نهاية له . فقد كتب أحد العمال السذج الى أهــله بعد أن نزح عن وطنه ارلندا واتخذ امريكا له مسكناً ، هذه العبارة :

ان الناس هنا متساوون في كل شيء وكل امرىء في هذه البلاد سعيد كجاره — ان لم يكن أسعد منه بقليل .

وليس المال وحده هو الذي يجذب اولئك المهاجرين الى تلك البقع النائية من الكرة الارضية . فكثيرون من الذين يأبون الضيم ويأنفون الذل يقصدونها طلباً في الحرية كما فَعَلَ الكثيرون من سكان روسيا بعد ان فتكت بهم البلشفية وقتلتهم مبادىء لينين وتروتسكي

ولا غرابة اذا أخذ تيار المهاجرة يتدفق كالسيل من قمم الجبال الشاهقة وهجمت على ولايات امريكا المتحدة جيوش جرارة من النرويج والسويد وهولندا ودانمرقة وارلندا وجميع ممالك اوروبا وآسيا وافريقا وجزرها المدونة في خريطة العالم . ولا غرابة اذا قام الامريكيون يطالبون حكومتهم بسن قوانين ووضع حد لتلك الجحافل حتى لا يدخل أرضهم من ضعفاء الابدان والعقول وسيئو الاخلاق ممن يشوهون سمعة بلادهم ويقضون على العنصر السكسوني الذي يفاخرون به . ومع صرامة تلك القوانين التي وضعها مجلس المهاجرين التابع لوزارة العمال فان عــدد الذين يقبلون

نهائيًا من النازحين الى أمريكا نصف مليون نفس بعد الفحص والتمحيص ورفض ضعف هذا العدد

يبيع أولئك القوم ما لديهم من عقار واثاث وحلى ويشدون رحالهم الى أمريكا مع نسائهم وأطفالهم متجشمين الاخطار ومتكبدين النفقات الطائلة ، عاقدين الخناصر على سكنى الدنيا الجديدة والدخول في حياة جديدة والتمتع بالحرية والافلات من الضوائق المالية والصعود الى قمة المجد ، ولسان حالهم قول الشاعر .

لا تسقنى ماء الحيـاة بذلة   بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل

والحكومة الامريكية لا تقبل سنويًا من كل مملكة الا عدداً معينًا .فالمصريون مثلاً الذين يباح لهم بدخول « أرض الموعد » لا يجب أن يتجاوزوا ثمانية عشر . يخرج من هذا العدد الطلبة الذين يقصدون العلم دون سواه ، وحتى نفهم كيفية تنفيذ قانون المهاجرة يجب أن نعرف شيئًا عن جزيرة أليس أو « منفى المهاجرين » وهى بيت القصيد فى هذا المقال

على بعد ثلاثة أميال من مرفأ نيويورك تهدأ سرعة البواخر الضخمة التى تمخر عباب المحيط الاطلسى قادمة من شواطىء أوربا . فيصعد اليهـا من زوارق بخارية تكون فى انتظارها عدد من موظفى حكومة أمريكا بينهم الاطباء ومفتشو مجلس المهاجرة حتى تعلو الركاب من غير الامريكيين منها صفرة ، اين منها صفرة الموت . وتخفق قلوبهم هلعًا لأنهم لا يدرون اذا كانوا يفلتون من أيدي أولئك الموظفين فيدخلون نيويورك أو يكلفون بالبقاء فى الباخرة ريثما تقلهم سفينة بخارية أخرى الى جزيرة اليس وهناك الموت الزؤام . أما الاطباء فمهمتهم البحث عن الامراض المعدية . خصوصًا الحبوب المزمنة فى العينين ، والبـله والأمراض العصبية . أما الموظفون الآخرون فمهمتهم أن يقرروا اكتمال العدد المحدد دخوله من مملكة معلومة فى شهر معلوم أو عدم اكتماله ، واستيفاء الاوراق والجوازات .

وصلت الباخرة التى أقلتنا من الهافر (بفرنسا) قبيل الغروب ميناء نيويورك . فنودى أولا على الرعايا الامريكيين لانهم طبعًا بعيدون عن هذه العقبات . ثم أخذ الباقون فرداً فرداً فحجز البعض لأن بهم أمراضًا معدية . وحجز رجل من بولندا

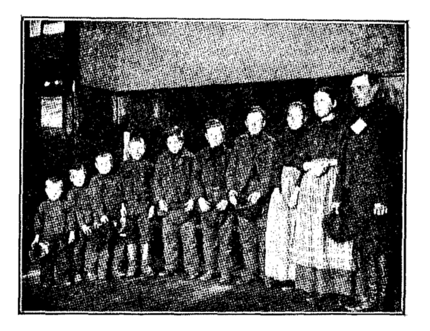
لأن ملامحه تدل على العته أو البله فاذا ما أذنوا له بالدخول فقد يتزوج في أمريكا ويولد له ولد معتوه مثله . وحجز آخرون لان العدد المحدد من بلادهم قد اكتمل . وحجز عدد كبير من فتيات من ممالك عديدة وعلى الاخص فرنسا والزاس ولورين والمانيا لأنه لا يوجد بأيديهن خطابات من أقاربهم أو أصدقائهم في أمريكا الذين يجب أن يتعهدوا بالمحافظة والوصاية عليهن حتى لا يعثن فى البلاد فساداً أو يهددن الأخلاق العامة أو بعبارة أوضح يتاجرن بأعراضهن . وكنت لسوء الحظ بين المحجوزين أيضًا مؤقتًا ريثما يتحققون من الجامعة التى كنت قاصداً الالتحاق بها ومن صحة الاوراق التي أحملها . ثم أذن المفتشون لمن تمت اجراءاتهم بدخول امريكا فنزلوا الى الشاطىء ، أما نحن فبتنا فى الباخرة ننتظر الصباح ونحن على أحر من الجمر . وما كادت تبزغ شمس الصباح حتى ساقونا كالاغنام الى باخرة اخرى اقلتنا الى تلك الجزيرة السحيقة المقفرة الموحشة على بعد ثلاثة أميال من نيويورك وتدعى جزيرة اليس — قاتلها الله .

رست الباخرة على صخرة عالية كاحدى صخور جبـل طارق . واذا بجزيرة اليس هذه قائمة عليها كسجن الباستيل . ويدور بها سياج متين من الاسلاك الشائكة له بابان كبيران أحدهما للداخلين والآخر فى نهاية الجزيرة للخارجين . وبينما كنا نسير وراء الموظفين الذين كانوا فى حراستنا متنقلين من دهليز الى سلم الى بهو الى ردهة ، كانت تجول بخواطرنا أفكار غريبة ونحن لم يسبق لنا عهد بتلك الاماكن الموحشة ولا ندري الى أين نحن ذاهبون . وبعد مسير عشر دقائق فتح لنا باب كان موصداً وامامه سـيدة ضخمة الجسم قبيحة المنظر فى حراسته . فأخذت تنظر الينا شذراً وتدفع بنا واحداً فواحداً الى الباب ومنه الى سلم ببضع درجات . وما كدنا نصل الدرجة الاخيرة من السلم حتى استولى علينا الذهول . هناك رأينا جيشًا من البؤساء من رجال واطفال ونساء من كل امه تحت الشمس ينطقون بلغات ولهجات تمثل جميع لغات العالم .

وكان عدد هذا الجيش في ذلك اليوم نيفًا وخمسة آلاف نسمة . وكان معظمهم وقوفًا حيارى لأن المقاعد محدودة والارض قذرة . وكثير منهم ثائرون وفى حالة

يعجز قلمى عن وصفها . وكان معنا سيدة مثرية أنيقة الملبس لها عقار طائل فى أمريكا وعاشت هناك عشرين عاما غير أنها رجعت فمكثت فى المانيا خمس سنوات ففقدت رعويتها وكادت تجن فى ذلك المنفى وأخذت تصيح وتتشاجر مع السيدات اللواتى كن فى حراستنا حتى حضرت سيدة أخري من كبيرات الموظفات تدل ملامحها على الحكمة والعطف . فاخذت تهدىء روعها ونحن ملتفون حولها حتى اكتشفت بعد البحث أن المكان الذى وضعنا فيه خاص بركاب الدرجة الثالثة فنقلنا فى الحال الى ربع آخر بفضل تلك الألمانية - غير أن المكان الذى نقلنا اليه والمعد لركاب الدرجتين الاولى والثانية أخذ قبل نهاية النهار أن يكتظ بالقادمين على البواخر العديدة التى تصل نيو يورك كل بضع دقائق - ومهما كانت الوسائل التى تتخذ لحفظ المكان نظيفاً فمن العبث أن يبقى كذلك وحركة الغادى والرائح مستمرة

جاء موعد تناول الطعام فساقونا الى قاعة المائدة وقد مدت مقاعد طويلة ووضع على المائدة اكوام من الزبدة والجبن واللحم والخبز . وليتصور القارىء منظر تلك المأكولات وطعمها وهى معدة لألوف من الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم فى وقت واحد . وكان معنا انجليزى وعروسه واسبانى وعروسه أيضاً وقد أجرا عقب اقترانهما مباشرة ، وكان منظر العروسين مؤلما وهما يذرفان الدمع سخينا على المائدة وهما لا يستطيعان أن يذوقا طعامها . والناس الذين مضى عليهم شهور فى تلك الجزيرة ينصحان لنا بالأكل لاننا لن نجد اليه سبيلا آخر . وقد كانوا محقين فى ما يقولون . ولسوء حظنا أن الباخرة التى أقلتنا كانت مشهورة بأنها تقدم أفخر الاطعمة لركابها وقد صرفنا عشرة أيام بين فرنسا وأمريكا نتنعم بأجمل الاطعمة وأجود الخمور ونصغى الى الموسيقى ونشاهد الروايات التمثيلية والصور المتحركة والرقص واللعب - فلا عجب اذا جاءت هذه المفاجأة فى جزيرة إليس كالصاعقة علينا كما كانت أيضاً كذلك عند معظم المسافرين . ولم تكد تجىء الساعة السادسة حتى أخرجونا من المكان الذى نحن فيه وفصلوا النساء عن الرجال وأخذونا الى ساحة مترامية الاطراف يحيط بأعلاها وجوانبها سياج من الحديد فكانت على اتساعها كقفص العصفور - أما الاسرة التى أعدت للنوم فشبيهة بأسرة البواخر . وينقسم السرير الواحد الى شطرين ينام واحد



(أسرة اوربية مكونة من رجل وزوجته وأولاده وجميعهم في)
(جزيرة ألس ينتظرون الاذن لهم بدخول امريكا)

(مقابل صفحة ١٧)

فى أعلاه والآخر فى أسفله . ويعطى لنا نصف ساعة للاستحمام وبعدها يكره الجميع على البقاء فى الأسرة والسكون . ويحرس الفراش حراس يتمشون من بدء الساحة الى نهايتها حتى يأتى وقت الصباح . وقبل شروق الشمس بنصف ساعة يضطروننا الى القيام والاستعداد لتناول طعام الافطار كاننا نتأهب لعمل هام

كم كنت متألما فى ذلك اليوم وكم كنت أريد الرجوع الى أوربا — نعم كنت أوثر العودة على البقاء يوما واحداً فى ذلك المنفى حتى تستوفى الاجراءات . غير أن آرائى تبدلت بعد دخولى أميركا . أولا لأن كل الصعاب تهون فى سبيل الاقامة فى أميركا ، بين جامعاتها العظيمة ومراكز العلم فيها ومشاهدة حياتها الاجتماعية ومبادئها الديموقراطية والعجائب والمدهشات . ثانياً لأن جزيرة أليس أو كما يسميها المهاجرون هناك الجزيرة الجهنمية الشيطانية ، من اكبر مدارس الاختبار فى العالم . كيف لا وفيها تجتمع الشعوب من كل امم الارض بغير استثناء . يجتمعون فى مكان شديد الزحام . فلا يسعك الا أن تحادثهم وتسمع شكواهم وترق لحالهم . وتعاشرهم عن قرب وتعلم غرضهم من المهاجرة وحالة بلادهم السياسية والاقتصادية وعاداتهم واخلاقهم . تستطيع أن تتزلف الى أى رجل وأية امرأة ولا جناح عليك ، فأى اختبارا كثر من ذلك

هناك تجد عائلات بجميع أفرادها ينتظرون الاذن لهم بدخول أمريكا وقد مضى عليهم ستة شهور أو عام أو أكثر . هناك محاكم ابتدائية وأخرى استئنافية ومحامون يدافعون عن موكلهم . فاذا كان الحكم النهائى فى صالح المهاجر دخل « الارض المقدسة » والا أعيد الى الباخرة التى جاء عليها لنقله الى الميناء التى بدأ رحلته منها . وتكون جميع نفقات المأكل فى الجزيرة ونفقات السفر رجوعاً على حساب شركة البواخر التى اقلته ، باتفاق مع حكومة واشنطون . ولما عقدت الجلسة للنظر فى قضيتى ووجدت نفسى أمام ثلاثة قضاة وكاتبة الجلسة خيل لى اننى مجرم أمام محكمة الجنايات ، وبعد تقديم الاوراق اللازمة والاجابة على الاسئلة التى قدمت الى وجّه الى رئيس الجلسة هذا السؤال : « هل لديك ما تريد أن تقوله » فاجبته نعم أريد أن أقول اننى « برىء » . وبعد المداولة نطق القاضى بالحكم وقدمته لى كاتبة الجلسة

للتوقيع عليه ، ومضمونه بقائى بالجزيرة حتى يفحص مجلس المهاجرة أوراقى مع موظفى الجامعة فى نيويورك . كان ذلك اليوم الثانى وقد أخذت الوحشة تخف وطأتها فى الجزيرة بعد أن تعرفت بالكثيرين من جميع الامم والشعوب وشاهدت كيف صبر غيرى على البقاء الشهور الطوال يعللون أنفسهم بالآمال . وشاهدت أماكن العبادة للمسيحيين واليهود يقوم بالخدمة فيها قساوسة وحاخامات من المهاجرين انفسهم الباقين ريثما يفصل فى أمرهم ، شاهدت المدارس للاطفال ابناء وبنات (المنفيين) يلقنون فيها مبادىء اللغة الانجليزية ، شاهدت المهاجرين يجتمعون زرافات زرافات للقيام بالعاب مدهشة تمثل العابهم الوطنية . ورأيت جماعات أخرى يقيمون حفلات الرقص على نغمات الموسيقى . ومن أشد المناظر تأثيراً ما رأيته هناك من زمرة كبيرة من الطليان العمال مع زوجاتهم وبناتهم . تناول موسيقى منهم ماهر تلك الآلة التى يعزف عليها باليدين وأخذ ينشد أدواراً مؤثرة محزنة وأصدقاؤه يرقصون والدموع تسيل من عيونهم ، واجتمع النساء من ممالك أخرى وأخذن فى الرقص أيضاً والبكاء فى آن واحد . وكان ذلك الموسيقى ماهراً جداً فى العزف والانشاد حتى أن صوته المؤثر ونغمات الآلة التى بيده جعلت شهيق السيدات يعلو ، ونحيبهم يتزايد ، الى أن حضر الموظفون وأخذوا الآلة التى بيده وفرقوا الجماهير عنه .

وكثيراً ما تكون أحكام تلك المحاكم غريبة غير معقولة . مثال ذلك انها تحكم بدخول رجل أميركا دون زوجته أو طفل فى الثانية من عمره دون أمه أو أخ دون أخته أو العكس ، وذلك اتباعاً لقوانين مجلس المهاجرة . وكثيراً ما يكون تطبيق تلك القوانين مضحكا للغاية . فقد يعاد مهاجر الى بلاده لأن الباخرة التى جاء عليها دخلت الميناء بعد الميعاد المحدد لاكتمال العدد القانونى من بلاد المهاجر بنصف دقيقة فقط .

وحدث أثناء وجودى هناك أن فتاة سويدية فى السابعة عشرة من عمرها حضرت مع أخ لها فى التاسعة عشرة من عمره . ودلت الاوراق التى يحملانها على انهما ولدا فى فنلندا . وكان العدد المحدد قبوله من فنلندا قد اكتمل ، فحكم القاضى برجوعهما .

وفعلا نفذ الحكم رغم كون المحامى الذى قام بالدفاع عنهما قدم للحكومة كفالة قدرها خمسمائة الف ريال (أو اكثر من مئة الف جنيه) فى مقابل دخولها

والامريكيون أنفسهم متألمون جداً للحالة السيئة فى جزيرة أليس ولكنهم مرتبكون ولا يعلمون ماذا يفعلون . فهناك ادارة كبيرة لجماعة الشبان المسيحية بموظفين وكاتبات على الآلات الكاتبة ، غرضها مساعدة من تستطيع مساعدته من سكان الجزيرة وسماع شكواهم وتسهيل الطرق لهم اذا ما استطاعوا ذلك . غير أن سيل المهاجرة المتدفق والذى يزداد تدفقا عاماً بعد عام جعل أولى الشأن فى أشد الارتباك. ومن يتصفح جرائد نيويورك يجد انه لا يكاد يخلو عدد منها من الانحاء باللائمة على حكومة واشنطن وتركها الحبل على الغارب فى جزيرة أليس

وقد سمعت خطبة لوزير العمال بعد دخولى نيو يورك قال فيها أن أكبر مشاكل اميركا الآن مسألة المهاجرة وانه رغم التشديد فان كثيرين يدخلون من الشاطىء الغربى خلسة فيزيد عدد المهاجرين عن العدد الذي حددته الحكومة . وقد حدث مؤخراً أن باخرة وصلت نيو يورك من هونج كونج بعد سفر استغرق ثلاثين يوما فوجد البوليس في صناديق البضاعة سبعة صينيين شحنوا الى الولايات المتحدة ليدخلوها خلسة ،

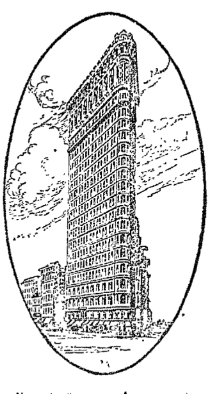
وأخيراً وردت أشارة برقية من وشنطن باطلاق سراحى بعد أن جاهد المحامى الموكل عنى من قبل الجامعة فى انهاء قضيتى ، غير أنه للاسف مكثت بعد ذلك نصف يوم آخر لأن الحاجب الذى كان ينادى اسمى والاشارة بيده كان نطقه رديئًا جداً فكان من المستحيل أن يخطر لى ببال أنه يقصدنى ، لولا اننى رأيت الرجل يطوف الجزيرة من أولها الى أخرها والورقة التى فى يده بعينها فنظرتها صدفة . وهنا انتهى المشكل ، فحملت حقيبة وساعدنى فى حمل حقيبتين أخريين بعض سكان الجزيرة وقد التف حولى مئات منهم ليودعونى على غير معرفة ، وكان كثيرون منهم يجهلون الانجليزية فكانوا يعبرون عما يريدون بلغاتهم التى لا أفهمها طبعاً ، وسلم الى كثيرون منهم خطابات أوصلها لاصدقائهم فى نيو يورك وطلب منى بعضهم أن أستعمل نفوذى فى اطلاق سراحهم ، لأن خروجى من الجزيرة بهذه السرعة جعلهم يعتقدون أننى لا بد أن أكون من ذوى الحيثيات .

سرت من سلم الى دهليز الى ممر حتى أوقفنى الحارس عند مقعد قريب من البحر . وبينما كنت فى انتظار الباخرة التى تنقلنا الى نيويورك واناعلى أحر من الجمر ، واذا الجزيرة قد اختفت ، ذلك ان المقعد الذى أشارعلى الحارس بالوقوف عنده كان فى الباخرة نفسها وقد صنعت بارتفاع سقف مدخل الجزيرة ومدهونة بنفس طلائه وكانت عند دخولى ا ياها ملتحمة به بكيفية لا تترك عند من لا عهد له بهـا شكا فى أنها جزء من الجزيرة

دخلت نيو يورك ، أرض الموعد ،وكانت السيارة التى تقلنى من الميناء الى المكان الذى كنت أقصده تنهب الارض نهبًا .غيرأن انشغال فكرى بسكان الجزيرة قد ألهانى عن المناظر التى كانت حولى والمبانى الصاعدة فى السماء أثناء طريقى . ظللت أتساءل كم من الناس فى هذه الحياة يقاسون أشد الآلام،و يتجشمون الأخطار ،و يذوقون صنوف العذاب توصلا للعيش،وطلبًا فى الرزق وتحقيقًا لآمال،أو جريًا وراء مطامع قد تكون أوهامًا أو أضغاث احلام ، ولم لا تكون بلاد العالم مفتوحة أبوابها على مصاريعها ، والناس منها يروحون ويجيئون كيفما شاءوا !! و يل للانسان من أخيه الانسان !

مضى على ذلك شهر واحد واذا بخطاب من صلاح الدين افندى عوض نجل صاحب العزة احمد بك حافظ عوض ينبىء أنه نزيل هذا المكان الشيطانى «جزيرة أليس».ذكرت حينئذ ما يقاسيه أولئك البؤساء فى تلك البقعة الجهنمية من آلام الانتظار وقد باعوا عقارهم ومنقولهم ، وأحضروا الزوج والولد لسكنى الدنيا الجديدة ، فاذا هى موصدة الأبواب عسيرة الدخول أمنع من عقاب الجو . رأيت من صلاح الدين عزمًا على الاضراب عن الأكل والميل الى العودة فكتبت له مهدئًا روعه ، ناصحًا له أن يأكل ما يقدم له لأنه لا سبيل إلى سواه . وقد مكث خمسة عشر يومًا تمكنت من مقابلته فى نهايتها على باب الجزيرة ، فاذا به شاحب اللون رث الملابس ، كأنه خارج من احدى السجون بعد قضاء مدة طويلة بها

وسواء أكانت أميركا مخطئة أم مصيبة فى تعذيب أولئك الابرياء بغير ذنب ، والتنكيل بهم بغير جريمة ، فأننى لا أزال أعتقد ان جزيرة أليس مدرسة من أكبر مدارس الاختبار فى العالم .



عجائب الصناعة والمخترعات

فى أميركا

سأتجنب الاسهاب والشرح اقتصاداً فى الوقت، وأنقل الى الأذهان صورة مصغرة من عجائب الصناعات والمخترعات بوصف هو غاية فى الايجاز

قبيل وصول الباخرة التى تقل المسافرين الى ميناء نيويورك ببضعة اميـال ، يشاهد الرائى ألوفاً من الرجال والنساء والاطفال ، يتطلعون الى السحاب ، ويطيلون النظر الى الضباب المتعاقد فى سماء المدينة . وهم يسندون قبعاتهم خوف سقوطها . والاعناق تتطاول ، والرؤوس ترتفع كأن فى المريخ رسولا ينتظر ظهوره ، والكل يتزاحمون اختلاساً لنظرة واحدة منه . أتعرفون السر فى ذلك ؟ هى البنايات الشامخة الفولاذية التى تناطح السحاب وتفاخر الشهب . وتطاول السماء . تنظر اليها من بعيد ، فتراها صاعدة فى الهواء حتى تخترق الغيوم فتختفى فى لفائفها . تدخل المدينة وتنظر اليها وانت منها على قاب قوسين . فيخيل لك انك تسير بين قناطر عمودية توصل الارض والسماء . وان المدينة برمتها قد استحالت الى ابراج شبيهة ببرج بابل المشار اليه فى التوراة . ولقد أصاب الامريكيون كبد الحقيقة فى اطلاقهم على تلك العمارات اسم ناطحات السحاب ، وهى الوحيدة بين بلدان العالم التى بها هذا النوع

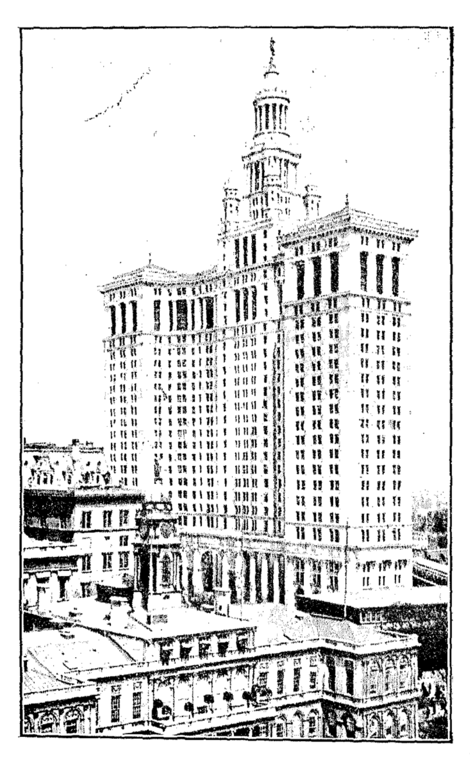
وضع اخيراً تصميم لاحدى هذه الابنية واتفق على أن يخصص الطابق الأعلى لكنيسة من الكنائس . وقد علقت الصحف الهزلية على هذا الأمر بقولها :— لعل أصحاب الكنيسة يقصدون بذلك سد الفراغ بين المؤمنين فى الأرض وزملائهم فى الجنّة .

قصدت مرة الى عمارة ولورث . فوجدت بها ستّين طابقاً . وعدد الصواعد

الكهربائية التي تقل سكانها الى الطوابق المختلفة ثمانون ، منها السريع ومنها البطيء ، فأذا أردت الصعود الى الطابق الخمسين مثلا أخذت الصاعد السريع (الاكسبريس) واذا شئت أن تذهب الى الطابق الثالث والخمسين فانك تأخذ السريع الى الخمسين ومنه تأخذ البطيء الى الثالث والخمسين . ويبلغ عدد الناس الذين يسكنون تلك العمارة السابحة في الهواء . اثنى عشر الف نفس

وفى المدن الكبرى لا تعد البناية التي لا تتجاوز طوابقها العشرين مرتفعة . أما عن متانتها فحدث عنها ما تشاء . وحسبها أن الاساس يحفر فى الصخر الى عمق عظيم فقد تجد فى البناية الواحدة خمسة أو ستة طوابق تحت الارض تستعمل كلها مخازن . والهيكل الخارجي للبناء عبارة عن عمد فولاذية قوية . ومتى امكن لهم تركيبها أخذوا فى البناء مبتدئين من الطابق الاعلى فما دونه ، بعكس ما نفعل فى بلادنا . وهناك الوف من شركات المعمار وهى على تمام الاستعداد لبناء المنازل الصغيرة وتجهيزها بأنابيب الماء الساخن والماء البارد ، والكهرباء وغاز الاستصباح وفرشها بالاثاث فى اسبوع واحد . ولا تسمح الحكومة لأحد ببناء منزل من المنازل المعـدة للايجار والتى تزيد عن طابقين دون أن تكون غير قابلة للحريق . وجميع المبانى فى المدن على كل حال لا تشيد من غير الفولاذ والحجر . فلا توجد هناك نوافذ خشبية أبداً بل كلها من الزجاج فقط . وأغرب من ذلك ان الحكومة تكلف صاحب الملك أن يفرش سلم تلك المنازل المعدة للايجار بالابسطة السميكة بالرغم من انهم قلما يستعملونه نظراً لتوفر الصواعد الكهربائية . ولكل عمارة ضخمة فى الطوابق التى تحت الارض آلة للتهوئة وللتدفئة . تحرك هذه الآلة مروحة كبيرة ، تأتى بالهواء النقى من الخارج وتبعث به الى كل غرفة فى البناء ،ومتى أقبل الشتاء مرروا هذا الهواء فى تيار ساخن فدفأت جميع الغرف . ومن الطف ما رأيت من هذه المراوح ان هناك شريطاً من الورق يلتصق باحدى اجنحتها فيحمل الهواء الى جميع الغرف رائحة زكية . ولا يسمح بأدخال شيء من المواد الغذائية الى تلك المنازل من الابواب التى يستعملها السكان . بل توجد مصاعد خلفية خصيصة لهذا الغرض

وقفت مرة بجانب حائط لبناء من أبنية الجامعة ، واستندت الى خزانة قديمة من



(بناء البلدية فى نيويورك)

(مقابل صفحة ٢٢)

الحديد كانت على الرصيف ، وأخذت أقرأ جريدة كانت بيدى ريثما تخف وطأة المطر فأعبر الطريق.غير أن سطور الجريدة أخذت تتضاءل فى نظرى ، وأخذ النور يزول شيئًا فشيئًا حتى استحال ظلامًا . ولم أكد أرفع الصحيفة عن عينى حتى وجدت الشارع والرصيف فى خبر كان . وجدت نفسى تحت الارض فى مخزن تلك العمارة . ذلك أن تلك الخزانة كانت موضوعة علي جزء من الرَّصيف متحرك . وقد ضغط العامل فى المخزن الارضي على زر كهربائى ، فهبط ذلك الجزء تدريجًا،وأنا لست أدرى ولا المنجم يدرى ، أزلزلت الارض زلزالها أم فتحت فاها لابتلاعى .

وكثيراً ما كنت أشاهد سيارات كبيرة فوقها أحواض ضخمة مملوءة بالكحول وزيت البترول أمام بناية الكيمياء وبواسطة انبوبة من المطاط تتصل بفتحة فى الشارع لأيصال تلك السوائل الى المخازن الارضية . كذلك الفحم وغيره من المواد . أغرب من ذلك أن جميع أبنية الجامعة فى نيويورك وعددها ١٢٠ تقريبًا متصلة بعضها ببعض تحت الأرض مع أنها منفصلة تمام الانفصال بشوارع فسيحة عددها فوق الاربعين

طرق المواصلات — لست أريد الأشـارة الى السيارات فكلنا نعلم أن أميركا على اتساعها تكاد تضيق بها . أن الطرق الزراعية وغير الزراعية ، فى المدن والقرى ، كلها عبارة عن مرآة مصقولة تسهيلا لسير الأوتومبيلات . تصور أنك اذا وقفت فى أى مكان فى أميركا ، فى المدينة أو فى الخلاء ،فأن أول ما يقع عليه نظرك أسراب السيارات التى تمر بك ليلا ونهاراً بغير انقطاع

أن السكك الحديدية هناك تتوفر فيها كل وسائل الراحة.فهى كلها درجة واحدة ومقاعدها الجميلة تستحيل ليلا أسرة بديعة للنوم . وجميع المساند مكسوة بالقطيفة ، وعرباتها مفروشة بالبسط الثمينة . والقطرات فى سيرها تنهب الارض نهبًا . بعضها بالكهرباء وبعضها بالبخار وبعضها بكليهما . وفى المسافات الكبيرة لا يقف القطار مطلقًا .وهنا تتساءلون كيف يستمد الماء والفحم اذا سار ساعات طويلة سيراً متواصلا . الجواب على ذلك أنه يمر فى فترات معلومة تحت قناطر مشحونة بالفحم . فاذا ما وصل الى احداها فتح منها باب صغير من تلقاء نفسه وهوت الى القاطرة كمية كافية من

الفحم . وبنفس الكيفية توجد على مسافات معلومة كمية من الماء بين القضبان ، فلا يكاد يصل الى احداها حتى يتدلى من القاطرة خرطوم من الجلد فيمتص نصيباً كافياً من الماء

ننتقل الآن الى القطرات التى تسير فى المدينة الواحدة توصيلا لاجزائها المختلفة . توجد منها ثلاثة أنواع . نوع يسير تحت الأرض ، ويوجد مثله فى باريس ولندره وبرلين — ونوع يسير فوق الأرض وهذا كالترام فى القاهرة والاسكندرية ، ونوع معلق بين الأرض والسماء على عمد كبيرة الارتفاع يجرى فوقها قضبان تسير عليها تلك القطرات بمحازاة البنايات الشاهقة . وهذه فريدة فى بابها فلا يوجد مثلها فى أية مملكة أخرى فى العالم . فاذا وقفت يوماً بجانب رجل الشرطة وهو عادة من ذوى المراكز الحرجة هنالك ، فانك تشاهد قطرات فوق رأسك تصم لها الآذان ، ونوافذ حديدية تحت قدميك تطل على قطرات تحت الأرض تنهب الأرض نهباً ، وعربات للترام الواحدة تلى الأخرى ، وسيارات تفوق النمل عدداً . وقلما تجد بين كل مئة الف سيارة عربة تجرها الخيول . وهذه تكون عادة من العربات التى تحمل ثلجاً أو فاكهة . وقلما تجد دراجة . بل ربما لا تجد دراجة بتاتاً . والمدهش فى القطرات التى تسير تحت الارض سرعتها المتناهية وعددها الوافر . تجد القطار الواحد يحتوى على ست أو أكثر من العربات الطويلة . ويقوم كل دقيقة تقريباً قطاران أحدهما سريع والآخر بطىء ، ويفضل الناس القطرات الأرضية على غيرها خصوصاً فى فصل الشتاء .

يخرج الرجل أو المرأة من منزله تواً الى القطار الأرضى فلا يعبأ اذا هطلت الامطار أو قامت الزوابع الثلجية أو تجمد ماء الامطار فى الشوارع والطرقات . والاجرة واحدة مهما بعدت المسافة ، بعكس الحال فى البلدان الأخرى . ويتسنى لك الانتقال من قطار الاكسبريس الى البطىء وبالعكس دون أن تدفع أجرة أخرى ، وتستطيع كذلك أن تنتقل من خط الى خط آخر موازله بواسطة قطار آخر يوصل بين الخطين ، ثم تستأنف الركوب فى قطار فى الخط الآخر — كل ذلك بالاجرة عينها ، وكلما وجدت



(تمثل هذه الصورة طفلين فى سان فرنسسكر ، يخاطبان والدهما)
(فى وشنطون على مسافة ٢٠٠٠ ميل)

(مقابل صفحة ٢٥)

السرعة وعدد القطرات هناك زاد أسفى على الاوقات الثمينة التي تصرف عبثاً فى انتظار قطرات الترام فى بلادنا

ويا حبذا لو سمح المقام لاصف للقارىء القطرات التى تسير تحت قاع النهر، أى أنها تسير داخل أنابيب مشيدة تحت الأرض التى يعلوها ماء النهر.

يحار الاجنبى فى أميركا من أشياء تقوم فيها القوات الآلية مقام الايدى العاملة، أذكر أننى ارتبكت أول مرة حاولت ركوب القطرات التى تسير تحت الأرض فى مدينة نيويورك. هناك لم أجد موظفاً للتذاكر كالمعتاد بل شاهدت الناس يدخلون واحداً فواحداً من أبواب قصيرة تتحرك على محورها حركة واحدة عن كل داخل، ولما حاولت الدخول مثلهم لم يتسن لى ذلك. لفت نظرى فوق الباب مصباح كهربائى موقد مكتوب تحته هذه العبارة: ضع نيكلا فى الثقب يفتح لك الباب؛ هكذا يدخل الناس الى الطابق الأسفل الى رصيف طويل تحت الأرض ومنه الى القطار دون أن يزعجوا أنفسهم بشراء تذكرة أو حملها أو ابرازها لمفتش

وعلاوة على الرافع الكهربائى الذى يحمل الناس الى الطابق الأسفل فانك تجد هناك سلما من المطاط كسلالم المنزل المعتادة غير أنه متحرك فينزل على درجه الناس وهو يتحرك فى نفس الوقت. ولذا يصل الراكب من الشارع الى الرصيف تحت الأرض على جناح السرعة. وهناك سلم آخر للصعود يتحرك الى أعلى، كذلك أبواب العربات فى القطارات تفتح جميعاً معاً من تلقاء ذاتها. ولا يتحرك القطار حتى تغلق الأبواب جميعها

ومن أغرب المحركات الذاتية جهاز التليفون. تضع فى ثقب فيه قطعة من النقود وتضع السماعة على أذنك دون أن تقرع الجرس فتجيبك العاملة على الفور. فاذا كانت المخابرة مستحيلة لأن الرقم مشغول ضغطت العاملة على زر كهربائى فتسقط قطعة النقود من ثقب فى أسفل الجهاز فتلتقطها، وقد تكون المسافة بينك وبين الشخص الذى تخابره مما يستغرق فى قطعها خمسة أيام وخمسة ليال بالقطار السريع

فى أماكن كثيرة، بل اذا شئت فقل فى كل محطات السكك الحديدية الارضية (وبعد المحطة عن الأخرى بعد محطات الترام عن بعضها فى القاهرة) تجد ثلاثة أو

أربعة موازين يجرب فيها الركاب وزنهم ، وهى تشبه الموازين التى تراها أحياناً فى بلادنا أى أنك تضع قطعة من النقود قيمتها سنتان (مليمان) فى ثقب وتقف على قاعدة الميزان فتشير يد على المينا الى وزنك بالارطال . غير أنهـا تمتاز عن هذه بهذا : اذا كنت واثقاً من وزنك فحرك يداً من الخارج على مينا الميزان الى أن تشير الى الوزن الذى تخمّنه .ثم جرب وزنك كالمعتاد بعد القاء قطعة النقود فى الثقب.فاذا طابق ظنك وزنك الحقيقى وأشارت اليد الداخليـة الى الرقم الذي أشارت اليه اليد الخارجية فان قطعة النقود تسقط من الأسفل من تلقاء ذاتها ، فهى لك

وهناك مطاعم برمتها فسيحة أنيقة تقوم فيها هذه المحركات مقام العمال . هناك تجد ألوفا من الثقوب النحاسية فوق كل منهـا مصباح موقد وثمن واسم طعام من الاطعمة . من لبن وشاى وقهوة وكاكاو وفاكهة ولحوم وخضار وطيور وكل ما يخطر ببالك من صنوف الطعام والشراب ، تضع الثمن فى الثقب الذى تريده فيبرز أمامك رف صغير فوقه طبق الطعام الذى ترغب فيه

هناك أيضاً آلاف من الاجهزة لمسح الأحذية من تلقاء نفسها بعد القاء قطعة من النقود فى ثقب فيها

ويوجد فى كل طابق فى كل بناء من بنايات جامعة كولومبيا آلة كهربائية ، يضغط عليها الطالب بحذائهفيخرج من بوق نحاسىّ فيها بخار ساخن يستعمل بدلاً من منشفة لليد والوجه معاً

وهذا الجهاز كثير الانتشار هناك،وهو أصح استعمالاً من أى منشفة من المناشف المعتادة لأنه فضلاً عَنْ نظافته التامة فانه يقتل ما قد يحتمل أن يكون قد علق بالأيدى أو الوجه من الجراثيم، ويشعر بعدهالانسان براحة تامة وانتعاش لامزيد عليه

ويعوزنى الوقت اذا ذكرت الآلات العديدة الخاصة بغسل الاطباق والشوك والملاعق وأدوات الطبخ وتجفيفها والآلات الضخمة التى تستخدم فى كنس الشوارع وقطع الصخور وحفر الارض مما لا يقع تحت حصر

أما انتشار الـكهرباء والتليفون اللاسلكى والاتومبيلات فحدث عنه ولا حرج . أميركا بلاد الـكهرباء وما زال اديسون مكتشف سرها حياً يرزق . فقد احتفل بمرور

٧٧ عاماً على ميلاده (يوم ١١ فبراير الماضى - ١٩٢٤) فى حفلة مشهودة فى نيو يورك

هناك تجد الامريكيين يستخدمونها ليس فقط للانارة بل لطهى الطعام وغسل الثياب وتجفيفها وكيها وتنظيف الابسطة والتهوية والتدفئة وغير ذلك . وفى المدن الواقعة بالقرب من شلالات نياغرا يمكن أن يدخل صاحب المنزل ما أراد من مصابيح ومراوح ومكاو واجهزة للطهى وغسل الملابس والتدفئة بقدر ما تملك يداه دون ان يطالب بوضع عداد أو يحاسب عما استهلك . فقط يكلف بدفع ريالين شهريا

وتجد المنازل خصوصاً فى الأزمنة التى تكثر فيها الغيوم مضاءة بها ليلاً ونهاراً . وكنت أدهش حينما أرى فى فناء البناء الواحد من أبنية جامعة كلومبيا - وهو المعد لراحة الطلبة ، من ثريات وشموع ومصابيح فى السقف وعلى الحوائط والموائد ما يزيد على ثلاثمائة مصباح . وليس فى اية مدينة من مدن أوربا شارع كشارع برود واى فى نيو يورك تجلت فيه عظمة أميركا فى الكهرباء . تسير ساعات طويلة على قدميك وأنت ترى الى ما بعد نصف الليل أمامك وفوق رأسك وعلى أبعد ما اتصل اليه أنظارك مئات الألوف من الأنوار المتألقة المتلألئة فوق الحوانيت والمخازن الكبرى والشركات والمعامل والملاهى والمسارح والمراقص . فمن اشكال هندسية ترسمها تلك المصابيح تظهر تارة ثم تختفى ، الى خيوط دقيقة من الأنوار تدور حول نفسها بسرعة البرق ، الى شعل من نار امتد لهيبها من الدور الخمسين الى الدور الارضى ، الى ثريات ملونة بديعة التنسيق تماوج أنوارها فى الفضاء ، الى نجوم من الأنوار انسابت من أعلى البنايات الشامخة الى السماء فاختلطت نجوم الكهرباء بنجوم القبة الزرقاء . وحتى تعلموا أنَّ عدد هذه المصابيح لا يمكن احصاؤه أذكر ان هناك اعلاناً كهربائياً خاصاً باللاذن عليه ٢٥٠ الف مصباح كهربائى (ربع مليون)

وأنى لى أن أصور للقارىء قاعة كبيرة للرقص مثلاً كبهو فندق ولدورف استوريا اكبر بهو للرقص فى العالم ، أو غيره من أماكن الرقص العديدة فى نيو يورك وتنسيق أنوارها ذات الألوان وما أودع فيها واضعوها من فن وجمال وذوق وترصيع وما تجلت فيها من صناعة أينَ منها السحر والاحلام

أذكر أن أحد الطلبة المصريين (صلاح الدين افندى حافظ عوض) كان

مكث فى جزيرة أليس اسبوعين قبـل السماح له بدخول أميركا . وكان يلعن أميركا بما فيها ومن فيها حتى بعد دخوله أياها ببضع ساعات . ولـكن لم يكد الظلام يرخى سدوله حتى أخذته الى شارع برودواى. وما كاد يقع نظره على تلك الثريات المدلاة من أعلى البنايات ألى أن تصل الى الارض حتى صاح من تلقاء ذاته « فلتحى أميركا » وهو معذور ولا شك،فأن هذا المنظر الذى يتناول اكبر شارع فى نيو يورك وا كثرها طولاً لا يعادله منظر آخر من نوعه فى العالم

أما التليفون فانتشاره يكاد يفوق حد المعقول ، فمدينة نيو يورك وحدها بها مليون و ١٧٥ الف جهاز (حسب احصائية سنة ١٩٢٣) ويبلغ متوسط عدد المخابرات اليومية بها فوق ستة ملايين مخابرة ، وعدد عمال وعاملات التليفون بهذه المدينة فقط ١٧ الف . و يقال أن عدد الاجهزة التى تركب فى الولايات المتحدة كلها بحساب جهاز واحد فى كل دقيقة . وتوجد فى معظم عمد المصابيح تليفونات لرجال الشرطة يستخدمونها عنـد الحاجة . كما أن مراكز البوليس أيضاً تستعملها لمخابرة رجالها . فيوجد فى أسفل المصباح المعتاد لأنارة الشارع مصباح آخر صغير أحمر اللون لا يضىء الا متى قرع جرس التليفون . وبهذا المصباح يعرف رجال الشرطة عند اضاءته ان مركز البوليس يحتاجه على التليفون . ولا يخلو مخزن للكتب أو للحلوى أو للعقاقير أو المواد الغذائية من عدد وافر من الغرف الصغيرة الخشبية لأجهزة التليفون المعدة للمخابرات العمومية فى مقابل دفع خمسة سنتات (غرش صاغ) عن كل مخابرة ، وعلى كثرة عدد هذه الأجهزة تجدها على الدوام مزدحمة . و يندر أن تدخل عصر الاحد أو السبت مخزن بائع دخان مثلاً قصد استعمال التليفون بغير أن تقف زمناً طويلاً انتظاراً لدورك فى اشغال آلة من الآلات الموجودة . وكنت أرى فى الجامعة التى كنت بها (كلومبيا) بنيو يورك في كل بناء عدداً وافراً من آلات التليفون ، وقلما كنت أجد احدها غير مشغول ، مع أن كل مخابرة تكلف الطالب غرشاً صاغاً

وقد رأيت بعينى فى كثير من المدارس الابتدائية آلة للتليفون فى كل غرفة من غرف الدراسة معلقة فى وسط السبورة يستعملها المدرس ورئيس المدرسة عند اللزوم .

والظاهر أن التليفون ليس خاصاً بالطبقة الغنية كما فى بلادنا المصرية ، فمعظم المنازل لا تخلو منه

أما الاتوموبيلات فمنتشرة لدرجة أن معظم الناس رجالاً ونساء يحسنون قيادتها فالطلبة فى المدارس الابتدائية يعلمون كيف يصلحونها ويسوقونها . ويكفى أن يقال أن عدد الاتوموبيلات التى صنعت فى أميركا سنة ١٩٢٢ بلغ ٤ ملايين وأن عدد الاتوموبيلات فى الولايات المتحدة باميركا ١٦ مليون مقابل ٣ مليون فقط في ما بقى من البلدان . والفكرة السائدة هناك انه لا بد أن يأتى يوم فيه يصبح لكل فرد من السكان اتوموبيل . زرت مرة مدرسة ابتدائية صغيرة فى بلدة مونت كلير فهالنى كثرة عدد الاتوموبيلات حولها وعلى مسافة بعيدة منها وقد علمت من رآستها أن عدد الطلبة ٦٠٠ وأن عدد السيارات التى تنتظرهم لا يقل عن ذلك . وفى بعض الجهات تجد عدد الاتوموبيلات اكثر من عدد المنازل

ويعطى فورد لكل عامل من عماله اتومبيلا مقابل دفع ريال اسبوعياً . ولكثرة اتومبيلات فورد هناك تجدهم لا يسمونه اتومبيلاً ولذلك تجدهم يكتبون على ورش الاتومبيلات هذه الجملة «هنا نصلح الاتومبيلات ونعمر الفوردات» واذا سرت في الخلاء بين المزارع والحقول تذهلك خيطان طويلة سوداء من الاتومبيلات ملقاة على جوانب الطرق أو مكدسة فى انحاء مختلفة تكديساً . كما يذهلك جيوش الاتومبيلات الجرارة التى لا ينقطع سيرها ليلا نهاراً ويتدفق سيلها فوق تلك الطرق الزراعية المرصوفة الشديدة السواد واللمعان . ولا تسير بضع خطوات حتى تجد مكاناً لبيع البنزين وآخر لبيع المأكولات والشاى والقهوة وآخر معداً لحفظ الاتومبيلات (جراج) وتجد الجراجات مكونة من طبقات عديدة تبلغ العشرين واكثر من ذلك . فتدخل الاتومبيلات أفواجاً داخل غرفة كبيرة من الفولاذ . هى عبارة عن رافع كهربائى . يرفعها جميعاً الى الطابق المعد لها

***

يصنعون من الورق المقوى مساطر للطلبة . وأكواباً للشرب وملاعق وشوكاً وأطباقاً تستعمل مرة واحدة فقط ثم يستعاض عنها بسواها .

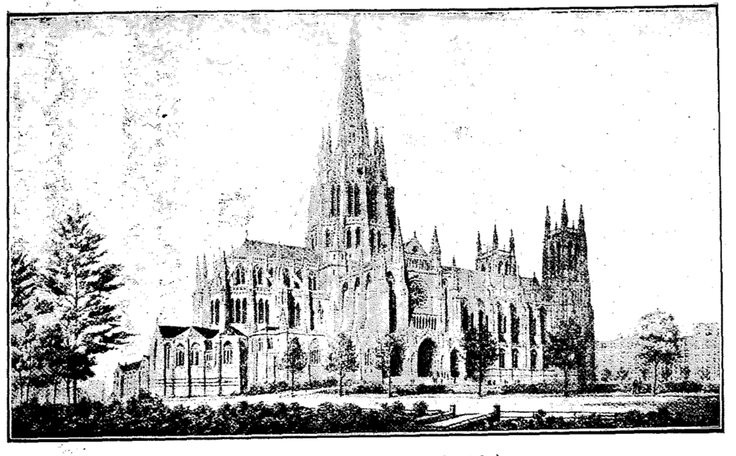
*
* *

توجد فى مدينة نيويورك فقط ١٧ الف صناعة مختلفة ، يتلقى الطلبة منها فى نيويورك وحدها فى المدارس الابتدائية والثانوية ٢٠٢ صناعة . ولكى تعلموا عظمة أمريكا الصناعية اذكر أن شركة الفولاذ الكبرى وضعت فى ميزانيتها السنة الفائتة ٩٠ مليون ريال فقط لأصلاح مبانيها وأن صافى أرباحها فى العام الفائت بلغ ٥٠٠ مليون ريال .

ليس فى هذا ولا ذاك تتجلى عظمة أمريكا الصناعية . تتجلى تلك العظمة فى المنازل ، فى العائلة . ترى الأم تعد الطعام لاولادها وزوجها فى اقل من لمح البصر . تستخدم الكهرباء للطهى ، لغسل الملابس ، لتجفيفها ، لكيها ، لكنس المنزل ، لتنظيف البسط والفراش . تجد فى منزلها الماء الساخن ليلاً ونهاراً . تجد مظاهر الصناعة وتقدمها فى غرفة الاستقبال كما فى المطبخ . فى غرفة النوم كما فى الحمام . تجد الراحة متوفرة بكل معانيها فى منازلهم حتى التي دون المتوسطة. ولا شك ان هذا اكبر برهان على تقدم الصناعة

الآن وقد حانت الكلمة الختامية أفلا يجدر بكم أن تسألونى عن السر فى هذا التقدم العجيب ؟ قد أجمع الكل على أن من أكبر العوامل ادخال الاعمال اليدوية اجبارياً فى المدارس الابتدائية والثانوية . فلا يكاد الولد أو البنت يفرغ من تلقى درس التاريخ مثلاً حتى تراه فى الحصة التالية ينشر الخشب أو يسبك الحديد أو يصنع الزجاج الى غير ذلك . ونظريتهم فى ذلك أنه خير للطالب أن يصلح الاتومبيل من أن يقيم الدليل على أن المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان . وأن تركيب التليفون الكهربائى أنفع للطالب فى حياته من استخراج الجزر التكعيبي لكمية جبرية خيالية. وأن صنع دولاب من الخشب أفضل نتيجة للفتاة من أعراب الكلمات وتحليلها الى أصولها

أرونى أحد خريجى مدارسنا يستطيع أن يصلح مصباحاً كهربائياً أذا تلف ؛أو سيارة أصابها العطب أو أنبوبة تنفجر . لذلك لا نعجب أذا نظرنا الى الصناع بعين الازدراء فانحطت صناعتنا،ووضعوا هم صناعهم في مرتبة السياسيين والكتاب وكبار



(كاتدرائية سنت جون فى مدينة نيويورك)

(مقابل صفحة ٣١)

الموظفين فارتقت صناعتهم ودقت أدواتهم وجملت أثاث منازلهم فارتقوا . كم أعجبت بطالب مصرى هو نجل أحد وزرائنا حينما شاهدته فى رحلتى فى أحدى معامل مملكة من ممالك أوربا يرتدى ملابس الصناع ويقف بين العمال البسطاء أمام المطرقة والسندان يعالج قضيباً من الحديد فى يده وجسمه ينضح على ثيابه العرق ، ووجهه ملوث بالدخان المتصاعد من المداخن !!

أن البلاد فى حاجة ألى الأيدى العاملة حاجتها ألى الرءوس المفكرة . أن الصانع المسكين المعمم الذى يصرف الساعات الطوال بين المناسج اليدوية فى المحلة الكبرى لاكثر نفعاً للأمة من الكاتب المطربش الذى يجلس بضع ساعات على مكتب فى أحدى الوزارات . أن الحداد الذى يتصبب العرق من جبينه بين الكير والسندان لأشد غيرة على بلاده من فتى يدمى بنانه لمس الحرير يمكث ساعات قلائل بين المحابر والأقلام ويقتل الوقت بين البارات والقهوات

اللاسلكى

مقدمة في عجائب الدنيا السبع

فى العصور القديمة : أهرام الجيزة . منارة مصر ، جنات بابل ، تمثال رودس العظيم ، تمثال چوبتير . معبد ديانا فى افسُس . ومقام ارتميزيا

فى العصور الوسطى : منارات الاسكندرية . الحائط العظيم فى الصين ، الصخور المعلقة (جنوب انجلترا) برج بيزا المائل ، برج نانكين . جامع صوفيا (الاستانة)

فى العصور الحديثة : اللاسلكى ، البخار ، الاتومبيل ، الطيارات ، عنصر الراديوم ، بعض المركبات الكيمائية كالمخدرات . والمطهرات ، التحليل الطبيعى ، أشعة أكس

من هذا يتضح أولا أن اللاسلكى مقدمة عجائب الدنيا السبع في عصرنا الحاضر . وثانياً أن مصر كان لها المقام الأسمى في هذه العجائب فى العصور القديمة والوسطى ، أما العصر الحديث ف . . . .

. . . .

في سنة ١٩٠١ أسفرت تجارب ماركوني عن تمكينه من أرسال أشارات متقطعة لاسلكية الى ما وراء البحر الاطلسى . ولم يمض على ذلك سنتان حتى قامت أوربا وأميركا وقعدت عقب رسالة كاملة طيرها ماركوني الى العالم الجديد ، وما كاد ينطوى عام آخر حتى أنشئت مصلحة لاسلكية في رأس بريتون كان غرضها قاصراً تقريباً على مخاطبة البواخر التي كانت تسافر بين القارتين ، ومنذ ذاك الحين تيسر لكثير من تلك السفن أن تصدر لركابها جرائد يومية تلتقط أخبارها بواسطة اللاسلكي . وقد أصبح لهذه الجرائد هذه الأيام شأن لا يقل أهميته عن الصحف التي تطبع براً . فقد شاهدت في الباخرة اكوتانيا وكان ركابها نيفاً وثلاثة آلاف نفس جريدة انجليزية تباع يومياً ويقبل عليها الجميع بلا استثناء تقريباً ، ورأيت أيضاً في الباخرة روشمبو جريدة تطبع بالفرنسية والانجليزية وتوزع يومياً على المسافرين بغير مقابل .

وفي سنة ١٩٠٦ توجهت أنظار الدول العظمى الى استخدام اللاسلكي في تخفيف وطأة الأخطار التي تنجم من الملاحة في بحر كالاطلنطيكي لا يسبر غوره ولا تهدأ أمواجه ، فعقدوا مؤتمراً دولياً لاسلكياً في برلين عاصمة المانيا ، واتفقوا على أشارات مشتركة تستعمل في انقاذ السفن من مخالب الأمواج أذا ما حانت ساعة الخطر . وقد أقرتها جميع الدول تقريباً

وفي سنة ١٩٠٩ أينعت ثمار مؤتمر برلين واستخدم اللاسلكي في أنقاذ جميع الركاب في الباخرتين اللتين اصطدمتا اصطداماً عنيفاً في عرض البحر . فهللت الدول وكبرت .وعقدمؤتمر آخر في لندن سنة ١٩١٢ مكملا لمؤتمر برلين فأوفى بالغرض المقصود

وقد تمكن الأميركيون في سنة ١٩١٥ بواسطة التليفون اللاسلكي من مخاطبة باريس وهنولولو من واشنطون مع أن المسافة بين واشنطون وهنولولو خمسة آلاف ميل

وقامت الحرب المشئومة بين سنتي ١٩١٤ و ١٩ فكان اللاسلكي من أكبر أعوانها . فقد استعان به قواد الجحافل البرية والأساطيل البحرية والهوائية

الى هنا لم يكن اللاسلكي سوى مصلحة عامة للسفن والبوارج الحربية وشركاته

الأخبار والحكومات وما الى ذلك . غير أن الاميركيين أخذوا منذ سنة ١٩٢١ في استنباط طرق تعميمه وأعداد أجهزة بسيطة يستخدمها الناس في منازلهم واستخدامها ليس لنقل الأخبار فقط بل فى الخطب والموسيقى والمواعظ والمحاضرات . ولم تأت سنة ١٩٢٣ حتى تم لهم ذلك . فأنشأوا في أماكن عديدة من الولايات المتحدة محطات لاسلكية ، الغرض منها تطيير الأخبار والخطب وغيرها الى كل منزل أو مخزن أو مدرسة أو ناد موضوع فيه جهاز لاسلكى

وحتى اقرب لافهامكم الغرض من هذه المحطات اذكر لكم فرضاً أرجو أن يتحقق فى القريب العاجل . هبوا منزلا من كل عشرة منازل فى القطر المصرى به جهاز لاسلكى . وهبوا شركة لاسلكية انشأت محطة لها على قمة جبل المقطم . فاذا أرادت الشركة ان يسمع اصحاب تلك الأجهزة صوت منيرة المهدية ، فانها تطلب من منيرة ان تنشد دوراً فى تلك المحطة أمام الآلة المرسلة فيسمعها فى نفس اللحظة جميع الناس الذين لديهم الأجهزة فى القطر المصرى من أسوان جنوباً الى الاسكندرية و بورسعيد شمالا .

وقد تمكنوا فى سنة ١٩٢٣ من أن يوفروا على عظماء الرجال والخطباء عناء الانتقال الى تلك المحطات باستخدام التليفون واللاسلكى معاً . مثال ذلك . بدلا من انتقال رئيس الولايات المتحدة الى محطة لاسلكية ليلقى خطاباً يبغى تطييره الى جميع سكان أمريكا وأمهات مدن أوروبا ، فانه يلزم قصره فى واشنطون . وفى ساعة معينة يعلن عنها في الجرائد . يقف أمام آلة التليفون المعتادة و يلقى خطابه بحماس وحمية كأنه يخطب فى مجلس الشيوخ . وتكون آلة التليفون من ذلك الوقت متصلة بشركة اللاسلكي فى مدينة نيويورك . فيأخذ العامل من الشركة (السماعة) و يوصلها بجهاز لمرسل اللاسلكى وهذا يطيرها بطبيعته الى كل من لديه جهاز . و بذا يسمع خطبة الرئيس الملايين من النفوس . وقد توصلوا فوق ذلك الى أنهم يستطيعون توصيل خط التليفون فى واشنطون مثلا (الذى يخطب فيه الرئيس) الى عدة محطات لاسلكية ، وهذه جميعها تطير خطبته فى نفس الوقت الى سائر انحاء أمريكا وأوروبا

والمحطات اللاسلكية فى أميركا التى تبعث الى السكان ليلا ونهاراً الاخبار والمحاضرات والخطب والأناشيد فى ازدياد مطرد ، فقد بلغ عددها فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ ، ٤٦٤ ، هذا عدا الحكومة فأن لديها ٢٢٣ محطة ، وهذا أيضاً عدا المحطات الخصوصية التى ينشئها الهواة من أفراد وجماعات وأندية ومعاهد علمية ، وقد بلغ عدد هذه فقط ١٨٦٥٨ محطة ، غير أن هذه المحطات الأخيرة لا توصل الى مسافات بعيدة . و بلغ عدد الأجهزة اللاسلكية فى ولايات أمريكا المتحدة خمسة ملايين . وأذا علمتم أن اللاسلكى هـذا يوضع فى ركن من أركان غرفة النوم أو حجرة الاستقبال أو قاعة المحاضرات فيسمعه بكل جلاء جميع المحاضرين تبين لـكم بوجه التقريب عدد الذين يتمتعون باللاسلكي فى أميركا

وجهاز اللاسلكى يسهل نقله من مكان الى أخر كما ينقل الفونوغراف . و يقوم بوظيفته أينما وضعته . فكثير من الممثلات اصحـاب الامزجة يحملن فى سياراتهن الفخمة أجهزة اللاسلكى حتى لا تفوتهن الفرص فى سماع الغناء والموسيقى من أشهر المسارح والملاهى

ولما كانت شركات اللاسلكى لا ربح لها ألا ما تبيعه من الأجهزة للسكان فأنها لا تتمكن من ترويج بضاعتها إلا اذا هيأت لزبائنها باستمرار عدداً وافراً من منتخبات علمية وأدبية وموسيقية وفكاهية وصحية ومنزلية . ولا يخفى أن هـذه الشركات تستدعى معظم أولئك المحاضرين والخطباء والموسيقين والمغنيات الى مراكزها وتدفع لهم ولهنّ نفقات باهظة . ومن الغريب أنك أذا اشتريت جهاراً فأنك تنتفع بكل ما تتحفك به الشركة بغير مقابل ما دام لديك الجهاز

و يتراوح ثمن الجهاز اللاسلكى بين ستة ريالات الى الف ريال . وسبب هذا التفاوت أنه كلما ارتفع ثمن الجهاز بعدت المسافة التى يمكن التقاط الصوت منهـا ، فالجهاز الذى ثمنه ستة ريالات اذا وضع فى منزل فى مدينة نيو يورك يمكنه أن يلتقط الأصوات من لندن و باريس وروما و برلين و بخارست

هل تكون الأصوات واضحة كالفونوغراف مثلا ؟ أوضح بكثير جداً . تسمع صوت الخطيب كأنك فى الصف الأول من مقاعد المسرح أو قاعة الخطابة

أذكر أنى سمعت مرّة فرقة موسيقية مشهورة ،أعضاؤها خمسمائة فى قاعة كارنيجي فى نيو يورك وهى أكبر قاعة للموسيقى هناك . وبعد ذلك بعدة شهور سمعت نفس الفرقة باللاسلكى فى منزل صديق لى . فلم أجد فرقاً يذكر بين الحقيقة والخيال

ولما كانت جميع الجرائد اليومية تنشر بروجرامات اللاسلكى يوماً بعد الآخر فان الناس كثيراً ما يتحينون الفرص لدعوة أصدقائهم لتناول العشاء معهم فى ساعة توافق موعداً من المواعيد التى تعزف فيها فرقة موسيقية ذائعة الصيت ، فينقل عزفها اللاسلكى للمدعوين . وكثيراً ما يغنى اللاسلكى عن الموسيقيين وآلات الفونوغراف فى حفلات الرقص الخصوصية التى تحييها العائلات فى المنازل

كنت أتناول العشاء مرة فى منزل المستر كليلند[1] فى حى بروكلين في نيو يورك . وبعد العشاء جلسنا الى النار نستدفىء ونتجاذب أطراف الحديث ، وبعد سماع شيء من الموسيقى من جهاز لاسلكى كان فى قاعة الاستقبال هممت بالقيام فأشار عليّ بالبقاء الى الساعة العاشرة ، وأشار الى جريدة أمامه بها بروجرام اللاسلكى وأذا به يقول من الساعة ٤ الى ٤ والدقيقة ٥ أخبار محلية ومن ٤،٦ الى ٤،١٥ موسيقى وهكذا من حكايات فكاهيــة للاطفال الى عظة شائقة لأحد القساوسة . حتي أرانى أن الرئيس كولدج سيخطب الساعة العاشرة خطبة من واشنطون موضوعها « جورج واشنطون » لمناسبة عيد ميلاده وكان ذلك مساء ٢٢ فبراير سـنة ١٩٢٤ وكان الصوت واضحاً مجسماً رائقاً

ومن السهل ان يكتب الحاضرون خطبته كلمة كلمة من أى مكان فى المنزل

وقد قرأت بعد ذلك ان كبار الانجليز سمعوا خطبة الرئيس عينها فى نصف الليل نظراً لاختلاف طول المـكانين

وانتقدت الجرائد الانجليزية ذلك بقولها كان يجب أن تلقى خطبة الرئيس فى الساعة الثامنة مساء على الأكثر حتى لا يضطر النـاس فى انجلترا أن يسهروا بعد الساعة العاشرة لسماعها . ووقوع المدن الـكبرى على خطوط طولية مختلفة مكدر

---

(١) احد اساتذة الجامعة الامريكية بالقاهرة

جداً لغواة الموسيقى اللاسلكية فانهم كثيراً ما يستيقظون فجراً لسماع قطعة موسيقية تكون الساعة فى المكان الذى تلقي فيه التاسعة أو العاشرة مساء

وقد سمعت مرة آلة موسيقية غريبة تكاد تكون كموسيقى العبيد فى السودان فقالت لى ربة المنزل أنك تسمع الآن موسيقى جزائر هواى

كنا مرة فى حفلة سمر فى منزل أحد الطلبة فسمعت من جهاز الراديو الموضوع فى قاعة غير التى كنا بها ذكر الاهرام وابى الهول ، فرجوت الحاضرين ان يخلدوا ألى السكينة قليلاً ريثما أنصت الى الخطيب ، وما كدت أصغى برهة حتى تبينت صاحب الصوت ، فقد تصادف أن جناب الدكتور وطسن[1] كان يخطب فى ذلك الوقت فى مدينة نيويورك على بعد ٧٢٠ كيلو متراً من المكان الذى كنت فيه ، وأننى أؤكد لكم أن الدكتور وطسن لو أراد أن يوصل خطبته الى عدد كبير من سكان أميركا فخطب خطبته ألف مرة وكان عدد الحاضرين فى كل مرة خمسة آلاف نفس لما استطاع أن يكون عدد سامعيه بهذه الكيفية كعددهم بواسطة اللاسلكى

الى أى حد انتشر فى أميركا ؟ ألى حد أن الطلبة حتى فى المدارس الابتدائية يتعلمون صناعته بأيديهم ثم يأخذون الجهاز ألى منازلهم . واللاسلكى من مستلزمات المنزل كأنابيب الماء فى منازل القاهرة ، ويوجد حتى فى المنازل دون المتوسطة . وقد بيع من الأجهزة فى سنة ١٩٢٣ ما ثمنه ١٤ مليون ريال . وقد وصل هذا المبلغ فى سنة ١٩٢٣ ما ثمنة الى اكثر من ٣٦ مليون ريال أى انه تضاعف فى سنة ولا بد أن تكون الزيادة عظيمة فى احصائية سنة ١٩٢٤ . وبلغ اهتمام الناس باللاسلكى فى منازلهم أنهم يظهرون علائم الاستحسان والاستهجان كما يظهر السامعون ذلك فى قاعات الخطابة أو دور التمثيل بالتصفيق أو الصفير . ولذا لا يغفل الأهلون عن ارسال خطابات الاستحسان يومياً ألى شركات اللاسلكى ويصل أحدى هذه الشركات من زبائنها فى نيويورك وحدها الف خطاب كل يوم

ولكل فرد بحسب حالته فائدة فى اللاسلكى . فالاطفال لا ينامون قبل سماع الخطابات اللطيفة الفكاهية من اختصاصيين فى سرد هذه الخطابات وربة البيت

---

(١) رئيس الجامعة الامريكية بالقاهره

تنتظر بفارغ صبر صنفاً جديداً من الطعام أو نوعاً مستحدثاً من الكعك أو الحلوى يوصف بواسطة اللاسلكى . وغواة العلم والأدب ينتظرون الساعة التى تلقى فيها المحاضرات العلمية والأدبية من اساتذة الجامعات وأعضاء العائلة جميعهم يصغون الى محاضرة صحية لمشاهير الاطباء وهكذا

وقلما تخلو مدرسة ثانوية واحدة من ناد بل أندية للاسلكى . حضرت مرة فى أحدى هذه المدارس مناقشة حادة لأعضاء نادى اللاسلكى اتفقوا فيها على تغيير جهازهم بالآخر لأنهم لا يسمعون بواسطته ألا أميركا وهم يريدون سماع الممالك الأخرى فى أوروبا وجزائر الباسفيكى وقد اشترك هذا العام ثلاث عشرة جامعة وكلية فى تأسيس جمعية كبيرة للاسلكى

وكثيراً ما يبقى أفراد العائلة فى منازلهم أيام الآحاد لسماع الوعظ بواسطة اللاسلكى بدلا من الذهاب الى الكنيسة،وقد يكون الواعظ فى كنيستهم خامل الذكر فيؤثرون سماع أشهر الوعاظ على بعد آلاف من الأميال عنهم . أعلنت كنيسة مشيخيّة أثناء وجودى هناك أنها ستطير خدمة يوم١٨ ابريل سنة١٩٢٤ باللاسلكى، وكان ذلك يوم الجمعة الكبيرة . وقد أرسلت لجميع المدن والقرى والصحف خطابات طلبت اليهم فيها أن يشتركوا فى العشاء المقدس وهم فى منازلهم مهما بعدت ، وذلك بأن يمدوا عصير العنب ويتبعون ما يفعله الحضور فى الكنيسة . وقرع فى ذلك اليوم الارغن الكهربائى الكبير بانغامه الشجية ، فاشترك فى الخدمة وسماع الوعظ والعشاء المقدس الملايين من الأنفس ليس فى أميركا فقط بل تعدى الى ماوراء البحر الباسفيكى أيضاً

قرأت مرة عن كهل يعانى سكرات الموت كان يتلهف لسماع خطبة لاسلكية لأحد الوعاظ قبل وفاته وما كاد الواعظ يسترسل فى موضوعه حتى نام الرجل مستريحاً نوماً أبدياً

وليس لدى من الوقت متسع لأسرد لكم كيف يستخدم اللاسلكى فى الجامعة التى كنت بها لألقاء المحاضرات فى الفلسفة والازياء والطعام وآداب المائدة مماً لا حصر له

وتستخدم المحال التجارية اللاسلكي للأعلان عن سلعها بدفع أجور خاصة لشركاته بواقع ١٠٠ ريال عن كل عشر دقائق و٤٠٠ ريال عن كل ساعة ،ولاشك

أن هذا ثمن بخس أذا قيس بالأعلان فى الجرائد والمجلات (فالأعلان المصور فى صدر مجلة «ستراوى ايفننج بوست» . أجرته عشرة آلاف ريال بشرط نشره مرة واحدة لا غير)

ولا يستبعد أن يسمع النوبيون من سكان أسوان والسودانيون من أهل دنقله وكردفان وكسله ودارفور فى عصرنا الحاضر أصوات الممثلين وعزف الموسيقيين فى اوبرا القاهرة الملكية . لا تمضى مدة وجيزة حتى تنقل الينا هذه الآلة الصامتة الناطقة ربما فى هذا المكان ، بل ربما فى خلال هذا العام موسيقى رومه و برلين ، وخطب الساسة في لندرة و باريز ، وعجائب الاخبار فى شيكاغو ونيو يورك . بيد ان هذا لا يشفى فينا غليلا ، نحن لا نرضى بهذا ولا بذاك . انما نريد أن يقوم فينا علماء ومخترعون ، ليستنبطوا حيلة تقوم بها هذه الآلة عينها بنقل ما يتردد فى صدر أسلافنا من أنفاس حارة ، وتمشى فى عروقهم من عصبية لا تفل ، وحماس وشمم . وهمة لا تعرف الملل . فنشيد أهراماً تزرى باهرام الجيزة . ونقيم عماداً ابن منها الكرنك . ونصنع منها تحفاً وتماثيل ، تبخس أمامها نفائس توت عنخ آمن . بهذا نعيد مجد طيبه وفخر منفيس وتمخض مصر الأسيفة اليوم ، فتلد غداً رمسيساً أقوى مراساً من رمسيس . فيردد اللاسلكى الى ما وراء البحرين الأطلسى والباسفيكى أنشودته الجميلة . هذا الشبل من ذاك الاسد

لقد ضاق نطاق المعمورة فانكمشت ودقت وأصبح اتساعها أقل من جزء من عشرة أجزاء من المليمتر . أجل،لقد مس ابن آدم باطراف علمه وذكائه أمواج الاثير . فأصبحت طوع بنانه . وفى طرفة عين يستطيع ساكن القطب الشمالى أن يسمع همساً ما يسره له ساكن القطب الجنوبى . العالم بأسره تحول ألى غرفة واحدة يتحادث فيها مع البشر جميعاً . لو كان اللاسلكى وليد القرون التى انطوت لكان يسمع روبينسون كروسو فى جزيرته النائية ضوضاء لندره وغوغاءها وكولومب في أسفاره صوت ايزابلا ملكة اسبانيا . ونابليون في منفاه هتاف الشعب فى فرنسا .

ألا تسمع الأطفال اليوم فى نيوجرزى صوت أخوانهم فى اسكوتلندا - ألا تتحدث الأم على مائدة الأفطار فى نيو يورك مع أولادها فى شيكاغو . ألا يبعث الهواء للفلاح

وهو منكب على محراثه تقريراً عن التقلبات الجوية وأثمان الحاصلات وارتفاع العمود الزئبق فى البارومتر . ألا تجلس امرأة الفلاح فى نيواورلينز وهى منهمكة بحياكة جوراباتها تنصت الى موسيقى الاوبرا فى نيويورك . ألا يصغى المكتشفون فى مجاهل الأقطاب الجنوبية ألى صدى رسالة لاسلكية من بوردو ألى مليورن فحواها أن بابا روما استقبل سفراء الدول ؟ ؟

لقد نفذت من معامل الأجهزة اللاسلكية ومخازنها كل ما لديها من الآلات التى تلتقط الأصوات من الهواء . وأمامها الآن من الطلبات فى امريكا وحدها ما تبلغ اثمانها ١٥ مليون دولار (٣ مليون . ج . م) . وأن سرعة انتشار اللاسكى تعادل سرعة انتشار التلفون والتلغراف ألف ضعف مما يدعو ألى الدهشة والاستغراب . لقد بيع فى الولايات المتحدة ٥٠٠ ألف آلة لاسلكية لالتقاط الاصوات فى أقل من ستة شهور . وتوجد بأميركا مخازن عظيمة لا يباع فيها سوى أجهزة لاسلكية لالتقاط الاصوات .

وقد تكونت شركات عديدة تعد حفلات غنائية وعزفاً على آلات الموسيقى على اختلاف أنواعها من أشهر المغنين وأمهر الموسقيين ، وخطباً شائقة وعظات بالغة مؤثرة من أكبر الخطباء ومشاهير الوعاظ . كل هذا أمام آلة لاسلكية كبيرة داخل بهو محاط بالستائر الكثيفة حتى يحصر الصوت ولا ينفذ ألى الخارج بل يرتكز فى الجهاز اللاسلكى . وهذا الجهاز يبعث بتلك الانغام والخطب الخ ألى جميع الذين يقتنون آلات فى منازلهم لالتقاط تلك الاصوات فى مواقيت يعلن عنها فى الجرائد السيارة . والغريب أنك أذا اشتريت الى آل منزلك آلة من هذا النوع لا تدفع ألى تلك الشركات شيئاً فى مقابل ما تتمتع به من الاصوات البديعة والخطب والموسيقى بل يكفى أن تدفع ثمن الآلة نفسها وهو يتراوح بين ستة دولار والف دولار . ومن المدهش أن الاصوات تصل ألى مسامعك جلية واضحة فيخيل اليك أنك تشغل المقاعد الأمامية فى الاوبرا

وتسمع الاصوات على بعد ألاف من الأميال ، وقد أنبأتنا الاخبار حديثاً أنه

أقيم فى باريس ليلة غنائية راقصة تمتع بها في بخارست عاصمة رومانيا عدد من أعيانها وعلمائها .

واستخدمت تلك الآلات ايضاً لنشر الاعلانات التجارية والتقارير الجوية والخطب السياسية والأثمان فى الأسواق المركزية فى ساعات معلومة تشير اليها الصحف في الوقت الملائم . ففى أميركا أى الولايات المتحدة وحدها ٥ آلاف جريدة تنشر فى كل عدد من اعدادها بروجرامات الشركات اللاسلكية المتنوعة . فأذا ما حانت الساعة المعلن عنها ضغطت ربة الدار على زر فى الآلة وجمعت اطفالها وقد ملوا الوحدة والسكون ، وربما كانوا فى مكان سحيق بعيد من ملاهى المدن وموسيقاها . وقد سئموا اسطوانات الفونوغراف المبتذلة . ضغطت على زر فشنفت أذانهم أصوات كأنها أصوات الملائكة أو الحور في الفردوس ، ثم يستغرقون فى الضحك عند سماعهم رجلاً مُهرِّجاً فيأوون إلى فى شركة أخرى يلقى حكايات مضحكة وفكاهات جميلة تشرح صدورهم فراشهم جذلين

ويوجد الآن فى الولايات المتحدة ألوف من الغواة الذين لديهم آلات لاسلكية لاستلام الرسائل وأرسالها ، ومئات الألوف ممن لديهم أجهزة لاستلام الرسائل فقط وينفق مئات الملايين من الجنيهات لتشييد محطات لاسلكية هائلة فى كل أنحاء العالم

أن اللاسلكية تتقدم يومياً تقدماً سريعاً باهراً . حتى أن العلماء انفسهم لم يعرفوا لسرعتها حداً . لقد تحققت أحلام الماضى ومستحيلات العصور البائدة . وطأطأت المعضلات رؤوسها أمام العلم والذكاء فى لمحة واحـدة . ومن ذا الذى يتنبأ بما يكنة المستقبل ويتكهن بما يجيء به الغد . جل جولة ببصرك فى عالم الخيال . وتصور أبعد ما تستطيع الوصول اليه . كل ذلك قد يكون فى قبضه يدك بعد ساعات معدودات .

وليست فوائد اللاسلكية قاصرة على ما ذكرت بل هناك فوائد عملية جليلة

تخابر السفينة التائهة وسط الضباب المتكاثف والبحر العجاج محطة لاسلكية على بعد الاف من الكيلومترات وتقول : أين أنا ؟ وباتباع الجهة التى تتجه أليها الرسالة وبعد عملية هندسيّة بسيطة تجيبها محطة لاسلكية ذاكرة لها طول المكان الراسية فيه وعرضه فتسير السفينة آمنة . ولا يخفى ما فى هذا من المنافع التى لا تحصى .

فقد يضل ربان السفينة عن الطريق لرداءة الجو وحلوكة الظلام و يبيت الركاب فى خطر. وسرعان ما تنجدهم المحطات اللاسلكية بسفن النجاة أذا ما أشرفوا على الغرق .

قد يشتد الظلام أيضاً وتهب الرياح والأعاصير ، فيفقد الطيار صوابه و يضل الطريق . و بأشارة من جهازه اللاسلكى تجيبه المحطة فى الحال ، أنت فى درجة كذا على بعد كيلو متر أو أكثر من مدينة منشستر مثلا . وقد أنشئت أكبر محطة لاسلكية فى نيو يورك فى عمارة بها ٢٤ دوراً

وللاسكية فوائد أدبية فضلا عن منافعها المادية التى ذكرت ، فهى من اكبر العوامل التى تساعد على ازالة التعصبات الجنسية ، والكراهة الناشئة عن اختلاف العادات والأديان ، والتى يعزى سببها ألى فقدان الرابطة بين الممالك وقلة المواصلات بينها . سترىبط اللاسلكية البلدان بروابط المودة والاخاء ، فيسمع الحبشى صوت الالمانى ، والايطالى صوت الهندى . والسودانى صوت الفرنسى . بذلك تخف وطأة العداوة الدولية . وتمحى الحدود الفاصلة بين الممالك . وتتوحد الاقطار والعادات . وترتقى الموسيقى وتتهذب العواطف . و يكون للتمثيل بواسطتها شأن عظيم

ولا ينظر اليها الجميع كأنها من الكماليات ولكنهم يعدونها من الضروريات كالأطباق والملاعق والماء والنور والموقد

وانظار العلماء الآن تتجه الى اتقان آلةصغيرة دقيقه من هذا النوع . هى عصا مجوفة يحملها الانسان فى يده يتوكأ عليها . يتصل بها سلك رفيع من بطارية فى جيبه و يستطيع أن يستخدم هــذه العصا البسيطة فى استقبال الرسائل التى تبعث بها المحطات اللاسلكية المختلفة

وقد ثبت ان الامواج المغنطيسية الكهربائية تسير بسرعة الضوء

و ينتج من ذلك أنه عند ما تغنى الممثلة الشهيرة مارى جوردن فى اوبرا شيكاغو رواية كرمن يسمعها نساء الفلاحين فى منازلهم . والعمال فى مصايفهم . وربة الدار على ماكينة الخياطة . بل كل من لديه آلة لا سلكية . وذلك فى كسر من الثانية . وليس ذلك فقط بل تصل أنغامها الشجيّة الى الشمس بعد ثمان دقائق . ثم تسير تلك الاصوات الملائكية سابحة فى الفضاء ألى أن تصل ألى كوكب جوبتر

بعد ٢٧ دقيقة . وأذا صح القول بأن هناك قوماً يعيشون كما نعيش نحن على هــذه الارض ، وكان لديهم آلات كالتى نتكلم عنها . أذا صح ذلك تمكن أولئك من سماع صوت هذه المغنية . وليس ذلك فقط بل بوضوح وجلاء تام . بل بلذة من يسمعها فى اوبرا شيكاغو

ولا يقف صوتها عند هذا الحد . بل يخترق الفضاء الى ما لانهاية ، وربما بعــد ١٠٠ مليون سنة يصل الى أعلى نجم شاهــدته الارصاد . وأغرب من ذلك كله أن ذلك الصوت بعد ان يقطع تلك المسافات الشاسعة التى تحار فى نهايتها العقول يبدأ رحلة أخرى حول الــكون و يعيد الــكرة . المرة بعــد المرة وهكذا يصبح صوت مارى جوردن مخلداً الى نهاية الدهر

و بعبارة أقرب اذا غنت منيرة المهدية دوراً من اوبرا كرمن أو روزينا أو تاييس أمام آلة لاسلكية وكان أحدكم هاجر الى القمر أو المريخ أو زحل على ظهر مركبة هوائية لاستطاع بآلة لاسلكية أخرى أن يشنف آذانه صوت منيرة رغم تلك المسافة الشاسعة

وأخاف أن أذكر فى ختــام مقالتى أن العلماء يرجحون الآن أن المخ فى حالة التفكير يحرك أمواج الأثير . وسرعان ما تصل آلات عصرنا الحاضر من الدقة والكمال ما يستطيع بهما انسان أن يشعر بما يخالج ضمير أخيــه . فوافضيحتاه أذا تم ذلك بل قل على الاسرار السلام ، اذا تم ذلك فليتناول كل منا ريشته و يمحو كلمة سر وجمعها أسرار من قواميس اللغة

و يل لأجدادنا منا . أنهم أذا بعثوا اليوم من قبورهم ورأوا وسمعوا كل هــذا لعادوا اليها مذعورين

والآن الغرب أمامكم يمثل على مسرح العــلم والاستقصاء والبحث والتفكير والتنقيب روايات تحير العقول وتشغل الاذهان وتشتت الافكار ، وما زلنا نحن الشرقيين نتكلم عن الجن ونتحدث عن العفريت . ألم يئن الأوان أن تدرج الجن والعفريت فى أكفانهما ، سائلين المولى صبراً جميلا على نسيانهما ، ناظرين الى ذلك الجنّ الغربى والشيطان الأوربى والعفريت الأمريكانى، حتى يمسنا نحن بعض الشيء من ذلك الجنون ، أن لم يكن بطريق النقل فعن طريق العدوى ؟

عظمة أمريكا التجارية

لست أريد أن أكتب شيئاً عن المصارف المالية هناك فليس ثمت من يجهل أن «وول ستريت» فى مدينة نيويورك مخزن الذهب ومستودع الأوراق المالية ومركز الثروة وأغنى بقعة في المعمورة ، ولست أريد أن أحشو هذه السطور بالارقام وعلى يمينها عشرات الأصفار تبيانا للقناطير المقنطرة من الأموال . فالكل يعلم أن أمريكا بلاد المال ،وفيها من أصحاب الملايين مايربو على ضعف مجموع ما فى سائر دول الارض . وقد كثر أصحاب الملايين هناك الى درجة تفوق الحصر حتى أنهم أصبحوا يفرقون بين أصحاب الملايين القليلة ويسمونهم مليونير وأصحاب الملايين الكثيرة ويسمونهم ملتيمليونير .وحتى يدرك القراء عدد أصحاب الملايين هناك أذكر أن عدد الذين انتحروا منهم سنة ١٩٢٢ر٧٣ نفساً

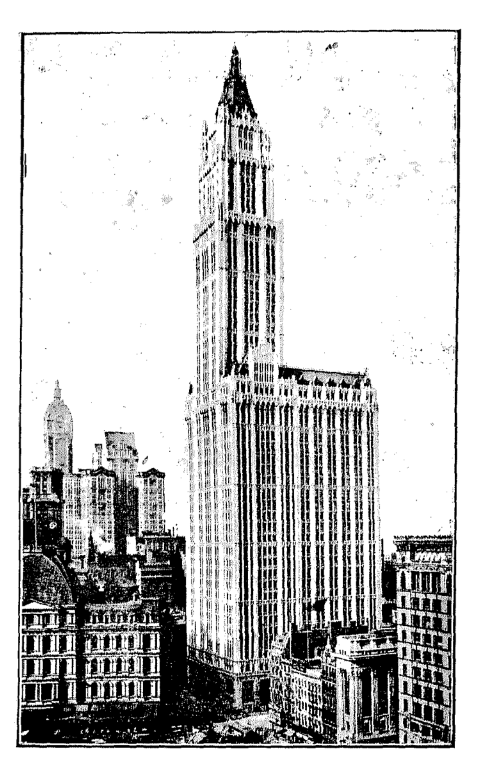
وحسب القارىء أن يعلم أننا اذا وضعنا ولايات أمريكا المتحدة فى أحدى كفتي الميزان والعالم كله فى الكفة الأخرى فاننا نجد أمريكا تخرج ٩٠ فى المائه من الاتومبيلات و٩٠ فى المائه من شرائط السينما و٨٠ فى المائه من التليفونات و٨٠ فى المائه من الآلات الكاتبة و٧٥ فى المائه من الزيوت و٧٠ فى المائه من النحاس و٦٠ فى المائه من الصلب مما تخرجه ممالك العالم كله جمعاء

أريد أن أصور للقارىء رسما كروكيا لبعض المخازن التجارية هناك بياناً لعظمة أمريكا التجارية . ألا أننى ألفت الأنظار الى مسألة هامة . وهى أن جميع أولئك الذين قاموا بجمع تلك الثروة الطائلة عصاميون من الذين هاجروا من العالم القديم طلباً للحرية بأتم معانيها . وطمعاً فى بلوغ المجد وادخار المال . فقد زرت مرة مع فريق من الطلبة في نيويورك البورصة المالية ؛ وما كدت أقف على الشرفة المطلة على الساحة الكبرى التى تطل على التجار والمضاربين ،حتى هالنى عددهم وسرعة حركاتهم وشدة الضوضاء والزحام بينهم . وكانت عيون الكثيرين منهم تطيل النظر فى لوحة كبيرة جداً يكاد أعلاها يمس سقف البناء الشامخ وأسفلها أرض الردهة . فأذا باللوحة مفعمة

بثقوب صغيرة يتدلى منها بسرعة فائقة من حين لآخر أزرار صينية مرقومة . قيل لنا أنها أشارات تدل التجار على أن أشخاصاً يريدون مخاطبتهم تلفونياً . ولما اجتمعنا فى غرفة مدير البورصة خطب فينا خطبة جامعة شرح فيها أعمال البورصة وكان محور كلامه يدور على نقطتين . أحداهما الأمانة مصدر الثقة المالية التى هى أس النجاح . والأخرى أن جميع كبار الماليين فى أميركا بدأوا فقراء ولم يبلغوا تلك المنزلة الرفيعة ألا بجدهم وذكائهم وأمانتهم واعتمادهم على أنفسهم

سر معى فى احدى الشوارع التجارية الكبرى وارفع بصرك ألى الأعلى حيث البنايات الشامخة تناطح السحاب . ولا تنس أن تضع على عينيك نظارة قاتمة اللون، فأن أنوار الكهرباء المتألقة المتحركة تتلألأ فى كل مكان ، وتشغل كل حيز فى تلك العمارات الضخمة . فأذا ما تطلعت يمنة أو يسرة فى الطابق الارضى أو الأربعين أو الستين،ألفيت خيوطاً من المصابيح الدقيقة تجرى كالبرق الخاطف ،وتتلون بجميع ألوان قوس قزح ، وترسم أشكالا هندسية وتأخذ أوضاعا بديعة التنسيق . واصعد معى ألى الطابق العشرين أو الثلاثين ، من أحدى تلك المخازن فى شارع برودواى . ثم قلب نظرك فى بدائع السلع والتحف والنفائس وما يحتاجه هذا المخزن من ألوف الموظفين من رجال ونساء . وملايين الريالات والمهارة والخبرة فى ادارته . ثم تتبع تاريخ صاحبه أو أصحابه وكم كان رأس مالهم يوم نزحوا من اسكوتلندا وهولاندا أو فرنسا أو انجلترا . .

عرج بنا الآن على أحد المخازن المعروفة باسم « ولورث » ولا تخش أن أسير بك طويلا أو أنزل بك تحت الارض لتركب القطار الأرضى أو أصعد بك ألى فوق لنأخذ القطار المعلق . لا تخش هذا ولا ذاك . فسواء أكنت فى نيويورك أم فى أية مدينة سواها أو بلدة.وسواء أكنت فى هذا الشارع أم فى ذاك فاننا لا نسير طويلا حتى نجد احـــد مخازن « ولورث » لأنها منتشرة كالنمل فى كل ركن وفى كل شارع ، ولا تخش أن تكون نقودك قليلة أو جيبك خاويا . فالمسألة فى غاية البساطة : مخازن ولورث على اتساعها وانتشارها وشهرتها الذائعة لا يباع فيها شىء بأكثر من عشرين مليما (١٠ سنتيات) ولا ينقص فيها شىء عن عشرة مليمات ولذا يطلق عليها اسم مخازن العشرين (مليما) . وفيها يمكنك أن تشترى كل ما تريد . فالجوراب



(بناية ولورث فى نيويورك وهي مكونة من ستين طابقا)
(أعلى بناء فى العالم)

(مقابل صفحة ٤٤)

والحزام وحمالة البنطلون وفرشة الملابس والحذاء والعصا ورباط الرقبة والأناء كلا بقرشين . والمنديل والمشط واللعب للاطفال وزجاجة الروائح العطرية ومسحوق الأسنان واطار الصورة والصابون العطرى وعلب الورق للخطابات والقبعات الصغيرة كل بقرش واحد . وأعلم أنك تجد هناك عشرة آلاف صنف وصنف . غير أنى أنصح لك أن تضبط نفسك ولا يدفعك رخص السلع على الأكثار من شرائها لأنها تشغل فى حقائبك فراغا أنت فى حاجة اليه . ناهيك بالجمرك . فأن العمال فيه لا يصدقون أنها بثمن بخس . فقد أحضرت معى من نيويورك أطاراً جميلا دفعت عليه فى الجمرك فى الاسكندرية خمسة غروش . فى حين أن ثمنه غرش واحد . كما أننى أحضرت معى آلة كاتبة دفعت فى شرائها عشرة جنيهات . وعند دخولى المانيا طلبوا منى أن أدفع عنها خمسة جنيهات . واضطررت أن ألقى من حقائبى أشياء كثيرة كنت اشتريتها بثمن بخس فى أمريكا نظراً لما كنت أعانيه من عمال الجمرك فى النمسا وايطاليا وهولندا والسويد والنرويج ومعظم ممالك أوروبا

ولا يفوتنا أن نزور البناء الأكبر لمخازن ولورث فى الشارع رقم ٢٣ فى مدينة نيويورك .فقد آل ولورث على نفسه أن يقتصد من أرباحه فى السلع التى لا يزيد ثمن الواحدة منها عن قرشين حتى يحشد من الثروة ما يشيد به أكبر بناية فى نيويورك ويجعل مركز تجارته فى الطابق الأول منه .

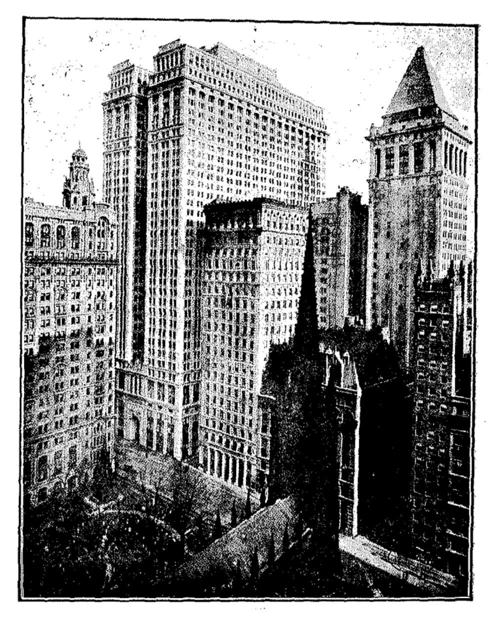
نعم يجب أن تزور هذه البناية الشاهقة التى تتطلع اليها أنظار المسافرين على ظهور البواخر قبيل دخول ميناء نيويورك . وحتى نصعد الى الطابق الثامن والخمسين يجب أن نأخذ الصاعد الكهربائى السريع حتى الطابق الخمسين . ثم ننتقل الى الصاعد البطىء الى الثامن والخمسين .ولا يتطرق اليك خوف الانتظار ، فان هذه البناية بها ثمانون صاعداً . وليس هذا بكثير فان عدد سكانها يربون على خمسة عشر الف نسمه .

ومتى صعدت الى البرج الذى يعلو هذا البناء المنيف ، فانظر الى أسفل ، وضع يدك على قبعتك لأن تيار الهواء شديد جداً ،ولا تحمل فى يدك عصا أو جهازاً للتصوير الشمسى أو غير ذلك مما هو عرضة للسقوط والأضرار بالمارة فى الشارع ضرراً بليغا . من الطابق الأعلى لهذا البرج ، جل بنظرك جولة الى فوق ، حتى تشاهد نفسك بين

السحب ودخان المصانع المتعاقد فوق رأسك . ثم انظر الى أسفل مرة أخرى ، وقلب الطرف فى كل مكان ، حيث مئات الألوف من السيارات فى الشوارع تزحف على الارض المرصوفة اللامعة كأنها خنافس وحشرات حقيرة،وحيث يخيل أليك أن حدائق النزهة وما يتصل بها من شوارع وطرقات ،عبارة عن خرائط ورسوم تخطيطية كأنها ملونة . وتأمل كم تتضاءل أسفلك تلك البنايات الشامخة بما تحمله من ملايين النفوس والأثاث . وانظر ألى النوافذ الزجاجية التى يخيل لك أنها ثقوب صغيرة كالارقام على لوحة التليفون أمام العاملات . ولا يفوتنك أن تطيل النظر فى قنطرة بروكلن التى تربط حى بروكان بنيويورك ، والتي يقال أنها اكبر عمل هندسي فى العالم ، ثم قارن هذا البرج ببرج ايفل فى باريس ،ولاحظ أن الأخير اكثر ارتفاعاً من ولورث ، غير أن برج ايفل ما هو إلا برج من الفولاذ قائم بذاته . أما برج ولورث فجزء من أعظم بناء فى العالم .

لنأخذ الصاعد الكهربائى الآن ألى أسفل ومنه ألى الشارع حيث نجد باب النفق الموصل الى القطار الارضى . ولنترك الآن الصاعد الموصل الى رصيف القطار ونسير على أقدامنا على درجات سلم من المطاط . ولكن احذر ياصاح . فأن هذا السلم متحرك كما هو الحال فى لندرة وباريس وبرلين . ولك الخيار . فأما أن تقف فى أعلى درجة من السلم وما هي إلا دقيقة حتى تجد نفسك على الرصيف ، أو تنتقل من درجة الى درجة كما تفعل عند نزولك سلم المنزل المعتاد . وما هى إلا بضع ثوان حتى تكون على الرصيف،ولما كان على كل من جانبي الرصيف قطاران أحدهما سريع والآخر بطيء وكان يقوم قطار فى كل دقيقة فانا سنجد القطار تواً . ووجهتنا الآن الشارع رقم ٩ من برودواى . سنصل فى بضعة دقائق وهناك نجد نموذجاً آخر من المحال التجارية العظيمة

الآن نحن على أبواب مخازن وانميكر فرع نيويورك . وهو عبارة عن عمارتين واسعتى الاطراف تربطهما قنطرة كبيرة . محاطة بالأبواب من كل صوب وهى فى غنى عن الضوء الطبيعى بعكس معظم عمارات اميركا . وذلك لأن السقف مغطى بالزجاج فينفذ منه الضوء على الطريقة التى رسمها ميشيل انجلو فى بناء كاتدرائية القديس بطرس



(مجموعة بنايات شامخة فى نيويورك)

(مقابل صفحة ٤٧)

فى روما ، ولك أن تختار من البضائع ما تشاء . ولا يلزم أن تدفع فوراً بل يمكنك أن تعطيهم عنوانك وعند وصول البضائع يدفع الثمن عند التسليم أو فى نهاية الشهر . أو يمكنك أن تدفع بالتقسيط ، ولننظر الآن إلى الصواعد الكهربائية ، فهى كثيرة جداً و يسهل معرفة غير المشغول منها متى كان المصباح الذى فوق الباب غير منار . ولا يخطر ببالك أنك لا تجد نوعاً من أنواع السلع هناك ، فهذا المخزن « كشكول » لكل شىء ، وهو مدرسة بل جامعة كبيرة يدرس فيها تاريخ الملابس وأثاث المنازل فى جميع العصور وعند جميع الأمم . فهناك تجد منزلا صغيراً فى الدور العشرين كله مفروش بزى لويس الرابع عشر . من مصابيح وأبسطة وأسرة وخزانات وموائد وأطيان الخ . ومنزلا آخر بزى يابانى أو صينى أو مصرى الخ

وتجد فى الطابق القريب للأخير حديقة جميلة ونافورة يتدفق منها الماء فيسقى الزهور المحيطة بها . وفى طابق آخر تجد قاعة مترامية الاطراف للمائدة . فيها تتناول الطعام والشاى . وقد توجهت مرة مع أعضاء النادى المختلط فقدموا لنا على حساب المحل الشاى والمثلجات والحلوى وأكرمونا فوق ما يجب أن يعمل . ويجب أن تلاحظ أن فى هذا المخزن غرفاً وردهات عديدة للاستراحة فى كل ركن تقريباً ، وأن هناك ملهى كبيراً تمثل فيه روايات من اكبر الفرق التمثيلية يومياً من الساعة الثانية مساء . والدخول فيه مجاناً . ويجب أن تدخل هذا المسرح لأن فيه أبدع روايات تمثيلية من نوع الدراما والكوميديا ، وفيه فرقة من أمهر الراقصات الاميركيات ، وفرقة للموسيقى ، ومعرض فيه أحدث الشرائط الصور المتحركة . ولا يحتم أن تشترى شيئاً حتى يصرح لك بالدخول لان هذا مباح للجميع على السواء

ولما كان عدد الموظفين فيه ستة آلاف وخمسمائة وكان عدد زائريه لا يعد ولا يحصر ، فأن الأدارة جعلت فيه قوة دائمة من رجال الشرطة ، وفرقة مطافىء للحريق ، ومستشفى للموظفين وعائلاتهم يعالجون فيه بغير مقابل . وناديا للموظفين أيضاً وقاعة كبيرة للمائدة خصيصة لهم . وبهواً فخماً للرقص للعمال والعاملات . كما أن هناك فرقة للموسيقى من الموظفين . لان جميعهم يجتمعون كل صباح قبل الافتتاح ولا يباشرون أعمالهم قبل أن يسمعوا أدواراً موسيقية جميلة . وهناك مدرسة للتجارة

العملية فيهـا الموظفون المستجدون . و بين العمال والعاملات صبيان وفتيات دون السابعة عشر .هؤلاء يواظبون على الدراسة فى مدارسهم تنفيذاً لقانون التعليم الاجبارى، و يشتغلون بعد الانصراف فى هذا المخزن . غير أنه يشترط على هؤلاء أن يكونوا تحت مراقبة الموظفين الذين هم أكبر سناً منهم . و يكلف كل من هؤلاء بمراقبة عدد من أولئك الصغار فى الخارج حتى يشبوا على الفضائل والأخلاق السامية . ولابد أن تلاحظ أن صغار المستخدمين هؤلاء جميعهم أقوياء البنية ، جمال الطلعة . و يصرف لهم بذل رسمية ثمينة القيمة بديعـة المنظر . ولا يسعك ألا أن ترى بنفسك كم يمتاز هذا المخزن عن سواه،بحسن معاملة موظفيه،وسمو أخلاقهم وما تدل عليه ملامحهم من الراحة والصحة والاستقامة .

الآن اصعد معى الى الجزء الأدارى الذى فيه مئات من الآلات الـكاتبة ، والبنات اللواتى يكتبن عليها . قف وقفة واحدة فقط وانظر أصابع الـكاتبات تتحرك بسرعة البرق ، وأنصت الى أزيز الآلات ودقها . ولاحظ أن الحروف غير مكتوبة على المفاتيح . ذلك لأن هاتيك الـكاتبات ماهرات جداً فلا ينظرن ألى أصابعهن على الآلة الـكاتبة بل يكتفين بالنظر الى الأوراق التى يكتبنها فقط .

والآن لتصعد الى الطابق الاخير لتشاهد أغرب شيء فى هذا المخزن . ولـكن يجب أن تأخذ معك ملابس الشتاء ولو أننا فى فصل الصيف . ذلك أن الدور الأخير يسلط عليه تيار من غاز بارد، فيصبح فيه الطقس شتاء قارصاً .ذلك لأن هذا الطابق معد لخزن الفراء الثمينة التى يودعها أصحابها أبان فصل الصيف ، حتى لا يتطرق اليها الفساد . ثم يستردونها شتاء . واعلم أن السيدة الأميركية الغنية قد تبلغ ثمن الفروة الواحدة عندها خمسين الف ريال أى فوق عشرة آلاف جنيه . كما أن الأمريكى الغنى يرتدى سترة من الفرو تبلغ قيمتها الف وخمسمائة ريال أى أكثر من ثلثمائة جنيه . وكل هذه الفراء الجميلة الموضوعة بكل عناية على الرفوف ، مؤمن عليها بتسعة ملايين ريال أى مليونى جنيه تقريباً . و يدفعون أجرة الايداع ٢ فى المائة من ثمن الفراء الاصلى.ولا يمكن أن تغادر هذا المخزن التجارى بغير أن تصرف فيه يوما كاملا

على الاقل وتتناول فيه الغذاء وتحضر التمثيل والرقص والموسيقى وتشاهد أقسامه العديدة دون أن تشعر أنك خرجت من مدرسة عظيمة بل مدينة عامرة

أما الآن وقد نالك من المشقة والتعب الشيء الكثير فانني أنصح لك أن تشاهد احدي مسارح نيويورك العظيمة ترويحاً للنفس ، غير انني أرى ملابسك ليست نظيفة كما يجب ، والمكان الذى فيه ملابسك بعيد عن برودواى وليس هناك من الوقت متسع لتغيير ثيابك . فما العمل . المسألة بسيطة ، لنعبر الشارع وندخل احدى هذه المحال التى يجب الوصول اليها بنفق تحت الارض ، لندخل من الباب المعد للرجال هناك . ندخل أولا حانوت الحلاق حيث يصلح شعرك وينظف حذاءك وتقص أظافرك فى نفس الوقت ، ثم يقودك عامل الى الحمام الساخن والبارد ، فتسلمه جميع ملابسك وهو يأخذها الى آلة كهربائية تقوم بغسلها وتجفيفها وكيها على جناح السرعة ولا تكاد تنتهى من الاستحمام حتى تجد القميص والياقة والجوارب والملابس الملاصقة للجلد والبذلة كلها كأنها مشتراة من التاجر حالا

أما وقد قمت بهذه العملية فى أقل من عشر دقائق وأصبحت ظريفاً أنيقاً « وجنتلماناً » بالمعنى الصحيح فيمكنك الآن أن تتناول صحيفة يومية وتقرأ ثمانية أنهر بالخط الدقيق ، وهى الصحيفة المخصصة للملاهى واختر لنفسك ما تهوى ، وانى موقن انك ستجد الملهى الذى تختاره فخماً شيقاً باهراً للابصار والموسيقى والتمثيل والمناظر أجمل ما تقع عليه عين وتسمع به أذن ، والناس الذين تجلس بينهم راقون لطفاء ، ينصتون لما يجرى حولهم وكأن على رؤسهم الطير

غير انني أنصح لك ، اذا عرفت أحداً من جيرانك فى ذلك الملهى ، أن تمتنع عن ابداء الملاحظات بتاتاً ، واذا كان لا بد من ذلك فافعل ذلك بصوت خافت جداً وبكل اختصار . أما اذا كنت فى احدى دور الموسيقى ، فلا تهمس ولا تتحرك واحبس نفسك حتى ينتهى الدور . فقد توجد فى دار كارينجى حيث يكون الحضور خمسة آلاف وعدد الموسيقيين والموسيقيات خمسمائة ولا يرضى جارك أن يفوته سماع واحدة من تلك الآلات العديدة . وأذا كنت فى احدى دور الصور المتحركة فلا

تظهر جهلك بأسماء الممثلات والممثلين ، لأنهم ينتظرون من الاطفال أنفسهم أنهم يميزون لأول وهلة ماری بكفورد وجلوريا سوانسن ، وبولا نيجرى ، وماريون ديفس ،وليليان جيش ، وفلانتينو ، ودوجلاس ، ولويد وشابلين الخ

وبعد نهاية الحفلة عرج على مطعم من المطاعم للعشاء ،لأن الساعة أذ ذاك تكون الواحدةبعد منتصف الليل.ولك الخيار ،فاما أن تذهب الى مطعم كمطاعم القاهرة،وهنا يجب أن تدفع ثمنا باهظاً.غير انك تستطيع أن تدخل مطعم تشايلد وله فرع فى كل ركن من كل شارع فى كل مدينة فى أمريكا على اتساعها . وهنا تجد المكان مفتوحاً على الدوام ليلا ونهاراً فى أية ساعة شئت ، والاثمان رخيصة ، والاوانس اللواتى يقمن بخدمتك لا ينتظرن منك « بقشيشاً » يذكر . وهذه المطاعم شبيهة بمطاعم لا يونز فى انجلترا وآخر لا أذكر اسمه فى برلين . فمتى كان جيبك خاوياً يحسن أن تقصد هذه المطاعم « الديموقراطية » دون سواها

هذا واذا كنت تريد أن تأكل على عجل ، فادخل المطاعم المشهورة الموجودة فى كل بضع خطوات فى كل أمريكا حتى السكك الزراعية في الخلاء . ويطلق عليها اسم « كفاتيريا » . هناك لا تجد أحداً يخدمك ، فقط تنازل واحمل ما تريد من أصناف المأكولات بنفسك وخذها الى المائدة ، وتفضل فكل هنيئاً واشرب القهوة واللبن فى فناجينها الامريكية الضخمة مريئاً ،ومتى فرغت من الاكل ادفع الثمن للفتاة الجالسة الى الخزانة . وأذا أردت السرعة فادخل مطعما من ذوات المحركات الذاتية ، وما عليك الا أن تضع النقود فى ثقب فيخرج لك الطعام أو الشراب الذى تريد

وأذا كنت لا تود الاكل بالمرةفقف أينما كنت وانظر الى أية جهة كانت ، فلا بد أن تجد صيدلية (اجزاخانة) على بعد بضعة أمتار منك . ادخل الصيدلية وتناول طبقاًمن الدندرمة الامريكية الشهيرة ،سواء أكان ذلك صيفاً أم شتاء ،لأن الدندرمة الامريكية شهية جداً ، ومن العيب أن تزور أمريكا دون أن تذوقها

ولا بد أنك تشاهد حتى فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، رغم البرد القارص والثلوج المتساقطة، كثيرين ينتظرون دورهم لشراء الدندرمة فى صناديق من الورق بأيديهم

وأرجو المعذرةأذا أطلت عليك الحديث وخرجت عن الموضوع فى بعض النقط،

لأنني انما أردت أن أقدم للقراء الكرام نموذجاً مصغراً للحركة التجارية لبلاد كأميركا يشتغل ٨٦ فى المائة من سكانها بالزراعة . ولعمرى أن الاسترسال فى وصف مثل هذه النماذج عن كبريات المحال التجارية وذكر الارقام التى يخالها القارىء كذباً وأوهاما ما هو الا وشل من بحر، فياحبذا لو قام أرباب الاموال من مواطنينا بزيارة مثل هذه المحال ودرس الاسباب التى أدت بهم الى النجاح فى أعمالهم، وكيف أن معظمهم بدأ فقيراً وتاجراً بسيطاً، ثم أخذ فى النمو والأثراء حتى خلقت له من العدم مجداً ومن الفقر جاها ومن البؤس عزاً وحظاً .



١٥٠٠ خطاب يوميا

لهنري فورد

يطلب فيها اصحابها منحاً وهدايا

هنرى فورد ،صاحب السيارات المعروفة باسمه المثرى الامريكى الكبير ،يختلف عن سائر اصحاب الملايين فى اميركا فى عدم اعتقاده بوجوب الاشتراك فى أعمال الخير والاحسان ،عن طريق المنح والتبرعات والهبات . فقد بلغ مجموع ماوقفه روكفلر من الاموال على نشر المعارف،وتنشيط البحث العلمى،ومساعدة اعمال البر والاحسان ٥٧٥ مليون ريال . كذلك كارنجى وقف ٣٥٠ مليون ريال . وأذا اهملنا أولئك المحسنين الذين تبرعوا بمبالغ أقل من عشرين مليون ريال كان مجموع ماتبرع به اؤلئك الذين دفعوا فوق ذلك ١٦٢١ مليون ريال أو ٣٢٤ مليون جنيه مصرى

أما هنرى فورد فليس من مبادئه بناء الكنائس أو الكليات وليس من رأيه مساعدة الفقراء والمعوزين . ولكنه عوضا عن ذلك يعمل على اسعاد عماله ، فيدفع لأقل واحقر عامل فى مصانعه سبعة ريالات يوميًا ،و يدفع لأصغر مهندس ستة عشر ريالا يوميًا ، و يعطى كل عامل أو موظف سيارة دون أن ينقد ثمنها فوراً ، بل يكتفى بدفع ريال من ذلك كل أسبوع . وفوق ذلك فانه على قدم وساق فى بناء منازل صغيرة لعماله وموظفيه ومتى فرغ من ذلك يكون عدد تلك المنازل ٧٥ الفًا لخمسة وسبعين الف عامل . و يقوم فورد أثناء العمل بتقديم القهوة والمثلجات والحلوى لعماله

بالاختصار لا يدخر جهداً الا و يبذله فىسبيل اسعادهم لأن سعادة العالم تتوقف على سعادة العمال . وكلما تكدست أرباحه فى المصارف المالية سحبها وأنشأ مصنعًا جديداً ودعا ألوف العمال والمهندسين لأدارة المصنع . و يتعهد بدفع أجور تزيد عن الأجور المعتادة عند غيره ٢٠ فى المائة على الاقل . يعتقد أن الهبات والتبرعات ليست بالعلاج النافع لقطع دابر العوز والفقر . يقول أن هذه تسكن ألما وقتيًا ولا يلبث أن يبخر الدواء فيعود الألم أشد مما كان . وأن أفضل علاج للفقير اعطاؤه الفرص للعمل

والكد حتى يعول نفسه فيرى فى العمل شرفاً وشمما وعزة جانب . قال مرة لأحد أصدقائه هذه العبارة « أن نقودى كلها تنفق فى بناء المصانع حتى يفتح باب الرزق للعمال المساكين . أنا لا أريد نقوداً لنفسي ولا أطيق بقاء المال عاطلا . فلذة المال عندى أن أراه يحرك عشرات ومئات الالوف من أيدى العاملين . أن أموالى كلها تنفق لادارة دولاب الاعمال وتهيء للعمال ما يستطيعون ان يربوا به أولادهم ويقوموا بسد حاجياتهم . وهذه لعمرى السعادة بعينها . وهذه هى الهبات فى نظرى »

يقول أن الكثيرين يلوموننى لأننى لا أبسط يد العطاء لمن يطلبون أحساناً ولكن أولئك العذل لا يعلمون شيئاً عن أكياس الخطابات التى تحملها ألى يومياً سيارة ضخمة من مصلحة البريد ، أولئك لا يعلمون أن أصحاب هـذه الخطابات جميعهم يطلبون أحساناً . أن عدد هـذه الخطابات ١٥٠٠ كل يوم . وبلغ مجموع ما يطلبه أولئك الشحاذون فى سنة واحدة ٤٠٠ مليون ريال . وعلى هذا الحساب أذا أجبت طلباتهم فأننى أفلس فى سنتين . وأذا وقعت يومياً على ألف وخمسمائة تحويل أجابة لتلك الطلبات فاننى لا أستطيع أنجازها فضلا عن انقطاعى لهـذا العمل دون سواه . أن هذه الخطابات لا ترد فقط من أمريكا بل من كل مملكة على خريطة الدنيا الا بلاد الهند . ولست لعمرى أدرى لم كانت الهند البلد الوحيد المتعفف . أننى مضطر أن أنشىء مصلحة واسعة لقراءة هذه الرسائل والرد على كاتبيها . فمن عمال يملأون الاكياس بالرسائل ويحملونها على سيارة ضخمة . وينقلونها منها ألى الديوان المعد لها . وكاتبات يقرأن المكاتيب ويفضضن غلافها ويرتبنها . وقد تبلغ الرسالة الواحدة عشرات الصفحات . وآخرين للرد والتوقيع عليها من السكرتيريين. أن واجب المجاملة والذوقيات يقضى أن أجيب على كل رسالة ، وكلها تنبىء عن أسفى لعدم أمكانى أجابة الطلب . أن الرديكون موجبا لعدم الرضا من أصحاب الرسائل . ولكن ليعلم هؤلاء أن المرء لايجزل لهالعطاء فى مقابل رسالة لايستغرق تحريرها بضعة دقائق ولا تكلفه سوى بضعة مليمات . يظن كاتبو تلك الرسائل أنني أجلس على مائدة الأفطار كل صباح فيحمل ألى خادم جميل الطلعة حسن البذة آنية من الفضة مموهة بالذهب وفوقها بضعة خطابات بينها رسائلهم التي يجب أن اقرأها بكل شغف وتأثر

فلا يسعنى الا أجابة الطلب . قد يكون ذلك فى روايات المسرح أو شرائط السينما توغراف ...

أننى أعترف أن بعض هذه الرسائل تتطلب مبالغ طائلة . فهذه امرأة تريدنى أن ادفع لها اربعة ريالات ثمن حاجيات اشترتها من البدال . وهذه اخرى تريد ريالا واحداً لشراء لعبة لابنها بمناسبة عيد الميلاد . وهذه أخرى تطلب منى فيها أن أتبنى بنتها الوحيدة حتى تنال قسطا وافراً من التهذيب وتردف ذلك بقولها أنها مستعدة أن تضحى حنوها الوالدى فى سبيل هذا التبنى . لقد كنت فقيراً يوما ما وكنت فى كثير من الاحوال أحتاج نقودا ومساعدة . ولذا فأننى أشفق على أولئك وأرثى لحالهم . غير أننى أذا أعطيتهم ما يطلبون ينتظر غيرهم منى أن أفعل بهم ما فعلت بسواهم

مضمون هذه الرسائل بسيط جداً . الزوجة الغيورة تريدنى أن أدفع ديون زوجها .والزوج المعجب بزوجه يرسل ألىأن أبعث تحويلا لثمن بيانو . والشاب يرجونى أن أنفق عليه لتلقى دروسه فىالجامعة وأبعث بهلتلقى دروسه الموسيقية فى بلاد اجنبية. والقس يريدنى أنأهدى كنيسته سيارة أو أكثر . والالمانى والفرنسىوالروسى وغيرهم يريدون أن اساعدهم فى نفقات السفر حتى يقوموا برحلة ألى أميركا . والعاملالطليانى شغوف جداً أن يشتغل في معاملى ، فقط يريد ثمن التذاكر من رومه الى اميركا . و بلغت السذاجة من امرأة انها تطلبالىّ أن ادفعلها الغرامة التىوقعها رجال الشرطة على ابنها ، وهى لاتتجاوز بضعة شلنات

أن بعض الرسائل ضافية الذيل وفيها روايات واقعيه لمأساة الحياة وما فيها من الأشجان التى تثير العواطف ، وتنبىء عن مقدار البؤس فى العالم وما تقاسيه العائلات والأفراد من الذل والمسكنه والفقر المدقع . غيرأن هناك من الخطابات ماهو فكه غريب مضحك . فقد كتبت لى معلمة قروية تقول أنها تريد أن أقرضها الف ريال ثم أودع ذلك المبلغ بمالى من الدراية والخبرة المالية فى مشروع نافع ألى أن تنمو الالف ريال وتصبح ماية الف. ومتى تم ذلك اخصمما اقترضته منى وابعث لهاتحويلا بالباقى . لابد ان تكون هذه الشابة قد فكرت طويلا حتى اهتدت ألى هذه الفكرة

الصائبه وارادت تثرى دون أن تكلفنى شيئا . ولـكن كنت أتساءل لم لم تطلب أن اقرضها مائة الف ريال وأبعث لها بتحويل قدره مليون ريال . وقد وصلنى كتاب مرة داخله طابع بريد من فئة السنتين (أربعه مليات) وشرح الـكاتب الغرض من الطوابع وهو أرسال الرد دون أن يكلفنى اجرة البريد . فقط على أن أهديه سيارة فورد .

ومن هذا يتضح أن المتسولين لا يتخذون فقط قارعة الطريق محلا مختاراً بل منهم من يتسول وهو على مكتبه يحرر الخطابات لمثلى

وليس التسول مصدره الفقر والعدم فقط ، فقد جاء كتاب مرة من أحدالأغنياء يطلب منى هبة قدرها ثلاثة ملايين ريال يشترى بها منجما من الفضة وراءه ارباح طائلة .

أن المتسولين من الشرقيين أشرف بكثير من اخوانهم الغربيين . فأن معظم الرسائل التى ترد من اليابان والصين يكتبها طلبة ممن يريدون تلقى العلم فى اميركا على جيبى الخاص

ومن الغريب أن كثيرين يتوهمون انى « سنتا كلوز » . ذلك الرجل الخيالى الذى يوهمون به الأطفال فى عيد الميلاد و يقولون أنّه يوزع الهدايا على مستحقيها منهم ، فالـكثير من أصحاب الرسائل يطلبون هـدايا لعيد الميلاد . وهذه الهدايا تتناول كل مايخطر لك ببال ، من أصغر الأشياء وأحقرها،الى القصور والحدائق الغناء . وقد طلب منى مرة احدهم ان أرسل له عكازين يتوكأ عليهما ابنه المقعد . وطلب منى شاب أن أبعث له بمبلغ ١٨٥ ريالا ليشترى بها ، سكسافونًا ، (اسم لآلة موسيقية) وكتب آخر يريد أجرة عملية جراحية ، وآخر يريد مقعدا ذا عجلات لأنه كسيح ، وآخر يريد السفر ألى فلوريدا ، لأنه مريض بالسل .

فليتق الله أولئك الذين يحملوننى مالا أطيق و ينقلون الى آذانى تلك الروايات المحزنة والأسرار العائلية التى تحرك العواطف وتجرح الوجدان . أن السيارة الـكبيرة التى تحمل الف وخمسماية رساله كل صباح تمثل أمام عينى قبل طعام الأفطار البؤس والعوز فلا أجد فى الطعام حلاوة ولاأذوق له طعما ،

الحركة الفكرية والتجارب العملية

وحب التغيير

كان العلماء ألى أواخر القرن السابع عشر يصرفون الأجيال الطوال فى المناقشة والجدل بلا جدوى . وكان يتمسك كل منهم بأذيال رأيه ويدلى بالحجة تلو الحجة طمعاً فى التغلب على نظيره . ومازالت هذه صفة البلدان التى لم تنل من المدنية قسطا وافراً ألى يومنا هذا .

غير أن التجارب العلمية ،والمخترعات الحديثة ، والاستكشافات المدهشة ، أماطت اللثام عن الحقيقة . وكشفت حجابا طالما أسدل على عيون العلماء . فقللوا الجدل ما استطاعوا وصرفوا جهودهم فى ميدان التجارب ، بدلا من حشو المؤلفات بآرائهم والارتكان ألى نظريات وضعها اسلافهم

مثال ذلك أن العلماء صرفوا أعواما طويلة يتباحثون ويتجادلون توصلا ألى هذه الحقيقة . هب أنك ألقيت من مرتفع حجرين يختلفان وزناً فى آن واحد فأيهما يصل ألى الارض قبل الآخر . حفيت الاقلام ، وجفت المحابر ، وجمدت القرائح ، وكرت السنون والأيام ومات عالم وخلفه آخر ، والمسألة معلقه فى كفة الميزان تعلو مرة وتنخفض أخرى ، كل يؤيد رأيه بأقوال قاطعة وأدلة ساطعة ،مستشهداً بارسطاطليس وغيره من العلماء المتقدمين . ظل الحال على هذا المنوال حتى قيض الله للعالم الرياضى الفلكى الشهير جاليو (١٥٦٤ — ١٦٤٢ بعد الميلاد) فجاءهم بنظرية جديدة لم يسبقه فيها أحد . قال هلموا ياأهل بيزا وعلماءها ، انبذوا الكتب ، وكفوا الجدال ، وضعوا جانبا أقوال السلف . فأن هذه كلها لاتجدى فتيلا ، تعالوا معى ألى برج بيزا المائل نلق بحجرين يختلفان وزنا من علوه ، ونلاحظ أيهما يصل ألى الارض قبل الاخر ، فقهقة العلماء وسكان بيزا وأخذوا يرمونه بالجنون والعقم ، وعجزه عن الاتيان بآراء الفلاسفة ونظريات العلماء السالفين والالتجاء ألى برج بيزا فى مثل هذه المشكلة العلمية،

صعد جالليو البرج وتحته رؤوس تهزأ به والعلماء تسخر منه ، حتى قام بتجربته المشهورة وقطعت جهيزة قول كل خطيب . رصد ايضا جالليلو قرص الشمس فقال أن هناك بقعا فيها . فأنكر عليه العلماء ذلك بحجة أن كتب ارسطاطليس لم تشر الى ذلك البتة ، فأبان لهم أن هذه ادلة واهية ، وأخذهم ألى جهاز التلسكوب الذى اخترعه فرقبوا بواسطته تلك البقع بعيونهم . ومنذ ذلك الحين أخذ الناس يعمدون ألى التجارب العلميه توصـلا ألى الحقائق ، بدلا من مناقشات فارغة وأقوال ومناظرات لاتجدى

وقد حدث منذ عهد غير بعيد أنه طرح على مجمع علمى فرنسى هذا السؤال ، وزنت سمكة وهى حية ، ثم ماتت فوزنت أيضا ، ففى أية الحالتين تكون أكبر وزنا ؟ انقسم المجمع شطرين وقام كل فريق يدافع عن وجهى المسأله مؤيداً دعواه بأحدث العلوم الطبيعية والفسيولوجية . حتى قام اخيراً عالم أشعل الشيب رأسه . وقام بتجربة عملية امام المجمع تجلت فيها الحقيقة وهى أن السمكة وهى حية مثلها وزنا وهى ميتة ، فالتجارب العلمية دليل الرقى ومقياس المدنية والتأليف والبحث والمناقشة المجردة عنها دليل على تصلب الرأى بغير حق والاستنادعلىأمور مشكوك فيها والتمسك الأعمى بآراء الغير

ولا ينكر أحد اليوم أن ولايات امريكا المتحدة اكبر بلد تتسابق فيه الأفكار، وافسح ميدان تقام فيه التجارب ، وأضخم بوتقة تمحص فيها الحقائق وتصفّى بين جدرانها النظريات ،وتسبك بواسطتها أقوال الحاضر ونظريات الماضى . وأدق محك لمعادن الآراء التى بها يعزل صفاء اللجين وجمال العسجد عن خبث الحديد ، هناك يميلون الى كل جديد متى اتضح صلاحه ، ولا يحترمون القديم ما دامت التجارب برهنت على فساده أو وجود ما يفوقه جودة وصلاحًا ، يقولون أن الـكيفية التى تعالج بها المسائل وتوزن بها الحقائق هى وحدها الدليل على رقى الأمة وحرية الأفكار فيها وتحريرها من ربقة الاستعباد لـكل قديم وعبادة السلف والماضى ، كثيراً ما كنت اذكر هناك فى سياق الحديث نظريات أو أقوالا مأثورة مما يجرى عندنا مجرى الامثال المعروفة فى بلادنا ، فيسألوننى هل لديك أرقام أو احصائيات تؤيد

نظريتك ولما كان الجواب طبعاً بالسلب اذ أن هذه نقط من المسائل المسلم بها عندنا . فكانوا يجيبون فى الحال : اذاً فلا يمكن الأخذ بها فى الحالة الراهنة ويحسن أن تقيم الدليل بتجارب علمية .

فى مدينة نيو يورك مدرسة شهيرة ثانوية بها الوف الطلبة واسمها مدرسة لنكولن . وهى ملحقة بكلية المعلمين لجامعة كولمبيا . غرضها الأوحد وضع مقرّرات غير ثابتة أى عرضة الى التغيير والتبديل فى كل شهر بل فى كل أسبوع ، تحت اشراف فطاحل الأساتذة المربين و يطلقون على هذه مقرّرات « منشورات مفككة »

والتشبيه بديع فى نفسه . أى أن المقرر شبيه بكراسة مفككة الأوراق تربطها قطعة معدنية متحركة . فاذا ما اتضح بطلان أحدى هـذه الأوراق أخرجت من من الكراسة وأعيد الى مكانها أخرى . فالمدرسة المذكورة عبارة عن معمل كبير للمقررات والمواد الدراسية ، يقومون بتجربتها وملاحظة فائدتها وتأثيرها فى الطلبة . وربما تتساءلون وهل يتعلمون « الزيانة فى رءوس اليتامى » فجواباً على ذلك أقول أن الثقة بالقائمين بهذه المدرسة بلغت هذا الحد حتى أن الوف الطلبة التى بها يدفع الواحد منهم سنوياً ١٥٠٠ ريال مع العلم أنه يستطيع أن يدخل سواها من مدارس الحكومة بغير أن يدفع مليما واحداً ، ومثل هذه المدارس فى امريكا عديدة جداً و يطلقون عليها اسم « مدارس التجارب »

فى المدارس أيضاً حقول للتجارب الزراعية واسعة . يقومون فيها بزرع الحبوب والفواكه والخضر وأعادة زرعها واستبدال حبها ، الى أن تسفر النتيجة عن أكبر الانواع الزراعية حجماً وألذها طعما وأبهجها منظراً . هناك أندية للبقر وأخرى للخنازير وغيرها للأغنام ، الغرض منها تحسين النسل فى هذه الحيوانات وعمل التجارب العلمية حتى تصل تلك الى أقوى وأسمن وأجمل ما يمكن أن يصل اليه هذا النوع منها

أراني أحدهم مرة فى أحدى المدارس نوعاً من اللوبيا ذات الخيطان خلواً من تلك الخيطان . تذكرون أنكم اذ أكلتم اللوبياء الخضراء يعلق بأفواهكم خيطان طويلة تذهب بلذة الأكل . كانت نتيجة التجارب العلمية العديدة أن توصلوا الى بذرة بها زالت تلك الخيطان فصارت اللوبياء أجمل طعما بكثير من التى نأكلها عادة .

وما عينات التفاح الاميركاني الأحمر الخدين المتعدد الأصناف سوى نتيجة تلك التجارب المفيدة . رأيت مرة مزرعة صغيرة بها أكثر من الف دجاجة تسترعى الانظار . هالنى ما رأيت عليها من السمن وجمال المنظر حتى كادت تفوق سرباً من الأوز المصرى يقتات الشعير و يغتسل فى ماء النيل (كما يشاهد احياناً) . هذا أيضاً نتيجة التجارب . لا يكاد يقع نظر الرائى هناك على المزارع والحقول ، حتى يستلفت عينيه منظر الخيول والبقر والأغنام والخنازير ،وما عليها من لمعان وسمن وما ترتع فيه من نعيم وعز ، وما يتعهدها به أصحابها من عناية وتدفئة وتهوية وغسل . كل ذلك نتيجة التجارب . سألت طالباً فى مدرسة كنت أزورها مرة . ما هذه الشارة التى على صدرك . قال انى عضو فى نادى الخنازير . قلت وماذا تعنى بذلك . قال لدينا عدد من أجود أصناف الخنازير ذكوراً واناثاً . تتناسل تحت مراقبتنا وتلد فتنتج أصنافاً لم تر ولاية من الولايات مثلها

و يا حبذا لو أتيح لى أن أذكر شيئاً عن التجارب العلمية التى تقام فى سبيل التربية . وقد أنفق منذ وضعت الحرب العظمى أوزارها الوف الملايين من الريالات لهـذا الغرض . وسأذكر شيئاً منها على سبيل الأمثلة حتى تكون لدي القارىء فكرة عنّها . تبرع بعضهم بمبلغ طائل من المال للوصول ألى هذه الحقيقة . ألى أى حد تكون الامتحانات العمومية دليلا على قوة الطلبة العلمية ؟ . فقام أساتذة كبار بأقامة التجارب وجهزوا امتحانات عديدة فى كل العلوم تقريباً وأعطوها لألوف من الطلبة . ثم جمعت أوراق الأجابة . وطبع من كل ورقة من أوراق الاجابة ألف نسخة تقريباً وزعت كل نسخة على مدرس لتصحيحها . و بهذه الكيفية أصبحت الاجابة الواحدة للطالب يطلع عليها الوف من المصححين (المدرسين) و يضع على الورقة الدرجة التى يستحقها الطالب فى نظره . و بعد الفراغ من ذلك قام ألوف من الكتبة بوضع قوائم مطولة بدرجة الطالب فى العلم الواحد بحسب تقدير أحد الاساتذة ، وأمامها ألوف من الدرجات الأخرى بحسب تقدير سائر الاساتذة . (وهنا أترك لكم أن تفكروا كم من المال والوقت والعمل تستوجب هذه الطريقة) . وأخيراً توصلوا

الى هذه النتيجة : وهي أن الطالب الواحد تختلف درجته فى الجبر مثلا بحسب تقدير الوف المدرسين من ٣٠ ٪ الى ٩٠ ٪ من النهاية العظمى

لم يقفوا عند هذا الحد بل عملوا ترتيباً آخر به طلبوا من المصححين أن يقوموا بتقدير درجات نفس الاوراق التى سبق لهم تقدير درجاتها بعد مضى عدة شهور ، دون أن يكون لهم علم بأن تلك الاوراق هى عين ما كانت بأيديهم . و بعد تصفية الاوراق وجد أن المدرس الواحد قد اختلف تقديره لعين الاوراق التى سبق له تصحيحها من ٣٠ الى ٩٠ ٪ أيضاً . ومن هـــذه التجربة العظيمة الشاملة ضاعت الثقة بينهم فى الامتحانات العامة المعروفة ، وانحطت منزلتها فى عيونهم فاستبدلها كثير من المدارس بامتحانات أخرى مقياساً للذكاء ، ولا يتسع المجال الآن لشرحها

وبمثل هذه التجارب أقاموا الدليل مثلا على أن المخ لايتعب وأن قول الأنسان تعب مخى من كثرة الدرس عار عن الصحة . وصوابه أن الجسم وحده يتعب بخلاف العقل . كما أنهم برهنوا ايضا أن عدم النوم لايؤثر فى المذاكرة والحفظ ، فقد يفقد المرء النوم ثلاث ليالٍ متوالية . ومع ذلك يستطيع القيام بحل المسائل وتحرير الرسائل كالمعتاد . بهذه التجارب ايضاً برهنوا على أنه خير للطالب أن يدرس علما أو يستذكر درساً ثلاث ساعات كل يوم لمدة ستة ايام من أن يدرس نفس الدرس ست ساعات كل يوم لمدة ثلاثة ايام (مع أن عدد الساعات واحد) . بواسطة التجارب برهنوا على أن تعليم البنت والولد فى مدرسة واحدة خير وأبقى للاخلاق واكثر صيانة لها . وذلك بأن علموا كلا من الجنسين على حدة فى مقاطعة والاثنين معًا فى اخرى ، وراقبوا النتيجة سنين عديدة ، واختلفت الآراء فى هل يستحسن ان يعلم الاولاد والبنـــات شيئا عن اعضائهم التناسلية والمسائل الجنسية وهم قبيل و بعيد البلوغ . ولذلك أقاموا التجارب فى مقاطعات عديدة بحذف هذه من مقرر الدراسة في بعضها وأدراجها فى البعض الآخر ولم تسفر النتيجة للآن عما يجب اتباعه

بهذه التجارب برهنوا على أن هناك اتفاقا عاما فى ذهن الطالب بين اتقان هذا العلم أو ذاك

مثال ذلك . نقول فى بلادنا مثلا أن الطالب المقتدر فى اللغات ضعيف فى

الرياضة و بالعكس . ومعظم الاقوياء فى دروسهم رديئو الخطوط أى ضعفاء فى فن الكتابة . غير أن التجارب قد دلت على أن القوى في هذا قوى فى الآخر ايضا . غير أن الميل ألى الواحد يزيد عن الآخر فتفقد اللذة فى الاخر أوتضعف. فلا تتكافأ معلومات الطالب فى الاثنين . نقول أيضا أن الذكى كثير النسيان يصعب عليه حفظ الدرس . برهنوا بالتجارب أن هذا كذب . أكثر الناس نسيانا أقلهم ذكاء . كنا نتوهم أن حفظ قواعد اللغة مثلاً يساعد كثيرا على الأنشاء . برهنوا عكس ذلك. كثير من الناس حتى علماء التربية ألى يومنا هـذا يعتقدون أن الهندسة مثلا أو الجبر ومثلهما من العلوم تساعد على تثقيف العقل وتقوية ملكة التفكير . أقاموا تجارب عديدة فى الوف من الطلبة فوصلوا الى نتائج تخالف ذلك على خط مستقيم

واراد أحدا لاغنياء أن يعلم اذا كان أولاد المدن أقل ذكاء من أولاد القرى ، فتبرع بمبلغ طائل وقام علماء التربية بتوزيع امتحانات الذكاء على الملايين من الطلبة (فى اميركا اكثر من ٢٠ مليون) فكانت النتيجة . سلبية . تبرع احدهم أخيراً بمبلغ ٣٥ الف ريال للأستاذ الذى يضع مقرراً للمدارس تكون نتيجة تدريسه أن يسود روح السلام في العالم ويكره بواسطته النشء الحروب . واستعد أن يتكبد النفقات التى تستلزمها هذه التجارب .

وقد قامت جمعية أثناء وجودى هناك بتجارب واسعة النطاق فى طلبة المدارس المختلفة لفحص أخلاقهم ومعرفة ما أذا كان الصدق أم الامانة أم العفة الخ أكثر تغلبا الواحدة على الأخرى أم العكس .

ويكفى الأشارة ألى التجارب العلمية البحتة الدقيقة وتجارب اديسون مخترع الكهرباء ، وما أتى به من المدهشات ، وعجائب القرن العشرين كالراديو أو اللاسلكى والتجربة الأخيرة التى تمكنوا بواسطتها من ارسال الصور على جناح البرق (بالتلغراف) أى أنه أذا حدثت جناية فى شيكاغو فأن جرائد نيويورك تتلقى من مراسليها برقية بتفاصيل الحادثة مشفوعة بصور الجاني والمجنى عليه وبصمة أصابعهم وخطوطهم الخ

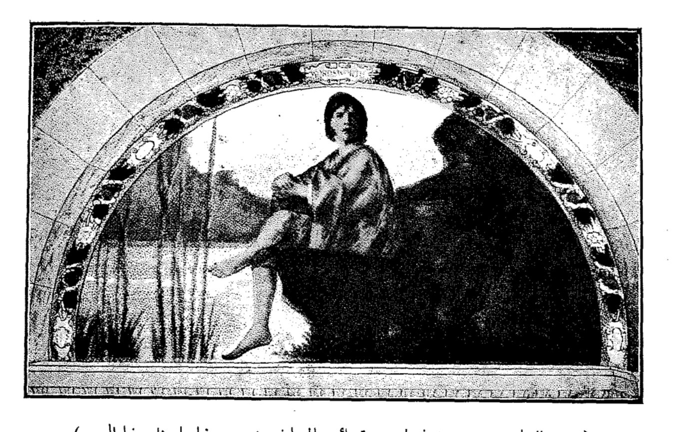
قامت هناك أيضا تجربة مدهشة . تعلن الشركات الكبرى والمصالح عن موظفين.

تجرى لهم امتحانات مسابقة . تظهر النتيجة ، وأذا بمديرى تلك المصالح ينبذون جميع الذين ينالون أقل من ٥٠ ٪ من النهاية الكبرى فى مواد الامتحان وكذلك الذين ينالون أكثر من ٨٠ ٪ ويقبلون فقط من تتراوح درجاتهم بين ٥٠ و ٨٠ ٪ ، وحجتهم فى ذلك أن التجارب قد دلت على أن أوائل الناجحين اذكياء جداً فلا يكاد الواحد منهم يلتحق بالوظيفة حتى تطمح نفسه الى المعالى ويشكو المرتب ولا ينجح فى عمله . ولأن المتأخرين فى الامتحان أغبياء بالطبع .

فى شهر مايو من هذه السنة (١٩٢٤) هرع الكثيرون من سكان نيويورك ألى أحدى الفنادق الكبرى لزيارة قرد مشهور اسمه دانيال قامت سيدة بالاعتناء به، وتقديم البيض والحلوى واللبن واللحم والشاى واعتباره كأنه انسان . وشاع بين الجميع أن القرد دانيال هذا شغوف جدا بالسيدات . فهو لايكاد يرى سيدة حتى يتأبط ذراعها ويأخذ فى تقبيلها ومداعبتها . وجزم الجميع على أن دانيال هذا به ميل جنسى للنساء كالرجال . فتوجه بعد بضعة أيام أساتذة علم الحيوان فى كلومبيا وأقاموا تجارب عديدة وبعدها دحضوا تلك المفتريات لانهم استكشفوا أن ذلك القرد انما يحب النساء دون سواهم للرائحة الزكية التى تنبعث من ملابسهم وأجسامهم . وفعلا قاموا بصب مقدار من الروائح العطرية على ملابس رجل زنجى فناله من البصبصة والمداعبة مانال جميلات النساء

وبلغ جنون أحدهم فى هذا السبيل (التجارب) أنه بحث فى كل المؤلفات عن الحياة بعد الموت ولما لم يصل الى نتيجة مرضية قال لابد من القيام بتجربة علمية بها أعلم كل شىء عن الحياة بعد الموت وهل هناك حياة أخرى أم موت أبدى كموت النباتات . وتنفيذا لهذه التجربة انتحر . ولعل عالم المجانين يتوقع نتيجة تجربته من عالم الاموات

ولا يخفى أن هذه التجارب نتيجة الفكر والميل ألى كل جديد مستظرف . ونبذ كل بذىء . بلغ اهتمامهم بالتفكير أن فى بعض كلياتهم يدرس علم خاص موضوعه كيف نفكر . من أقوالهم المأثورة خير أن نفكر خطأ من الا نفكر أبداً . يقولون أيضا اختلاف الافكار تعمل سباق الخيل . يشيرون بذلك ألى الحرية الفكرية ويتمسكون بمبدأ فولتير القائل :



(يشير الشاعر وردزورث فى احدى قصائده الى ابن وندر وهذا ما يمثله هذا الرسم)
(الذي يشار اليه بالبنان في مكتبة وشنطون)

(مقابل صفحة ٦٣)

«انى لا أوافق البتة على ماتقول ولكنى سأدافع حتى الموت عما لك من الحق فى أن تقول» ولما أطلق لافكارهم العنان أخذوا يغيرون في مقرراتهم الدراسية ويستبدلونها بسواها و يعيبون البروجرامات فى مدارس اوروبا و بعض مدارسهم التى مازال يدرس فيها مثلا عين الكتب الهندسية التى كانت تدرس فى القرن الثالث قبل الميلاد ،لذلك أيضا نوعوا مواد الدراسة في مدارسهم

هل هناك من دروس تتخذ من اميركا

نعم . التفكير المطلق . القضاء على القديم الباطل . زعزعة أيماننا فى الماضى الضيق. ذاك الأيمان الذى قيد الشرق بالاغلال والسلاسل . حب التغيير . الشغف بالجديد المستحب . أزالة كل عقبة في سبيل التفكير . نبذ المعتقدات السخيفة التى ورثناها أبا عن جد ، تلك السخافات التى لم ينزل بها وحى والتى ماهى الا أوهام واباطيل ابتدعها غيرنا من قديم الزمان جريا وراء مآربهم الشخصية . كم بيننا من أراء بايت ، وافكار تأكلت . ومعتقدات أصابها تصلب شرايينى فوقفنا جامدين لانفكر

أن الشعوب لاينتابها الكبر والأمم لايصيبها الهرم . انما آراؤها تشيخ وتهرم ، لقد تطرق الجمود الى دمائنا وسرى الجبن والعادات والتقاليد الفاسدة الى أجسامنا وحكمنا العاطفة على العقل ، وصدقنا كل مايكتب ويقال فى صالحنا . وكذبنا ما يقال قذفا فينا وتمسكنا بالماضى وعلقنا بالقديم تمسك الخفاش بالسقف ، فنزلت بنا النوازل ، وأصيب الشرق بكوارث . فهل نحن من سباتنا العميق مستيقظون ؟

المكاتب العمومية في اميركا

ليس ثمة أدل على صحة الاراء التى يدلى بها الكاتب أو المحاضر من ارقام ناطقة قام بجمعها وترتيبها الأحصائيون ، ولاغرابة أذا رأينا الحكومات فى الممالك المتمدينة تعلق أهمية كبرى على مصالح الاحصاء ، وتدرس الأرقام التى تنشرها . وتعهد ألى نفر من الخبراء والفنيين بفحصها . وابداء الاسباب الداعية الى الزيادة والنقصان فيها ، عاما بعد عام .

فاسمحوا لى أن أذكر آخر أحصاء يتعلق بموضوعنا . لعل أرقامه ترسم أمام عيوننا صورة مصغَّرة من أهمية المكاتب العموميه فى اميركا . وعظيم شأنها . وتنقل ألى اذهاننا شبحا لذاك الجلال وذياك المجد . الممثلين فى تلك المجلدات الصامتة التي توحى الى قارئيها الحكمة وتلهم المطلعين عليها العلم . وتنزل على منقبيها النبوءة . فيأتون بالمعجزات و يغدقون على العالم الانسانى من نعماء الاختراعات والاستكشافات .

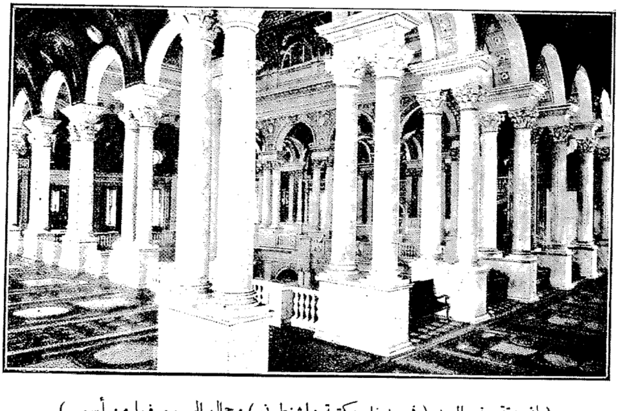
ولما كانت امريكا بلاد المال والثروة والخيرات وأم العجائب والمدهشات فلا يدع أذا كبرت تلك الأرقام . وضخمت أحصائية المكاتب أسوة بسائر المسائل

مكتبة واشنطون

يوجد بمكتبة واشنطون اليوم ثلاثة ملايين مجلد . ومليونان من المخطوطات والأطالس وغيرها وهي معروضة للجمهور طول أيام السنة الى الساعة العاشرة مساء ما عدا يومى ٤ يولية و ٢٥ ديسمبر (أى عيدى الحرية والميلاد) .

مكتبة نيو يورك العمومية

يوجد لمكتبة نيو يورك العمومية ثمانية وار بعون فرعًا . وأذا قابلنا عدد الذين يؤمونها سنو يًا بمثله فى مكاتب العالم . وجدنا أنه لا تضارعها مكتبة أخرى فى هذا المضمار ، فقد بلغ عدد الذين قيدوا اسماؤهم سنة ٩٢٢ للمطالعة في غرفة المطالعة بها مليون و ٣٠٠



(ان دقة هذه العمد (فى مدخل مكتبة واشنطون) وجمال الرسوم فيها من أسمى)
(ما وصل اليه فن العمارة فى العالم الجديد)

(مقابل صفحة ٦٤)

الف نفس . هذا عدا أضعاف ذلك العدد من الذين يطالعون المجلات العديدة بكل اللغات . والكتب التى استعيرت لقراءتها فى الخارج نحوعشرة ملايين كتاب . و يؤم البناء الرئيسى للمكتبة يومياً نحو ١١ الف نفس (هـذا عدا الذين يؤمّون الثمانية والاربعين فرعا التى أشرت أليها)

وللمكتبة ١٢٢٧موظفا معظمهم من السيدات . و يوجد بها مدرسة يتخرج منها الذين يريدون التوظف فى المكاتب العمومية ، و يوجد بها قسم كبير لفاقدى البصر الذين يرغبون فى المطالعة أو استعارة الكتب فى الخارج

المكاتب فى الجامعات والكليات

و يوجد فى مكاتب الجامعات والكليات فقط نحو ٢٥مليون مجلد .هذا عدا عشرات الألوف من المكاتب الخاصة بالمدارس الثانوية والابتدائية ، وأذا علمتم أن عـدد الطلبة فيها عشرون مليونا أمكنكم أن تقدروا بعبارة تقريبية الملايين من المجلدات التى تتطلبها تلك المدارس

المكاتب فى القرى والمدن الاخرى

لم أذكر سوى احصائية المكتبتين فى واشنطون ونيويورك . ولكن أين سائر المكاتب فى مئات المدن الأخرى وعشرات الألوف من القرى .أن لكل بلدة وقرية صغيرة فى تلك المملكة العظيمة مكتبة عمومية

وليت هناك متسعا من الوقت لأصور لكم تلك الدور الفخمة والبنايات الشامخة دور المكاتب العمومية ، كم كنت أود لو تسنى لكم جميعا أن تقفوا على درجات سلم المكتبة فى واشنطون وترفعوا رؤوسكم ناظرين الى تلك العماد الرفيعة ، والردهات الفسيحة ، والعمارة المنيفة الصاعدة فى الهواء . كم كنت أود أن أراكم تقفون فى قاعاتها المترامية الاطراف ، البديعة النقوش ، لتروا كم بلغ اهتمام الامريكيين بدور كتبهم ، وددت لو وقفتم معى فوق الشرفة الداخلية العليا المطلة على قاعة المطالعة البديعة ، وقد ثبتت مقاعدها الجميلة فى خطوط حلقية تخترقها أبواب من كل صوب ، ووضعت أمامها موائد أنيقة ، فوق كل منها مصباح كهربائى ، ثم شاهدتم الزائرين

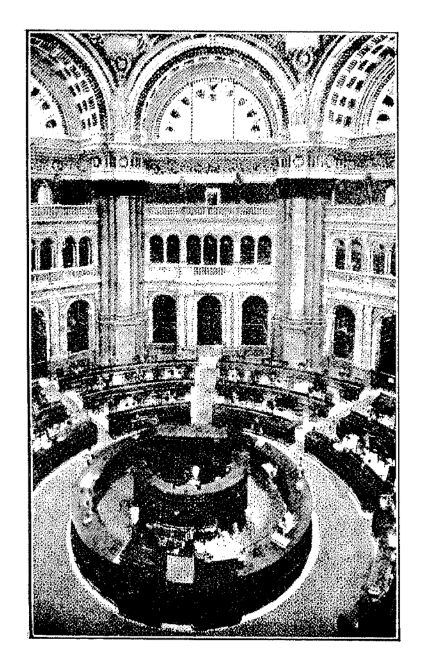
يدخلون ويخرجون أفواجًا وكأنّ على رؤوسهم الطير ، والقراء منكبون على موائدهم يدرسون و يبحثون . حبذا لو وقفتم معى أمام الحواجز المستطيلة حيث وقف وراءها مئات من الفتيات العامـلات ، وهن يشتغلن بكل بشاشة ونشاط فى خدمة الألى يستعيرون الـكتب والمجلات

وكم يمر بمخيلتى من القرى والمدارس والكليات والجامعات،التى شاهدت فيهامن المكاتب،ما يولد فىّ الميل الى وصفها،وذكر انواعها وحسن تنسيقها وكثرةالمقبلين عليها.

انني اذا نسيت كل البنايات الأخرى فى الجامعة التى كنت بها فى العام الفائت (فى جامعة كاومبيا بنيو يورك ١٢٠ بناء) فلن يغيب عن مخيلتى بناء المـكتبة.ذلك البناء الذى يقصد اليه السياح لمشاهدته. تصور قبة عظيمة شامخة تسبح فى الفضاء ، تسندها عمارة من أفخم مبانى نيو يرك ، قائمة على عمد كثيرة من الطراز اليونانى القديم ، تتصل بردهة كبيرة شيقة يمكن الوصول اليها بعشرات من الدرجات العريضة التى تمتد طولاً بين شارعين ، من أكبر شوارع المدينة . قف معى دقيقة واحدة فى أسفل درجة من تلك الدرجات العديدة الممتدة طولا وارتفاعًا الى أبعد ما يمكنك ان تتصوره ، وشاهد اسرابًا من الطلبة والطالبات يصعدون و ينزلون يمنة و يسرة . واعلم أن هذه الحركة العظيمة تستمر بلا انقطاع بين الساعة الثامنة صباحًا الى العاشرة مساء صيفًا و شتاء .

هذه هى مكتبة عمومية لجامعة واحدة .

وأنني ألفت الأنظار الى هذه الحقيقة . وهى أن هذه المـكتبة بها مليون نسخة ،على أنها ليست الوحيدة فى تلك الجامعة . فهى فقط المـكتبة المركزية لها . ولـكل كلية فى الجامعة مكتبتها الخاصة بالآداب وفن التربية والهندسة والطب والحقوق والتجارة والصحافة والصيدلة والفنون الجميلة الخ . لـكل من تلك الـكليات التى تتألف منها الجامعة مكتبة خاصة . ولـكى يكون لديكم فكرة عن تلك المـكاتب الفرعية فى كل كلية من كليات الجامعة الواحدة ، أذكر على سبيل المثال أن مكتبة كلية المعلمين التابعة لجامعة كاومبيا (التى نحن بصددها) نقلت اثناء وجودى هناك الى بناية جديدة متعددة الطبقات ، أنفق على بنائها نحو خمسة ملايين من الريالات



(غرفة المطالعة فى قاعة مكتبة واشنطون)

(مقابل صفحة ٦٦)

وحبذا لو تمكنت الآن من ادارة شريط للصور المتحركة ، يظهر فيه أمامكم المكاتب العمومية الآخرى ، فى اندية السيدات والرجال الخاصة واندية جمعيات الشبان والشابات المسيحية والعبرية ، وغيرها من الأندية والجماعات التى لا سبيل ألى حصر اسمائها فى كل مدينة فى امريكا .

لم يكتفوا بكل هذا ، بل هناك مكاتب متنقلة بنظام يكفل للكثيرين الاطلاع على كل غريب من الكتب ومستطرف ، مما لا يتوفر لديهم فى مكاتبهم أو مكاتب البلدة التى يقطنونها . هناك أيضاً مكاتب خاصة بالاطفال ، بها قواميس ودوائر معارف وكتب صحية وروائية مما يلائم أذواقهم ويتفق مع معلوماتهم وأميالهم ورغباتهم . يعتقدون أن الاطفال فى حاجة ألى المؤلفات الاولية ، حاجة الرجال الى الكتب والمجلدات العالية . ويقولون أن الامة التى تخلو مكاتبها من كتب الاطفال والمؤلفات اللائقة بهم ، تخسر فى صبيانها وبناتها خسارة لا تقل كثيراً عن اهمال مدارسها ومعاهدها العلمية.

والمكاتب العمومية فى المدن والقرى على اتصال تام مستمر بالمدارس والاندية والسكان . توجهنا مرة مع أحد أساتذتنا الى مكتبة فرعية (من ال ٤٨ فرعاً فى نيويورك) لمشاهدة الكيفية التى تقوم بها تلك المكاتب بخدمة تلاميذ المدارس الابتدائية . هناك رأينا اكثر من خمسمائة من الاولاد والبنات تقودهم معلماتهم ، يدخلون القاعة الكبرى لتلك المكتبة الفرعية أربعة أربعة . وكان ذلك قبيل عيد الميلاد (١٩٢٣) . ولما اكتمل عقدهم ، أطفئت الانوار الكهربائية ، وأوقدت شموع ضئيلة تذكيراً للاطفال بالعيد وشرحاً لصدورهم . ثم وقفت احدى عاملات المكتبة ، وهى عاملة لهذا الغرض ، رنانة الصوت ، قوية الحنجرة ، واضحة الالقاء ، لها مهارة غريزية فى سرد الخطابات وأخذت تقص عليهم قصة طويلة جميلة جذابة ، وفى نهايتها قامت عاملة أخرى وسردت قصة ثانية . وما أتت على نهايتها حتى دوى المكان بالتصفيق الحاد ، وملأت أصوات الاطفال الفضاء ، طالبين قصة ثالثة . فأجابتهم فتاة ثالثة من عاملات المكتبة الى طلبهم . وقبيل الانصراف وقفت فيهم رابعة ، وأشارت الى الكتب المأخوذة عنها القصص التى سمعوها والرفوف الموضوعة فيها ، وحثتهم على التردد على المكتبة كلما سنحت لهم الفرص للمطالعة والاستفادة فى القاعة المعدة للاطفال

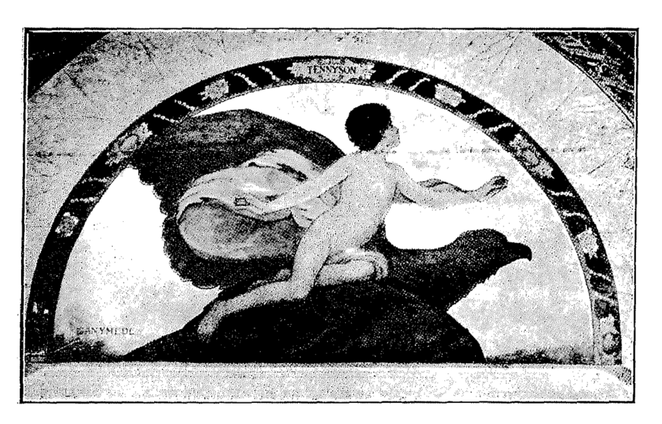
وتكاد لا تدخل منزلا هناك خصوصاً فى العائلات المتوسطة والفقيرة دون أن تجد الكثيرين من أفراد العائلة رجالا ونساء ، يطالعون كتباً مستعارة من المكاتب ، يحفظونها لديهم ، ويجددون طلب استعارتها مرة كل أسبوع أو اسبوعين حتى يأتوا على آخرها .

أما اذا أخذت أعدد لكم وصف الاثاثات الجميلة التى تحويها تلك المكاتب فانني أحيد ولا شك عن جادة الصواب . غير أني يجب أن أذكر لكم أنه فى كل دور الكتب سواء أكانت مدرسية أم خاصة بالمدينة أو القرية أو النادى ، تجدون الارض مفروشة بالفلين ومدهونة بطلاء جميل اللون ، حتى يسير عليها الزائرون ولا يسمع لاقدامهم أدنى صوت .

أشرت كثيراً الى عاملات المكاتب . وفاتنى أن أقول أن تلك الفتيات كن يتعلمن فى مدارس خاصة كيف يشتغلن بتلك المكاتب ويقمن بأعباء أعمالهن بها . وقد سنت ولاية نيو يورك أخيراً قانوناً فحواه أنه لا يجوز تعيين عاملة فى مكتبة من مكاتب المدارس العمومية ، دون أن تكون خريجة مدرسة فنية للمكاتب

ولا غرابة فى ذلك ، فان العاملة فى المكتبة هى التى ترشد طلبة المعهد ألى أجل الكتب فائدة لهم ، وتربى فيهم ملكة التفكير ، وتدل الأساتذة على احدث الكتب التى ظهرت أخيراً ووردت للمكتبة ، وتنشر قائمة من حين الى حين بأسماء المقالات المفيدة فى كل علم وفن ، مما ينشر فى الجرائد والمجلات

وهي التى تضع على لوحة الاعلانات بعضا من قصاصات الجرائد والمجلات – من مقالات أو صور أو قطع موسيقية – مشفوعة بتعليقاتها الخاصة . وهي التى تلقن الطلبة فى بعض الاحايين دروسا خاصة – تعلمهم فيها كيف يستعملون المكتبة وما فيها بغير أن يضيعوا اوقاتهم. وهى التى تزين المكتبة بالصور والرسوم وتشير على أصحابها بشراء كتب معلومة أو مضاعفة نسخ من كتاب خاص يقبل عليه القراء بكثرة . وهى التى تلاحظ الكتب التي تقبل الناس عليها أكثر من سواها. وتدرس سبب ذلك. فالحي الذى يكثر فيه العمال مثلا يقرأ سكانه عادة كتب الاقتصاد السياسي أكثر



(تمثل هذه الصورة الرمزية (في مكتبة واشنطون) جوبتير في شكل نسر يحلّق فى الجوّ)
(بعد أن خطف جانيميد أمير ترواده حاملاً اياه الى اولمبس — مقتبسة من اشعار تِنسُون)



(تمثل هذه الصورة الدّين ، ويشاهد القارىء فيها عابدَيْن جاثيَيْن)
(امام مذبح يتصاعد منه بخور الذبيحة)

(مقابل صفحة ٦٨)

من سواها . والحي الذى يقطنه أرباب الفنون الجميلة من الممثلين والممثلات والموسيقيين والمصورين يقبلون على كتب تبحث فى ذلك الخ

وعاملةا لمكتبة تدرس أخلاق الافراد . فقد رأيت مرة ناظر مدرسة يدرس أسباب فشل طالبة عنده . فلما أعيته الحيلة ، توجه الى عاملات المكتبة فى مدرسة وسألهن عن الكتب التي تكثر من قراءتها تلك الطالبه ، فاجبنه انها تقرأ عادة القصص الغرامية دون سواها ، فكان هذا الجواب مفحما . وعرف رئيس المدرسة السر ، ومتى شخص الداء سهل وصف الدواء

وفى مدارس أمريكا وكلياتها وجامعاتها قوانين خاصة وشروط لبناء المكاتب . وموقعها ونسبة عدد المقاعد والموائد لعدد الطلبة والحيز الذى يجب أن يشغله كل مقعد والطرقات والردهات والاضواء الكهربائية وفرش الارضية رالتهوية والمراوح الكهربائية صيفا ووسائط التدفئه شتاء الخ

وهناك محلات خاصة تبحث فى شئون المكاتب خاصة ، من أثاث وكتب حديثه وأدوات ومبادىء علمية جديدة ، يجب السير بمقتضاها ، وبالجملة فهى مصلحة قائمة بذاتها كبيرة

كما أن هناك شركات صناعة عظيمة ، لا تشتغل فى شيء سوى أعداد كل مايلزم للمكاتب ، من مقاعد وموائد ودواليب وبسط على أحدث زى وآخر طراز

ولعمرى كان أجدر بامريكا أن تستغنى عن تلك المكاتب ، وما تنفقه عليها من القناطير المقنطرة ، لو لم تدرك من ورائها فائدة توازى على الاقل ماتبذله من مجهود وتنفقه من مال

لم أقصد بهذا الوصف المسهب سوى أن وجه انظاركم الى أن أمريكا كسواها من الامم الراقية . لم تصل الى أوج العلا بغير العلم والبحث فيه والتنقيب ، وأن المدارس والجامعات وحدها لاتكفى لتهذيب أمة ، ان المدارس ليست الا طريقا يمهد الينا السبيل للوصول الى تلك الكنوز الدفينة ، بين الكتب المطوية فى صحائف الاسفار . خطب فى النادى المختلط فى نيويورك مساء ١٣ ابريل سنة ١٩٢٤ رجل من مشاهير الخطباء الذين لهم احتكاك تام بالعمال هناك . وكان مما قاله . أن من أهم الاسباب التى حدت

بالعمال أن يضطروا ارباب الاموال الى رفع اجورهم ، هى انتشار المكاتب العمومية في كل مكان تقريبا .وقال أن العمال يقرأون كل كتاب ومؤلف ومجلد فى الاقتصاد السياسي ، وهناك يدرسون مسائل العمال ورؤوس الاموال والعمل والثروة ، فتستنير أذهانهم ويتركون مراكزهم فى الهيئة الاجتماعية .

لم يقصد الخطيب بذلك تحبيذ الاعتصاب والاضطرابات وغيرها . بل أراد ان يضرب لنا مثلافى تأثير المكاتب حتىعلى أحط طبقات الامه. فكم يكون اذاً تأثيرها فى الطبقات المتوسطة والراقية .

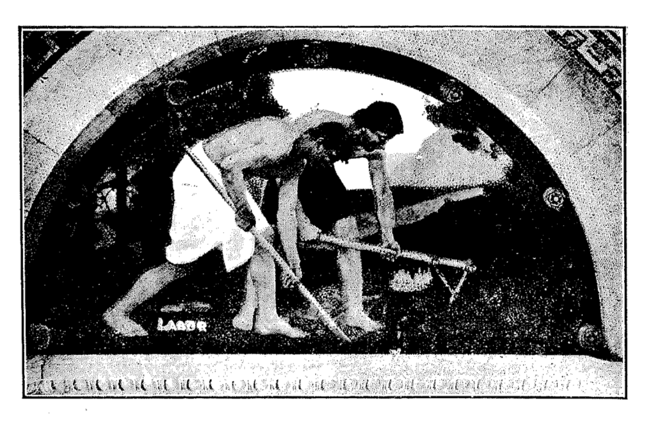
قولوا لى بحقكم لاأريد ان اسألكم عن عدد المكاتب فى القرى والمدن والمدارس فى بلادنا . ولكن أريدمنكم ان تجيبونى كم من الساعات الطوال نصرف ليلا ونهاراً على القهوات وفى الحانات والبارات ، كم من فئة متعلمة فينا ، كان اجدر بها ان تستخدم معلوماتها ، ضئيلة كانت أم جمة ، فى العمل على زيادتها، وإعانةالبلاد المصرية بما يقتبسونه على تحقيق اغراضها القومية ، وضالتها المنشودة . كثيرا ما كنت ادخل مكتبة عموميه فى نيويورك حوالى الساعة التاسعة مساء ، فأرى المرأة وزوجها او الزوج وامرأته واولاده ، على مائدة واحدة يطالعون، كل فى الكتاب الذى يهوى :

وكنت أتساءل فى تلك اللحظة : متى يشترك افراد العائلة جميعهم فى بلادنا العزيزة ، فى الجلوس علي مائدة واحدة فى مثل هذه الساعة من الليل،فىمكتبة عموميه، للدرس جنيا للفائدة وصرفا للزمن في اثمن مايمكن ان يصرف فيه

وكثيرا ما اتساءل اليوم . كم تكون مصر اسعد حالا واسمى منزلة بين الامم فيما لو اقتصد بنوها عشر الزمن الذى يقضونه على موائد القهوت فوق ارصفة الشوارع وصرفوا مااقتصدوه فى مكتبة عموميه او خصوصية .

امامنا الكتب والمجلات فى مكاتبنا . وهى للأسف قليلة فلنشجعها . ونخصص شطراً من اوقات الفراغ فى المطالعة واتباع احدث الآراء وثمرات العقول لتكون على اتصال بالعالم الحديث . لنحث الآخرين عل الانتفاع بها ، والاغنياء على مد المدن والقرى بالمال لانشاء المكاتب وتعميمها

ان من اكبر حاجيات الشبان الميل للمطالعة وحبها . ان اوقات الفراغ خطر



(صورة رمزية بديعة تمثل شرف العمل « فى مكتبة واشنطون »)



(يمثل هذا الرسم الكتابة فى العصور القديمة ويشاهد القارىء رسم اهرام الجيزة)
(فى مكتبة واشنطون)

على الشاب وهو فى عنفوان شبابه والكتاب النافع افضل علاج هذا لمداواة الخطر .

يقول رجال التربية ان المرء لاتظهر اخلاقه ومميزاته وصفاته فى وقت العمل كما تظهر فى وقت الفراغ . ان اوقات الفراغ عندنا ليست سلعة سائبة اومتاعا ضائعا انها ملك لانفسنا وعائلاتنا واصحابنا واوطاننا . وكل هؤلاء لهم علينا حق

فاملأوا فراغكم، ولا تتركوا أوقاتكم تضيع هباءا منثوراً . استخدموها فى درس الكتب الجليلة ، تستوعبوا مافيها . غوصوا فى بحارها تفوزوا بلآلئها . فتشوا انجادها ووهادها تحظوا بكنوزها . اعمدوا الى النار والبوتقه واسبكوها ، تنقوا خبث الحديد فيها ، وتغنموا بعسجدها ولجينها . ثم ارهفوا شبا أقلامكم قبل ان تجردوا سيوفكم . واقدحوا قرائحكم قبل استلال نصالكم . واطعنوا بمؤلفاتكم واكتشافاتكم واختراعاتكم قبل ان تعملوا خناجركم وحرابكم

فما هى الاعشية بعد ذلك أو ضحاها . حتى ترتفع بين الامم رؤوسكم . ويسعد بناؤكم وبناتكم . وتحيا بالعز والمجد أوطانكم

الصحافه فى أميركا

أن كلامى عنها سيكون قاصراً على الصحافة دون سواها . وحتى تكون لديكم فكرة عن الحركة العلمية هناك أقول لكم أنه بحسب التعداد الأخير (١٩٢٢) بلغ عدد المؤلفات التى ظهرت وطبعت فى الولايات المتحدة نحو عشرة آلاف وبلغ ثمن ما طبع منها نحو مائتى مليون ريال (٤٠ مليون جنيه) كما أن ثمن ما طبع من أدوار الموسيقى بلغ ١٥ مليون ريال .

أما عدد الجرائد التى تصدر فيها فواحد وعشرون ألفاً ، بينها الجرائد اليومية والاسبوعية والشهرية ، ومنها المجلات العلمية والفنية ، والصناعية والرياضية . ومنها ما هو خاص بالموسيقى أو التصوير أو الرسم ،أو الرقص أو التمثيل الصامت،أو المسرح أو اللاسلكى . ولا يدخل ضمن هذا العدد الجرائد والمجلات المدرسية ، فانه لا تخلو مدرسة هناك ثانوية أوكلية أو جامعة من جريدة أو مجلة يقوم الطلبة بتحريرها وطبعها وتوزيعها

ولا يخطرن ببالكم أن ٢١ الف جريدة كثير على بلاد كأمريكا. فان القرية الصغيرة يطبع فيها جريدة ومجلة على الأقل . وأننى أذكر الآن بلدة مجاورة لنيويورك لا يزيد سكانها عن مدينة طنطا، بها ست جرائد كبيرة وعدد من المجلات . وكنت أقرأ أحياناً احدى هذه الجرائد ، فأذا بصفحاتها تتراوح بين الثلاثين والأربعين . وكان يدهشنى حجمها وعدد تلك الجرائد فى المدن المتوسطة والقرى والأرياف . ويزيد حجم هذه الجرائد أيام الآحاد وغيرها من الأيام التى تفسح فيها الحوادث مجالا للكتابة . ففى مدينة أنديا نابوليس (عاصمة ولاية أنديانا) عقد الطلبة مؤتمراً عظيما فى أول شهر يناير من هذا العام (١٩٢٤) دام خمسة أيام . ونظراً لاهمية الموضوعات التى كانت تلقى فى هذا المؤتمر كان يبلغ عدد صفحات الجريدة الواحدة من ستين الى سبعين . وبين هذه الجرائد جريدة مشهورة تديرها فتاتان احداهما فى الثامنة عشرة من عمرها والاخرى فى الحادية والعشرين .

أما جرائد المدن الكبرى كنيويورك و بوستن وشكاغو وفيلادلفيا، فليست فقط كثيرة العدد ، بل عديدة الصفحات الى درجة تفوق حد المعقول . ففى نيويورك وحدها يوجد أكثر من ألفى جريد ، منها نحو مئة وخمسين بلغات أجنبية ، منها ثلاث جرائد تطبع باللغة العربية . وأكبر هذه الجرائد النيويورك تيمس والورلد ، وتتراوح صفحات الواحدة منهما فى الأيام المعتادة بين ٤٥ وما فوق . أما أيام الآحاد فتبلغ مئة وأربعين صفحة ، و فى كل صفحة ثمانيه أنهر بالخط الدقيق

وأننى لا أنسى أول يوم أحد ، رأيت فيه جريدة الورلد . شاهدت رجلا يحمل كمية وافرة من الورق تحت أبطه ، يجد فى السير كسائر الناس هناك . فظننت لأول وهلة أنه بائع جرائد وطلبت منه جريدة . فأجابنى باسما وقد أبطأ فى مشيته قليلا « هذه جريدة الورلد طبعة يوم الأحد وهى لى يا مستر »

يدور الآن فى أذهانكم هذا السؤال ، ومن ذا الذى يستطيع مطالعة مئة وأربعين صحيفة . الجواب على هذا أولا ، تتكون الجريدة من أقسام عدة ، فقسم للأخبار المحلية والحوادث ومقالات رؤساء التحرير ، وقسم للاعلانات التجارية والعقارية وغيرها ، وقسم للمسارح والملاهى والتمثيل الصامت ، وقسم للموسيقى ، وآخر للتأليف والتقريظ ، وغيره لفن البحارة ورسم أحدث البنايات التى تمت فى خلال الاسبوع . ثم القسم المصور ولعله أجمل قسم فيها ، نظراً لتعدد الصور واتقانها بالالوان . وكثير من هذه الصور جدير بالحرص عليها وحفظها فى اطار تزييناً للمنازل وتخليداً للتاريخ ، ثم قسم للصور الهزلية والرمزية والفكاهات الطليه ، وأخيراً قسم للأطفال . وكل يقرأ فقط ما يعنيه أولذ له .

— ثانياً الناس هناك يعودون أنفسهم السرعة فى المطالعـــة و يقولون أن المطالعة ببطء تفسح للقارىء مجالا لشرود الفكر ، بعكس السرعة فانها لا تعطيه متسعاً من الوقت للتفكير فى شىء آخر . يقولون إن الكاتب كثيراً ما يضطر الى تنميق الألفاظ والاكثار من المترادفات والتكرار ، أما القارىء فما عليه الا أن يلقى نظرة عامة ويترك تلك المترادفات ويتحاشى التنميق والتزويق . ويستوعب فقط الكلمات الرئيسية ، ويمر على حروف الجر والعطف وغيرها من القناطر اللغوية

مر الكرام . وبذا يتصيَّد المعنى وهو المقصود من المطالعة فى قليل من الزمن ، ويعودونهم القراءة الصامتة على هذا المبدأ فى المدارس الابتدائية .

ثالثًا ان الجرائد تقرأ غالبًا فى عربات الترام والقطارات الارضية كما تقرأ أيضًا على المائدة. أما فى القطارات فمن واجبات الحارس فى كل عربة أن يجمع اكوام الجرائد التى يتركها ذووها ويلقيها فى صندوق كبير من الحديد يوضع فى كل محطة لهذا الغرض. أما في المطاعم فانك لا تكاد تجد رجلا أو امرة يتناول طعام الافطار دون ان تكون أمامه جريدة ، فيأكل ويقرأ فى نفس الوقت وتنتهى الجريدة غالبًا فى نهاية الاكل. ويقوم خادم المطعم كل بضع دقائق بجمع سلال كبيرة منها وحرقها . وتوجد فى الحدائق والمتنزّهات العمومية صناديق حديدية كبيرة يلقى فيها الناس جرائدهم ويقوم رجال الشرطة بحرقها من حين الى آخر

وبقايا الجرائد من المشكلات الكبرى التى لم تصل أميركا الى حلها لليوم . فالحكومة والمجالس البلدية تعانى المشاق فى اعدام الجرائد بعد قراءتها دون أن تلوث الشوارع بها.ففى كل بضعة أمتار فى كل شارع سلة للمهملات وعلى الأخص الجرائد . ويغرم من يلقى جريدة على قارعة الطريق أو يتركها فى حديقة عامة بخمسة ريالات. وتوجد أندية للسيدات خصوصًا ، غرضها الوحيد منع الناس من القاء الجرائد فى غير صناديق المهملات، واسم هذه الاندية أندية المحافظة على المحال العمومية من الاوراق. وتجد فى كل مكان فى الجامعات والمدارس اعلانات تحذر الطلبة من ترك الجرائد فى اماكنهم . ونحمد الله ان فى مصر لم تبل بهذا المشكل الغريب

واكثر الجرائد انتشاراً هناك بل فى كل العالم صحيفة اسبوعية مشهورة تصدر فى فيلادلفيا . أقصد مجلة (ستاردى أيفننج بوست) التى يطبع من العدد الواحد منها ما يبلغ نحو ثلاثة ملايين نسخة ثمن النسخة الواحدة ٥ سنتات (أى غرش صاغ تقريبًا) وهو ثمن بخس جداً نسبة لحجم المجلة، ولكن الحقيقة أن اصحاب المجلة إذا وزعوها مجانًا فهم الرابحون على كل حال من ذلك لأنهم يكتسبون من أجور الاعلانات التى يتقاضونها مبالغ طائلة، فأجرة الصورة التى تنشر مرة واحدة فى صدر المجلة عشرة الاف ريال .

وتباع الجرائد والمجلات هناك فى كل محطة من محطات القطارات المرتفعة والقطارات الارضية ، وعند باعة الكتب وادوات الكتابة . ولا يفوتنى أن أذكر لكم أن الرجل اذا أراد شراء جريدة وضع ثمنها على طاولة وأخذ الجريدة التى يريد بغير أن يراه صاحب الجرائد الذى يكون مشغولاً عادة فى داخل المخزن . كذلك اذا أراد أحد صرف نقود وشراء جريدة أو مجلة وضع الثمن وأخذ الباقى والمجلة التى يريد من تلقاء نفسه دون أن يراه صاحب المخزن

وينفق على الجرائد والمجلات هناك نفقات باهظة . فكثير منها يدفع مبالغ طائلة لاوّل من يوافيها تليفونيًا بخبر هام أو حادثة . وتدفع المجلات التى تهتم بتدوين الروايات أو الحكايات الصغيرة كمجلة (استر دى ايفننج پوست) مثلا عشرة آلاف ريال لمن تحوز حكايته القبول وتنشر فيها . ولذا يتسابق ألوف الكتاب فى تأليف القصص وارسالها لأصحاب المجلات

وقد عرفت من الطلبة الكثيرين ممن يدونون قصة كل أسبوع بلا انقطاع ويبعثون بها الى مجلات مختلفة أملا فى المكسب يومًا ما . وكثيراً ما يعتاد الاساتذة الذين يقومون بتدريس فن التأليف الروائى فى الجامعات وضع القصص للمجلات فيقضون سنوات عديدة بغير أن ينالوا أجراً فى حين أن لا يمضى شهر الا ويسمع بأحد طلبتهم أنه ربح مبلغًا عظيما . وأوفر الكتاب حظًا من وضع قصة لاحدى مجلات التمثيل الصامت فرأى مدير احدى شركات التمثيل أن يحوّلها رواية تمثيلية .

وكثيرا ما يدفع اصحاب الجرائد أموالا طائلة فى سبيل الحصول على الاخبار من مصادرها . اعتادت امرأة فى أوائل هذا العام أن تسطو مع زوجها على اصحاب الاموال فى دور اعمالهم فتهددهم بالقتل وتسلبهم أموالهم ، وكان يطلق عليها اسم « السارقة مقصوصة الشعر » . وحار البوليس فى أمرها مدة طويله وما كاد يلقى القبض عليها حتى قامت لها أميركا وقعدت ، واكتظت محطات السكة الحديد بالناس الذين توجهوا لمشاهدتها ، اثناء مرور القطار الذى كان يقلها الى نيويورك تحت حراسة البوليس ، وبلغ من جرأتها أنها كانت تحيى الناس مبتسمة وتطل من نوافذ العربة عند

وقوف القطر وهي تمشط شعرها، وتضع المسحوق على وجهها، وتمضغ اللادن في شدقيها، كأنها سائرة الى كالملهي « الاوبرا » وليس الى ساحة القضاء

ولما كانت حكايتها شاغلة للاذهان تلوكها الالسن، توجه اليها احد مديري الجرائد وبعد استئذان أولي الامر، سمع من فمها تفاصيل القضية، وكيف كانت تسطو على أرباب الأموال، وبعد تقديم نسخة من ملخص ماقالت بعد اختزاله وكتابته بواسطة سكرتير مدير الجريدة، طلب منها ان توقع على النسخة بخطها في مقابل عشرة آلاف ريال. وبينما كان القاضي يناقش الشهود والدفاع، قدمت له تلك الفتاة الفاجرة مذكرة هذه فحواها. سيدي القاضي لاتتعب نفسك بلا جدوى. انني مذنبة والاجرام من خصال أبي وأمي، ودمي كله ملوث بالاجرام وعبثا تطهره، فانطق وأودع العشرة الآلاف ريال في مصرف بربح مركب على ان أنقد المجموع بعد نهاية مدة السجن !!

ويحدث في بعض الاحايين ان تفسح الجرائد هناك اعمدتها لحوادث عديمة الأهمية متى كانت تشمل فكاهة يتسلى بها الجمهور. او تتضمن وقائع تضرب على اوتار حساسة. وأنني أذكر أن حكاية القرد دانيال نزيل احدى فنادق نيويورك والذي سبق فاخبرتكم عنه في كلمتي عن (التجارب العلمية) شغلت جرائد اميركا شهرا تقريبا، وكانت كلها تقول عنه انه أقرب حيوان الى الانسان. وكان تأثير الصحف ان العقيدة رسخت عند كثير من الناس ان الانسان من نسل القردة. وحدث ان طالبا كان لايفوته يوم اثناء وجوده على المائدة مع والدية الا ويجزم لهما ان الانسان متسلسل من القرد، فقرع والده يوما المائدة بيده غاضبا، وانتهر ابنه بحدة قائلا له : قد تكون أنت يابني ابن قرد اما انا فلا !

وفي يوم ١٩ مايو (١٩٢٤) خصصت جريدة الورلد في نيويورك نهرا كاملا في صدر الصحيفة الاولى لحكاية كلب مفقود لاحد الاغنياء. واطنبت في ما كان عليه الكلب من صفات عاليه ونباهة نادرة واخلاق سامية

ولا يجب ان تتسرب الى افكاركم أن الجرائد هناك محشوة بالسفاسف



(مركز البوليس فى نيويورك)

(مقابل صفحة ٧٦)

والاباطيل ، فان فئة منها اذا دونت عبارة كانت تلك العبارة هى مصدر تاريخى يرجع اليه المؤرخون اوقاعدة اتخذها العلماء حجة ودليلا . ومثال هـذة الجرائد والمجلات كثير

كما انه لايفوتنى ان اذ كركم بجريدتى (لايف وجدج) الهزليتين المملوءتين فكاهة ونقداً . ولا يسعنا المقام ان نقول شيئاً عن المجلات النسائية والروائية الراقية وغيرها من المجلات التى تمس كل فن وعلم وصناعة

خطب مرة رئيس كلية الصحافة فى جامعة نيو يورك فقال أن الناس كثيراً ما يرمون الصحافة بعدم الدقة فى سرد الأخبار . وليست هذه الا تهمة باطلة ، فان الجرائد مع ما تكتتب به من السرعة والعجلة ، عرضة على الدوام لنقد الجمهور . وفى بلد متمدين كأمريكا لا تقوم للصحيفة قائمة ، اذا لم تتخذ الصدق والدقة والأمانة والاخلاص رائدها . وأردف ذلك بعبارة شديدة اللهجة ، فحواها أن كثيراً من المؤلفات الذائعة الصيت التى يثق بها كثير من المتعلمين وثوقاً أعمى مفعمة بالغلطات الشائنة ، وضرب مثلا لذلك دائرة المعارف البريطانية ، قال انه وجد فى الموضوع الذى حرره مؤلفو هذه الدائرة الشهيرة عن الصحافة ، مائة غلطة

وليس أدل على رقى الصحافة فى تلك البلاد من جرائد الطلبة . بكل مدرسة ابتدائية تقريباً وثانوية وكلية وجامعة جريدة أو جرائد ، ومجلات علمية وأدبية وفكاهية ، يقوم فريق من طلبة المدرسة بأعمال المحررين ومعلموها بأعمال رؤساء التحرير، ثم تطبع فى مطبعة المعهد بواسطة فريق آخر من الطلبة، ويقوم غيرهم بتصحيح المسودات . كل ذلك دون ان يحتاجوا لأحد من الخارج . وكنت أرى فى بعض المدارس الثانوية التى زرتها معلمة اللغة الانجليزية تخاطب جميع الذين بيدهم أقسام الجريدة المختلفة تلفونيا ، وهى كثيرة الانهماك كمديرى الجرائد الـكبرى (فى كثير من المدارس فى كل فرقة آلة للتليفون فى وسط لوحة الطباشير)

وكانت كلية المعلمين فى نيو يورك تخصص الدور الأعلى من مكتبتها (والمـكتبة تتكون من آلاف طالب) للمجلات المتعلقة بالتربية . وكان يدهشنى عددها

وانواعها . فمنها ما هو خاص بالادارة أو الألعاب الرياضية أو الرياضة أو الطبيعية أو الكيميا وغيرها من جميع المواد الدراسية

ولا توجد فى العالم جرائد أشد انتقامًا من مرتكبي الجرائم كجرائد امريكا . فلا يكاد يضبط سارق ، أو يمسك قاتل أو يلقى القبض على امرأة تتجر بعرضها، حتى تطير صورة أولئك الفوتوغرافية بواسطة اللاسلكى الى جميع انحاء امريكا . وتنشر تلك الصور جميع الجرائد مذيلة بالاسم والعنوان والعمر والصناعة وشرح الجريمة، وهناك جرائد مصورة يومية لا تنشر الا اخبار السوء الشائنة

وكنت أسميها هناك جرائد الفضائح . والخلاصة أن مرتكب الجريمة هناك متى افتضح امره ، فالويل له من الجرائد ثم الويل . يقولون ان الآية فى الانجيل « أجرة الخطيئة الموت » أما شعار الصحافة «فأجرة الخطيئة النشر عنها » .ليس لدى متسع من الوقت لأسهب لكم فى مبادىء الصحافة هناك غير اننى اكتفى بالأشارة الى احدها وهو الحرية بأكمل معانيها التى هى أكبر مظهر الديموقراطية هناك

لروكفلر كبير أغنياء العالم فتاة فى الثامنة عشر من عمرها كانت تسوق سيارة بسرعة غير قانونية. حكم عليها بغرامة دفعتين،فى الدفعة الثانية قامت الجرائد كلها قومة واحدة تنحى على القاضى باللائمة لانه لم يحكم عليها بالحبس، وقالت ضاعت العدالة وطاش سهم القضاء

رأيت مرة صورة رمزية انتقادية ، تمثل كنيسة رفيعة العماد ، شامخة البناء بديعة النقوش ، وبجانبها مدرسة ضئيلة البناء آيلة للسقوط . كتب تحت الصورة الاولى « بناء يطرقه الف نفس يومًا واحدًا كل أسبوع » وكتب تحت الثانية هذه العبارة « بناء يطرقه سبعة آلاف نفس ستة أيام فى الاسبوع » وفى هذا من حرية النقد والتنديد والتقريع بغض النظر عن الشعور الدينى ما لا يخفى .

كلمتي الأخيرة اقتباس من أناتول فرانس

الحرية قائمة بنفسها : ما دامت كاملة ، تامة وحسنة بذاتها ونافعة . فعليكم ان تعطوها للصحافة . ليس للصحافة الفطنة العاقلة فقط بل للصحافة كما هى . عاقلة أو حمقاء .لأنها تعبر عن رأى الأمة بأجمعها . والأمة متنوعة ، مختلطة متناقضة ،عادلة ظالمة، عاقلة سخيفة ،عنيفة واسعة الصدر .

اعطوها الحرية . فمن الأمور الجوهرية ان تقول كل ما تضطرب به الصدور والافكار، فينكشف الحق والباطل معًا للنور على السواء، اعطوها الحرية ، لان ما يشاهد فيها من الضعف والعيوب والجهل المطبق مستمد كله من البيئة ، اعطوها الحرية، فاذا كانت الوقائع التي ترويها كاذبة، كان بسطها اياها قاضيًا عليها

بل اعطوها الحرية لانها هي الرأى . والرأى يجب ان يكون مستقلا عن الواقع . ولأنها الفكر، والفكر يجب أن يسيطر على العمل. ولأنها القوة الادبية ، والقوة الادبية يجب أن تسود القوة المادية

الديموقراطية فى اميركا

أميركا كما هى اليوم أصغر بلاد الدنيا عمراً . ففضلا عن انها لم تستكشف قبل سنة ١٤٩٢ فانها كانت الى الخمس الاخير من القرن الثامن عشر هدفاً لسهام المستعمرين ، ومسرحاً تمثل عليه مطامع الدول الاشعبية . ولما صفا الجو لأهلها النازحين من شمال غرب أوروبا لاتخاذ أميركا لهم موطناً، أخذوا يزحفون شيئاً فشيئاً الى الساحل الغربى . وقد كانوا فى بادىء الأمر يؤمون البقاع الواقعة على الشاطىء الشرقى أو القريبة منه ، وقد كانت الثروة أكبر مشجع لهم على التغلغل فى جوف تلك الارجاء المجهولة المفعمة بالمخاوف . وظلوا يهاجمون الطبيعة وتهاجمهم ، فمن وحوش مفترسة تحاول اغتيالهم، الى أدغال واجمات كثيفة تقف فى سبيلهم ، الى قبائل وحشية من الهنود الحمر تقاتلهم ، حتى وصلوا أخيراً الى أقصى الأراضى غرباً ، وهى الولاية التى يطلق عليها الآن اسم كلفورنيا ، الغنية بذهبها ، الزاهية بممثليها وممثلاتها الذين يخرجون من شرائط التمثيل الصامت ٩٠ فى المائة مما تخرجه ممالك العالم المتمدين مجتمعة ، وقد كان ذلك فى نهاية الجيل التاسع عشر (أو سنة ١٨٩٩) .

وقد ذكرت هذه الحقيقة لأبين لكم أن الديموقراطية فى أميركا وليدة الجهاد المقدس الذى لا يفلّ هجماته سوى أمواج المحيط الباسفيكى ، الذى عنده تنتهى حدود الولايات المتحدة . ومن هم أولئك الذين قاموا بذلك الجهاد ؟ أولئك قوم جسام المطامح ، أبت نفوسهم الضيم وولوا العسف والاستبداد ، فحولوا ظهورهم الى أوطانهم فى أوربا، وشقوا عصا الترحال، وولوا وجوههم شطر بلاد كولومبس جرياً وراء الحرية السياسية والحرية الدينية ، والحرية الاجتماعية ، والحرية بكل معانيها .

قوم هذه آمالهم، وهذه المصاعب تكتنفهم وهم يقتحمونها اقتحاماً، لا بد أن يكونوا ذوى صفات بارزة نادرة . قوم قضت عليهم سنن الطبيعة أن يعيشوا جماعات فى جهات متنوعة فى جميع انحاء تلك المملكة الواسعة ، وأن يعمدوا الى أراضيها ليستثمروها ، وكنوزها ليستخرجوها ، وأن يكون لكل جماعة منهم قرى ومدن ، ومقاطعات أطلقوا على

مجموعهاولاية ، وأن يقوم سكان كل ولاية بسن القوانين والشرائع،وانتخاب محافظين ومجالس تشريعية وبلدية، وأن ينشئوا المدارس والكليات ، و يشيدوا المعامل الصناعية ، و يؤسسوا الاندية والنقابات، و يفرضواالضرائب على الأفراد لتقوم بنفقاتها، فلا عجب أذاً ، أذا اشتهر سكان الولايات المتحدة بالاعتماد على النفس ، والمثابرة ، والثقة الذاتية ،والكفاءة الشخصية،وتحمل المسئولية،وعزة النفس ،والتعاون والتضامن، والحرية ، والمقدرة على ادارة شئونهم بأنفسهم ، والأقدام ، واطاعة الفرد للمجموع ، واهتمام المجموع بالفرد ، واحترام القانون ، وتأليه الفضيلة

ولعل أشد الصفات ظهوراً عندهم التفاؤل بالخير ، ومراقبة الأشياء بمنظار نير . يفلس التاجر منهم فلا يتطرّأ اليه اليأس ، لأنّه شديد الايمان بالنجاح بعد الفشل، والأمل بعد الخيبة . يرسب الطالب ، ونسبة الراسبين هناك قليلة جداً ، فلا يعير لذلك أهمية تذكر ، لانه لا يشك فى أن الفوز لا مفر منه ، والفلاح حليفه ان لم يكن عاجلاً فآجلا . تفلت من الموظف وظيفته ، فتراه باسم الثغر طلق المحيا ، قرير العين ، لانه واثق من ايجاد سواها . وهذا بعكس أوروبا على خط مستقيم ، حيث ينظر الناس الى الحياة بمنظار قاتم السواد

يزور الامريكيون المنزل ، أو المدرسة ، المتحف أو المسرح ، الكنيسة أو دار الكتب ليبحثوا عن أجمل ما فيها ليمتعوا النفس به و يمتدحوه ، و يدخل سواهم هذه بعينها،ليبحثوا عن أقبح مافيها و ينتقدوه.يقرأ الامريكيون الكتب والمجلات والمقالات وهمهم فى ذلك البحث والاستقصاء ،عن خير ما جاءت به قرائح الكتاب، و يقرأ غيرهم ذلك فيجهدون أنفسهم فى العثور على زلات المؤلفين وهفواتهم ، حتى يدونوا فى ذلك مرّ انتقاداتهم . الامريكيون كثيرو الغيرة على حقوقهم وشديدو الشغف بأن تكون حركات الفرد وسكناته وفق ما يريده المجموع . تذهب الامريكية لشراء قبعة فتقول لها العاملة ، هذه القبعة من الزى الذى تميل اليه معظم السيدات و يلبسه السواد الاعظم منهن . تذهب الأوربية لابتياع قبعتها فتقول لها البائعة ، أن هذه يا سيدتى فريدة فى بابها . ستكونين أول من يضع هذا النوع على رأسه

الامريكى شديد العطف على الغير . وكما أنه أصغر الناس عمراً فى تاريخ الشعوب فهو أيضاً أكثرهم تواضعاً وأخفهم روحاً . وهو على الدوام طروب فى عمله جذل بحاضره ، ثابت العقيدة فى تحسين مستقبله . ليس من المستحب عندهم مثلاً أن تنتقد مدرسة ، بل تصلح . اذا فشلت عندهم فكرة أصلحوها . أما الأوربيون فيقولون ، استأصلوها . اذا شكوت من ضرسك مثلاً وذهبت الى حكيم أسنان امريكى أخذ فى معالجته لاصلاحه . واذا عادك طبيب انجليزى أشار عليك بخلعه وأراحك من شره .

ليس الامريكى خيالياً كالايطالى ولا نظرياً كالأوربى . لا يعتقد بالنظريات الا متى تحققت . ولا يؤمن بها الا اذا أثبتت صحتها التجارب ، ذلك لأنه يهتم بالماديات الملموسة ، و يعتقد أن العالم الذى نعيش فيه مادى ملموس ، وليس خيالياً أو نظرياً لا تصله الحواس . يقولون أن الكمية أدل على النجاح من النعت ، لأن النعوت يصعب تقديرها بعكس الكميات . ولذا يبالغ بعضهم فى القول إن الريال وحده مقياس لذكاء المرء ، أى ان ذكاء الانسان يقاس بما يحصله من الأموال وليس بما يظهره من الصفات التى يختلف الناس فى تقديرها . وربما كان أقل الناس درجة فى عيونهم أولئك الذين يرتكنون على مرتبات يتقاضونها . كثيراً ما كان يوجه الى هذا السؤال هناك : أى الأعمال أحب للسواد الأعظم من الشبيبة فى بلادكم ؟ فكنت أجيب على الفور بالطبع ، وظائف الحكومة . فكانوا يتعضون جداً لهذا الجواب ويقولون بلا تردد . مسكينة الشبيبة فى بلادكم فان الناس الذين لا هم لهم الا تناول مرتبهم محدودو الرزق ضيقو العقول لا يطمحون الى المعالى .

من هذه الصفات المتنوعة نشأت مبادئهم الديموقراطية السامية التى لا تجاريهم فيها أمة أخرى . الديموقراطية فى أوروبا سياسية ، أما فى أمريكا فهى اجتماعية . نقصد بالديموقراطية فى أوروبا أن الحكومة بيد الشعب فله وحده تأييدها وله اسقاطها . أما في أمريكا فيقصد بها فوق ذلك أن الناس متساوون فى نظر بعضهم ، فليس هناك طبقة يشار اليها تدعى طبقة العمال أو الطبقة المتوسطة ، أو طبقة الاشراف ، الخ . وليس هناك رتب أو القاب فلا لورد ولا كونت ولا دوق ولا بك ولا باشا



(تمثال رمزى للوطنية)
(فوق بناية البلدية فى مدينة نيويورك)

(مقابل صفحة ٨٣)

والآن أذكر لكم بالايجاز مظاهر هذه الديموقراطية وهي

١ — روح المساواة . ليس فقط أمام القانون،فكل الأمم غير الهمجية كذلك ، ولكن مساواة في الاعتبار بغض النظر عن الفقر والغنى ، فعربات الترام كلها درجة واحدة وقطارات السكك الحديدية كلها درجة واحدة . كلمة خادم بالمعنى المتداولة هنا غير معروفة هناك . اذكر أنني حملت حقائبي الى السيارة بيدى حال وصولي نيويورك لأنني لم أجد من يحملها . وعند ما توجهت للجامعة في العمارة التي تقرر أن أسكنها طلبت من السيدة المنوطة العمل هناك ، أن ترسل الحقائب مع الخادم الى غرفتي في الطابق السادس،فلم تفهم قصدى لأن الخادم يطلق عليه هناك كلمة أخرى غير كلمة«Servant»وأنه يقوم بوظيفة غير الوظيفة المعروفة ، ولذا حملتها بيدى أيضاً الى الصاعد الكهربائي ومنه الى الحجرة .

أما في المنازل فلا يتجاسر أحد أن يكون لديه خادم أو خادمة اللهم الا إذا كان مثريا ، لأنه يجب أن يدفع لها خمسة ريالات فما فوق يومياً ، فقد تكون تلك الخادمة طالبة في أحدى الكليات وتشتغل بضع ساعات لتستعين على نفقاتها المدرسية. رأيت مرة سيدة تبتاع آلة كهربائية لغسل الثياب من تلقاء ذاتها وقد دفعت ثمناً باهظاً فسألتها عن ذلك ، فقالت . هذا خير لى من أن أدفع للغسالة ريالا عن كل ساعة أجرة لها . وشاهدت مرة في منزل لأحد أساتذتنا كان دعانا للعشاء معه ، فتاة أنيقة الملبس تدخل سيارة فخمة كبيرة جاءت لاقلالها ، فقلت للاستاذ ، أليست هذه الفتاة هي التي كانت تخدمنا على المائدة ، أجاب . بلى هي بعينها ، وهذه سيارة أبيها تأتى لأخذها بعدالعشاء ، ولفت نظرى الى أن سيارته ماركة فورد ، وسيارتها ١٩٢٠

رأيت كثيرين من طلبة الجامعات هناك يشتغلون ساعات معدودة ، كلما سنحت الفرص ،في المطاعم لغسل الاطباق وتنظيف الموائد،وهم لا يجدون في ذلك غضاضة . ولا يقلل ذلك من اعتبارهم في نظر الاخرين . رأيت طالباً صينياً مرسلا من حكومة بلاده لدرس الصحافة ،يشتغل خادماً في مطعم بجوار الجامعة ، أمام جميع زملائه ساعة كل يوم . فحادثته يوماً عن ذلك ، فأشار الى أنه متزوج وله أولاد في الصين يعولهم،

وقال أنه لو كان فى الصين لما تجاسر أن يعمل ذلك ، أماهنا فقال ،لتحي الديموقراطية فى أميركا .

كان لى ذات ليـلة الشرف الأعظم أن أكون بين المدعوين فى أكبر فنادق نيويورك لحفلة عشاء أقامها روكفلر أغنى رجل فى العالم . ولم أدهش لشيء هناك أكثر من دهشتى للحرية التى كانت تظهرها خادمات المائدة فى التحدث مع روكفلر والمحاضرين والتصفيق للخطباء والموسيقيين الخ .

كتب أحد الارلنديين فى أمريكا الى بلاده يقول ، أن كل انسان فى أمريكا مساو للآخر أن لم يكن أحسن منه بقليل ، وهذه العبارة على سذاجة قائلها تعبر عن الحقيقة كما هى . وليس هناك مهن أو حرف خاصة ليكون لها أجل اعتبار فى نظر الناس من سواها . قال لنا أحد الاساتذة يوماً . إن المرء الذى لا يعتبر النجار الماهر فى صناعته كما يعتبر الاستاذ فى الجامعة لهو مخطىء لا محالة . ولا عجب فى ذلك فالنجار تتراوح أجرته اليومية من ١٥ الى ١٨ ريالا

٢ — المظهر الثانى من مظاهر الديموقراطية التسامح . يقصد بذلك احتمال الغير الذين يخالفونهم سياسة أو دينا أو مبـدأ . يخيل اليك وأنت تقرأ مقالة ليابانى يقطن الولايات المتحدة طعناً فى الدين المسيحى أن ذلك اليابانى سيقطع أربا أربا ، غير أن الناس لا يعبأون بذلك .

٣ — حرية الخطابة والـكتابة . وهذه لا تحتاج الى بيان . غير أنه يجب أن يذكر أن أمريكا تقدمت على غيرها فى هذا المضمار ، فقد شاهدت الخطباء فى السيارات يقفون فى الميادين والأماكن المزدحمة للتكلم عن مبادئهم . شاهدت طبيباً فى ليلة من ليالى الشتاء الزمهرير عارى الرأس والذراعين والساقين ومرتديا بذلة قصيرة من التى يرتديها الطلبة فى الالعاب الرياضية ، يخطب فى سيارة والعرق يتصبب من جبينه ، عن الأدوية وماينجم عنها من الاضرار . رأيت فى ميدان آخر حسناء بملابس الألعاب الرياضية تقوم فى سيارتها أيضاً بحركات رياضية على نغمات بيانو صغير ، تعزف عليه زميلة لهـا ، وتغنى وهى تعزف جملة معناها . الرياضة البدنية الدواء الشافى ، فكسروا زجاجات الدواء وتجنبوا الاطباء واتبعونى . رأيت فى ميدان

واحد أناسا يخطبون عن الاشتراكية وآخرين ضدها . رأيت ايرلنديا يشرح القضية الايرلندية ، ورأيت بائع جرائد مصريا متأمركا يشرح للمارة القضية المصرية ويوجه للامة الانجليزية جارح الألفاظ ، ورجل الشرطة لا يحرك ساكنا

٤ — تجنب الاكثار من التشريع والادارة . يقولون أن أحسن الحكام من قل حكمه . يمقتون الاكثار من الشرائع لان فيها حبس للحرية ، يريدون أن يكون تداخل الحكومة بالغا الحد الادنى ، الحد الذى به تصان الأرواح والأموال والآداب العامة . يكرهون كثرة الأوامر الادارية ، يريدون أن تكون ادارة المجموع بابتعاد الفرد عما يكدر صفو المجموع ، يلاحظون ذلك حتى فى سجونهم . رأيت في سجن (سن سن) وبه نحو ٥ آلاف سجين ، المحكوم عليهم يعيشون كما يعيش الناس فى الخارج ، فالسجين فراش غاية فى النظافة . تغير ملاءتها كل يومين . يعطى السجين منشفة للاستحمام مرة كل يوم . يوجد فى غرفته غاز الاستصباح أو الكهرباء حتى اذا شاء طها طعامه ، وغلى شايه ولبنه بنفسه . يرسل لهم يوم عيد الميلاد البيض الملون ، وتطربهم فرقة موسيقية مرتين كل أسبوع وترسل لهم الفرق التمثيلية وأشرطة التمثيل الصامت ، ويسمح لهم بالمطالعة فى المكتبة واقامة حفلات الرقص ، وفى بعض الولايات يطلق للمحكوم عليهم بالاعدام الخيار بين ان يموت شنقا ، أو بالمقعد الكهربائى ، أو خنقا بالغاز ، أو رميا بالرصاص

٥ — وضع السلطة والقوة فى أصغر الوحدات . فالولاية في أمريكا مستقلة تمام الاستقلال عن حكومة واشنطون . فيها قوانينها وشرائعها ، ومجالسها ومدارسها ، ولكل مقاطعة من المقاطعات التى تتكون منها الولاية استقلال تام عن الولاية فى أمور كثيرة ، وهكذا المدينة والقرية

٦ — الفرصة للجميع . وأهم مظاهر ذلك التعليم ، فالتعليم اجبارى مجانى للفقراء والأغنياء على السواء للبنين والبنات فى الابتدائى وفى الثانوى . يقولون علّم الجميع ، ولابن الحوذى أن يرفع نفسه الى رآسة الجمهورية وسكنى البيت الأبيض اذا كان ذلك فى مقدوره

٧ — الاهتمام بالفرد . يتكلم الامريكيون عن الفرد ، يكتبون عن الفرد ويخطبون

عن الفرد و يميرون الفرد أهمية لا نحلم بها فى بلادنا، يسنون الشرائع اهتماماً بالفرد . ينشرون المعاهد العلمية اهتماماً بالفرد ، يحافظون على الصحة العمومية اهتماماً بالفرد ، واذا سألتهم عن ذلك أجابوك ، ان البلاد تهتم بتعليم ابنك مثلا أو المحافظة على سلامته لا حبًّا فى سواد عينيه ، انما تفعل ذلك تخليداً لها هى . ومعنى ذلك أن الأمم تسعد بسعادة أبنائها و بنيها و بناتها ، وان الدول لا تقوم لها قائمة الا بأفرادها . فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

هذه هى أمريكا وهذه هى صفات أهلها وميزاتهم ،وهذه هى مبادئهم الديموقراطية. فهل لنا منهم درس به نتعظ ؟ ألم يئن الأوان لنعلم بنينا و بناتنا جميعهم فتسعد الامة بهم .



دروس مفيدة للشرقيين

السوريون فى ولايات اميركا المتحدة

يحق لكل شرقى ان يفاخر بالسوريين ، وما يشاهده فيهم من الجد والمثابرة والجلد ، والاعتماد على النفس ، وعلو الهمة وبروز الشخصية . ولئن تجلت تلكم الصفات الساميه فى اهل سوريا اينما حلوا وحيثما رحلوا، فأن نجومها اكثر تألقا واشد ضوءاً فى ساكنى الدنيا الجديده عنها فى اى مكان آخر . وأى دليل على ذلك اكبر من المهاجرة الى تلك الاقطار النائيه المتراميه وراء المحيط الأطلسى ؟ أليس المهاجرون فى أميركا قوما جسام المطامح شديدى الأقدام . يتعشقون المجد والمعالى والسؤدد ، فيخاطرون بحياتهم ، ويتجشمون مشاق الأسفار ، ويركبون متن البحار . اليست الشعوب التى تتألف منها تلك الجمهورية العظيمة ، أقواماً نزحوا عن أوطانهم طلباً للحرية بأكمل معانيها . سياسية ودينية واقتصادية ، وحباً فى رفع مستوى الحياة وفتح باب الرزق على مصراعيه ؟

بلغ عدد المهاجرين الذين اكتظت بهم موانىء الولايات المتحدة العام الفائت نصف مليون نفس ، عدا بعض تلك الجموع التى تخلفت قليلا فى جزيرة الس ثم أرغموا على الرجوع الى بلادهم لعدم توفر شروط المهاجرة فيهم . فمن هم أولئك القوم وما هى صفاتهم ؟ أولئك من سكان أوربا والشرق الأدنى الذين باعوا ممتلكاتهم ، وأثاث منازلهم ، وحلى نسائهم ، وعقدوا النية على شد رحالهم الى العالم الجديد ، حيث مجال العمل والارتزاق فسيح ، حيث الآمال تتحقق والعزائم تتشدد ، حيث رؤوس الأموال تستثمر ومبادىء الديموقراطية والمساواة تنشر وتشجع . هناك الروسى والنرويجى والهولندى والانجليزى والبلجيكى والطليانى والفرنسى والارلندى والفلسطينى والسورى وجميع شعوب الأرض وأجناسها ، المخول لهم دخول «أرض الموعد» من سلافيين ولاتينيين وانجلوسكسونيين الخ بعد غربلتهم جيداً فى جزيرة إلس — تلك الجزيرة السحيقة الواقعة فى عرض البحر على بعد ثلاثة أميال من نيويورك . ينزلون بنسائهم وأطفالهم

الى الجزء الشرقي من نيو يورك، حيث البوتقه المذيبة Melting pot التى فيها يتحول « الحديد الأجنبي » الى « ذهب أمريكى » Americanization

وقد بلغ عدد السوريين الذين هاجروا الى ولايات أميركا المتحدة سنة ١٩٢٣، ١٢٠٧ من الأنفس والذين هاجروا منها ٦٥١ نفساً . وكان عدد المهاجرين اليها منهم سنة ١٩١٠ (٦٣١٧) . ويرجع هذا النقص الى التضييق الشديد الذى تتخذه حكومة أمريكا فى قبول من يفد اليها من الأجانب . فأمريكا أشد ممالك العالم اهتماماً بالشعوب الأجنبية التى تحاول دخول أراضيها . فانجلترا وفرنسا وغيرهما من ممالك أوربا مفتوحة الأبواب لمن يهاجر اليها من البلدان الأخرى، بغض النظر عن الجنس واللون .

أما ولايات أمريكا المتحدة فلا تقبل أحداً الا بكل تحفظ وتمنُّع . فاذا لم تتوفر جميع الشروط فى المهاجر ،فلا يسمح له بمشاهدة تمثال الحرية أو ولوج «الأرض المقدسة» بل يوضع فى جزيرة إلس التى سبقت الاشارة اليها، داخل شبكة حديدية تحيط بذلك البناء المخيف من الخارج وتغطيه من الأعلى . وهناك يسمح له بتقديم شكواه وسماع أقواله أمام محكمة ابتدائية تعقد لهذا الغرض؛ وأخرى استئنافيه تكون أحكامها نافذة المفعول بمجرد صدورها . فأما ان يُقبل المهاجر أو يرسل الى الباخرة نفسها التى أقلته على نفقتها، وقد يكون قد مضى عليه ستة أشهر أو سنة كاملة أو أكثر من ذلك،وعلى الشركة صاحبة تلك الباخرة ارجاعه على نفقتها الى الثغر الذى تبحر منه عادة.

وقد يحدث فى بعض الأحايين ان يقبل الرجل وترفض زوجته أو واحد أو أكثر من أولاده أو العكس . وليس سبب هذه العراقيل المستحكمة والمشاكل المعقدة ضيق البلاد الأمريكية بأهلها، فأن سكان تلك البلاد العظيمة الغنية لا يتجاوزون بحسب الأحصاء الأخير ١١٠ ملايين نسمة، ويقول الخبيرون انها كفيلة بأراحة الف مليون نسمة، وتمكينهم من التمتع بجميع وسائل النعمة والرفاهية. غير ان السبب فى ذلك مزدوج . فأولاً ، من جهة حكومة أمريكا. تريد تلك الحكومة ان يكون القادم اليها من - ذوى العقول المفكرة الراجحة . تريد ان تكون العناصر التى تتألف منها جمهوريتهم من نخبة الناس، وأحدّهم ذكاء وأقداماً، وأكثرهم فهماً

لمبادىء الديموقراطية الحقة . تريد ان تمنع بتاتًا دخول الشعوب الصفراء والسوداء ، لأن وجودهم يدعو الى التناسل والاختلاط بالسكان، مما يتسبب عنه زوال البشرة البيضاء الجذابة ، والقضاء على الأصل السكسوني الشمالي، المشهور بالذكاء والسكون، والرزانة والكفاءة في العمل . تريد ان تمنع من الشعوب الأخرى ضعاف العقول والأبدان،وأهل الطبقات السفلى، ممّن ورثوا الأجرام واعتادوه، حتي لا يكونوا عالة على البلاد . تريد ان يبعث اليها العالم القديم أخلاقا سامية وعقولا كبيرة وأجساما سالمة قوية ، والا فلا تريد منه أحدا

وثانيًا – من جهة المهاجرين – لقد ذاع صيت امريكا، فملأ الفضاء،ورنّ صدى غناها ، ورغد العيش وحلاوة الحريه ، ولذة الديموقراطيه وضخامة المشروعات، واتساع ميادين العمل فيها ، كل ذلك وصل الى آذان جميع الطبقات من كل شعوب الارض، فتدفق سيل المهاجره اليها ، واندفعت تياراته بعنف ، منحدره ، فانشىء بها مجلس المهاجرة،ليقوم سدا منيعا في وجه الزبد والقش ، فلا ينفذ الا الماء الرائق العذب السلسبيل

وقد تعلمت امريكا بالاختبار الشيء الكثير عن نفسية الشعوب والأجناس التي ترد اليها .

والاميركيون شديدو الأيمان ، راسخو العقيده في اجناس وامم دون الأخرى . فيميلون شديد الميل الى الجنس السكسوني وسكان الأمم الاسكندناويه (Nordics) ولو انهم لايحبون منها اولئك الذين يهاجرون اليها من ارلندا، نظرا للجرائم العديده التي يرتكبها الأرلنديون المتوطنون هناك . كما أنهم لايرحبون كثيراً بالشعوب الجرمانية . ولعل هذه عاطفة حديثة تولدت عندهم من الحرب العظمى . ويرجع ذلك ايضا الى تعدد حوادث الأجرام ، من المهاجرين من تلك الممالك وعدم اندماجهم في الحياة الأمريكية لغة وعملا ومبدأ

أما السوريون فمن الشعوب التي ترحب بهم امريكا ، أو على الأقل لاتمانع أو تتردد في قبولهم . ويرجع الفضل في ذلك الى ماتركه المهاجرون منهم منذ زمن طويل ، من الأثر الحسن والصيت الطيب ، والاشتهار بالعمل ، وزيادة الثروة ، والاستعداد لأدراك مبادىء الديموقراطيه التي يعبدونها و يقدسونها .

فأبناؤهم يتعلمون اللغة الانجليزية فيتقنونها ، ويحرصون شديد الحرص على مراعاة العادات والأخلاق الأمريكيه ، وعدم العبث بها . ويحافظون تمام المحافظة على قوانين الولايات التي يقطنونها ودستور الجمهورية

يشتركون في الانتخابات العامة التي هي اكبر مظهر للوطنية وحب الخير للبلاد. و يظهرون ميلا ورغبة في التجنس بالجنسية الأمريكية ، متى توفرت فيهم الشروط ، فترحب حكومة الولايات بقبولهم، و يحسنون معاملة الغير ، و يعيشون في غربتهم كأنهم في بلادهم . فهم جديرون حقيقه بأن تطلق عليهم عباره (Gentlemen) هذا فضلا عن ان الكثيرين منهم تطوعوا في الجيش الأمريكي ، اثناء الحرب العظمى انقاذاً للأنسانية من مخالب الأستبداد العسكري .

ولست الق هـذا القول جزافا ، فان نظرة واحدة الى الأحياء التي يكثر فيها السوريون في امريكا، درس نافع في الاقدام و المثابره والعصامية . شاهدتهم عن كثب في كثير من الولايات التي زرتها في تلك المماـلكة الواسعة . غير انني شاهدتهم عن قرب وعشرة في مدينة نيويورك ، اكبر مدن العالم في عصرنا هذا . هناك في شارع واشنطن وما يتفرع منه من الطرقات الاخرى ، هناك في ذلك الحي العظيم ، بروكلن المتسع الارجاء المترامي الاطراف ، ترى اكبر مظهر للعظمة الشرقيه في العالم الجديد بل في بلاد الغرب جمعاء . السوريون في تلك الاحياء اكبر مخلد للغة العربية والازياء والاغاني والعادات الشرقية .

هناك تجد المخازن التجاريه الـكبيرة ، والمصارف الماليه ، والفنادق والمطاعم ، تدل عليها اسماؤها بالعربية والانكليزية ، وكلها دلائل ناطقة بنبل ذلك الشعب وجده ومثابرته . هناك تسمع اللغة العربية كانك في احد شوارع القاهرة او بيروت او الاسكندرية او دمشق ، هناك تجد روائح الطعام الشرقي تنبعث من نوافذ المنازل والمطاعم ، وهناك تسمع الاناشيد العربيه تخترق سكون الليل في جوف الفضاء ، خصوصا في انحاء بروكلن الخلوية الجميله . هناك تصنع الاسطوانات الفونوغرافيه العربيه، فتقع في آذانك من آونة الى اخرى تلك الأصوات الخالدة الشجية، اصوات حجازي والمنيلاوي ومنيره المهديه وعبد الحي وتوحيده والعاشق . هناك تجد الملاهي

الشرقيه ، فاذامادخلت احدها ،خلت نفسك قد انتقلت فجأة من بلاد العم سام الى ملهى شهير بالقاهره .

ولست استطيع ان اكتم ذلك الشعور الجميل الذى سرى فى عروقى يوماً عقب وصولى الى امريكابضعة اسابيع . قضيت هناك عدة اسابيع لا أتكلم غير الانجليزية، ولا اعاشر الا الامريكيين، ولا اتناول الا الطعام الأمريكى، فأخذت اشعر بالوحدة والشوق الى الأوطان (Home sick) حتى قيض الله لى الصديق ابراهيم الحداد . وهو سورى عصامى، يشتغل نهاراً ويتلقى العلم ليلا ، بجامعة كلومبيا (التى كنت طالبا فيها) ، وما كدت اتشرف بمعرفته ، حتى اخذنى الى مصر وسوريا فى امريكا ، وما وصلت هناك حتى تنفست الصعداء وكدت لا اصدق ما أرى .

خيل ألىّ اننى فى بلادى العزيزة مصر . ولا يدرك تلك اللذة سوى الذين ذاقوا الغربة لأول مرة بعيدين عن الأهل والأحباب ، خصوصاً فى بلاد نائية عن العالم كأمريكا ، فاللغة التى كنا نتفاهم بها عربية ، والعشاء الذى تناولناه فى تلك الليلة عربى ، والموسيقى التى شنفت آذاننا عربية ، والقهوة التى تناولناها ، من البن اليمنى مصنوعة على الطريقة العربية ، وموضوعة فى الفناجين الصغيرة الجميلة المعروفة ، والاثاث الذى كنا نراه حولنا شرقى ، وتنسيقه كذلك شرقى ، والمجاملات التى كنا نسمعها من الناس لطيفة شرقية ، والأطفال الذين كنّا نداعبهم يتكلمون العربية تتخللها لثغة انجليزية تزيدها جمالا فى افواههم على جمالها .

وقد اتيح لى بهمة صديقى ابراهيم وكرمه ، أن اختبر الحياة الشرقيه هناك ، فمكننى من زيارة الكثير من البيوتات الكريمة،وسهل ألىّ السبيل الى الألمام بالشيء الكثير عن حالهم وتجارتهم ومطاعمهم ومصارفهم،واراني كثيراًمن ممتلكاتهم ومبانيهم وما وصل اليه الكثيرون منهم،من الفن والثروة ،وا كتسبها تجارهم من الثقة والنجاح، وكثيراً مااخذنا جماعات من الطلبة الأمريكان والطالبات، الى منزل صديقنا ومنازل اخرى لمواطنيه ،حيث كنا نلاقى فيها من آيات الكرم والدعة والضيافة ، مايرفع رأس الشرقى بين الغربيين

وكم كان يسر أولئك الطلبة الأجانب بما يشاهدونه هنالك من الأوانى الشرقية والأثاث الشرقى ، والعادات والاطعمة والمشروبات الشرقية .

وللأميركيين ولع شديد بكل غريب مستطرف ، فكانوا مولعين جداً بتناول القهوة الدسمة في فناجينها الصغيرة الدقيقة الصنع ، وكانوا شغوفين بالعود (وهو الآلة الموسيقية التى لايوجد لها نظير عندهم) ، والموسيقي العربية التى تسير نغماتها على وتيرة واحدة ، ويقولون ان الحانها مع شدة افتقارها الى الترقى الفنى ، مملوءة بالرقة والعاطفة. وكثيراً ما رأيت جماعات من الأمريكيين ، يتناولون طعامهم فى المطاعم السورية جماعات جماعات ، فعلاوة على المطاعم السورية العديدة فى كل ركن من اركان شارع واشنطن وملحقاته ، وحىّ بروكلن بأجمعه ، فأن بقرب الشارع رقم ٢٣ يوجد مطعمان كبيران شهيران ، الواحد يدعى القاهرة والآخر دمشق . اليس في كل هذا مايدعو للفخر والأعجاب ؟

ويجب هنا ان أتقدّم الى القارىء مسارعا بالقول أن عدد السوريين فى أميركا المولودين خارج أميركا حسب التعداد الاخير (سنة ١٩٢٣) فى ولاية نيويورك فقط ٨١٢٧ — منهم ٧٧٦ فى مدينة نيويورك وحدها

وبلغ عددهم فى جميع الولايات ١٠٤،١٣٩ . ولايدخل فى هذين العددين السوريون الذين ولدوا فى أميركا . وإذا قابلنا بهذا العدد المهاجرين سكان الممالك الاخرى وجدنا أن أهل سوريا فى أميركا اكثر من اهل السرب والجبل الاسود وبلغاريا وأرمنيا وتركيا وألبانيا معاً

ولا يخفى أن مجلس المهاجرة فى أميركا لا يسمح بقبول أكثر من عدد معين من كل مملكة سنوياً . فلا يقبل فى أميركا من المصريين مثلا ، أكثر من ١٨ مهاجراً سنوياً أما من السوريين فيسمح بدخول ١٧٧ مهاجراً شهرياً ، بشرط أن لا يتجاوز العدد سنوياً ٨٨٢ مهاجراً

ومعظم السوريين المهاجرين يشتغلون كما قلت بالتجارة ، ولا يكاد يوجد سورى واحد هناك يحترف مهنة وضيعة ، كما نجد فى المهاجرين من ممالك جنوب أوربا وشرقها. فهم فى ذلك كالاميركيين أنفسهم ، فأنهم لا يشتغلون بالاعمال الدنيئة بل يتركونها

لغيرهم من الأجانب · ومن يحتك بالسوريين فى الولايات المتحدة يدهش لاتصال حبل المعاملة عندهم بالممالك الاجنبية فى جميع أقطار العالم . فكثيرون منهم يتاجرون مع أمريكا الجنوبية ، حيث يوجد عدد كبير من اخوانهم ومواطنيهم السوريين هناك . وبعضهم يستورد البضائع اليابانية والصينية ولا يشتغل ببيع سواها . وكثيرون منهم يستوردون السلع من أوروبا ، التى لا يوجدمثلها فى أميركا . وقد قابلت فى الباخرة التى أقلتنى من فرنسا إلى نيويورك تاجراً سورياً ، وعند عودتى على الباخرة أكوتانيا من نيويورك الى انجلترا ، قابلت التاجر عينه، وفهمت منه أنه عبر البحر الاطلسى أكثر من ثلاثين مرة استجلابا للسع من أوروبا. وفى أثناء رحلتى فى أوروبا صادفت سوريين فى لندرة وباريس والهافر، وبوتسدام وسان سوسى (من ضواحى برلين)، والهاى وفينا وبراغ وروما وكلهم كانوا هناك لغرض تجاري وجميعهم من تجار نيويورك أو البرازيل .

وقد رأيت فى شيكوسلوفاكيا عائلة سورية يطوف أفرادها عواصم أوروبا. فقال لى رب العائلة ، انه هو الوحيد الذى ولد في سوريا ، أما زوجته وابنه وبنته فكلهم ولدوا فى الولايات المتحدة . وهذه أول مرة يزورون فيها بلاد أجدادهم . وكنت كلما أتأمل فى حياة السوريين هناك وميلهم الطبيعى إلى الرحيل عن الاوطان ، وحبهم فى التجاره ، أذكر على الدوام الفينيقيين ، وما أشتهروا به فى قديم الزمان من صنع السفن ، وركوب البحار ، ومبادلة السلع فى جميع الاقطار . كنت اجد تلك الغريزة فى المهاجر الصغير، الذى يصل نيو يورك حديثاً، وهو صغر الكف ناقص الاختبار غضّ الشباب، وسرعان مايمكث بضعة أسابيع حتي يشتغل مساعدا متنقلا (Salesman) فى المخازن التجاريه وما هى الا عشية أو ضحاها حتى ترى جيبو به ملآى بالريالات. والريال هناك الكل فى الكل . ومعيار الكفاءة والمقدرة ومحك الاجتهاد والاعتماد على النفس

ولانهماك السوريين هناك بالتجارة وحشد الثروة فهم قليلو الاكتراث بتعليم ابنائهم او بناتهم ، فيما فوق المدارس الثانوية غير انه يوجد منهم من يشتغلون بالادب، ومنهم من يشتغلون بمهنة الطب ومهنة المحاماة . وغير ذلك .

فى مدينة نيو يورك ثلاث جرائد عربية ومجلتان وكثيراً مايخرج من الادباء منهم آيات رائعات فى الادب والشعر وغيرهما

قالت لى يوماً آنسة من طالبات جامعة كلومبيا فى نيو يورك ان الشرقيين يمتازون عن الغربيين بالعواطف العميقة الدفينة والخيال الممتع المترامى الاطراف. سألتها وكيف تقيمين الدليل على ما تقولين. فأجابت « اننى لم أعاشر أحداً من الشرقيين، غير اننى لا أنسى مطلقاً كم كانت تمثل أمامى تلك الشعائر فى رباعيات الخيام وكتاب الزعيم الهندى غندى (هندستان الفتاة) ويخيل الىَّ ان الشرقيين رقيقو العواطف بمعنى الكلمة، فاذا ما كتبوا شيئاً نفذت سطورهم الى سويداء القلب وأصابت مواقع الوجدان »

وقد زرت عدة كليات وجامعات فى أميركا فى ولايات مختلفة، فلم أصادف فيها من السوريين أحداً، مع وجود التجار وأرباب الأعمال منهم فى كل ولاية تقريباً. وهذا يذكرنى بطالبة سورية أديبة فى جامعة كلومبيا. كانت تجلس فى احدى المقاعد الأمامية،فى قاعة المحاضرات فى الفلسفة،فكانت كلما تكلمت أثناء المناقشة مع الاستاذ لفت حديثها نظرى؛ حتى قلت يوماً لطالب امريكى بجانبي « لو لم تكن هذه الفتاة اميريكية لقلت انها سورية » فأجابنى ضاحكا ولم تقول ذلك. قلت له لأن لهجتها تشبه لهجة السوريين فى مصر متى كانوا يحسنون الانجليزية.

مضى على هذا الحديث شهران، واتفق يوماً ان سافر زمرة من الطلبة والطالبات الى ولاية فرجنيا. فبينما كنا فى القطر عقب قيامى من نيو يورك، لمحت تلك الفتاة جريدة المقطم فى يدى (وكانت تصل الىّ باستمرار). فجاءت الى مسارعة وبادرتنى بهذا السؤال، هل أنت مصرى، فأجبتها نعم. اذن أنت سورية، والآنسة المشار اليها (اليس قندلفت) وهى طالبة مجتهدة محبوبة جداً من جميع أساتذتها ورفيقاتها الأمريكيات، وتسكن احدى بنايات الجامعة مع مئات من الفتيات من جميع اطراف العالم. وهى ايضاً عضو فى النادى المختلط الذى يحتوى على عدد كبير من طلاب العلم ذكوراً واناثا من ٧٥ مملكة.

والآنسة اليس من دمشق وصديقى ابراهيم حداد من حمص، فكنا جميعاً نمثل العالم العربى فى ذلك النادى الجميل، وكان فى النادى ايضاً طالب عربى من بغداد، وانضم اليه اخيرا موظفان من القنصلية المصرية فى نيو يورك عقب انتسابهما الى القسم

الخارجى لجامعة كلومبيا وهما السعيد افندى وصبرى افندى ، وقد كانت اللغة العربية لنا رابطة وثيقة العرى فى تلك الديار النائيه واميالنا وعاداتنا الشرقية أ كبر مقرّب لدواعى الالفة والمودة ، والحق ان السوريين هناك شديدو الميل للمصريين ، فلا تفوتهم فرصة للاهتمام بمن يزورهم منهم واكرام وفادته . فلم يكد يصل رمسيس بك الشافعي ، قنصل مصر ، الى نيويورك حتى هرع السوريون الامريكيون لزيارته ، والترحيب به ، وعلائم البشر والابتهاج تلوح على محياهم . ولم يكد السعيد افندى وصبرى افندى موظفا القنصلية يستقران هناك حتى كان جميع اصدقائهما من السوريين، وقد لقى موظفو السفارة فى واشنطن منهم ما لاقى اخوانهم في نيويورك ، ولا بدع في ذلك فسوريا ومصر اختان على الدوام شقيقتان ، وليس فى اقطار الشرق الادنى قطران متماثلان وأمتان متشابهتان كمصر وسوريا ·

ويخيل الىّ ان السوريين فى امريكا غير السوريين في مصر ، فالسوريون فى امريكا مع شدة اندماجهم فى الحياة الامريكية ، يحافظون اشد المحافظة على العادات الشرقية ، ففى لغتهم وزيهم واثاثهم وطعامهم ترى الشرقية هى الغالبة فيهم ، اما السوريون فى مصر فيتكلمون الفرنسية اكثر من العربية ، فهم فرنسيون اكثر مما هم عربيون لغة. وغربيون اكثر مما هم شرقيون عادة . تشعر بأنَّ السورى هناك شرقى فى نظر الرائى لاول وهلة . اما السورى فى مصر فيصعب تمييزه من اليونانى اوالفرنسى اوالطليانى . السورى هناك يستخدم العبارات والمفردات العربية في اتمام المعانى الانجليزية ، والسورى فى مصر يدخل المفردات الانجليزية حشوا فى العبارات بمناسبة ولغير مناسبة . لم اقصد بهذه المقابلة الوجيزة سوى الاعجاب بالسوريين فى اميركا لمهارتهم الفائقة ومقدرتهم الغريبة فى تكييف الحياة العربية فى الحياة الامريكية ، والتشرب بالمدنية الغربية مع المحافظة على النفسية الشرقية ·

كنت كلما اراهم فى بروكلن يقدمون القهوة لزائريهم (او العرق او الزبيب البلدى) وارى انواع الفطائر والحلوى الشرقية، واصناف الطعام المصرى والسورى . واشاهد لوحات المخازن والمحال التجارية مكتوبة بالعربية ، واسمع الرجال والنساء والاطفال ينطقون بالانجليزية المفعمة بالكلمات العربية ، ويشتقون من الاسماء

الانجليزية افعالا ونعوتا عربية ،وأنظر الى أطفال السوريين المولودين فى اميركا يكررون الحان الريحانى والكسار ، كنت كلما اتأمل كل ذلك، اقول ، لايبعد ان تتجه انظار العالم يوما الى حى بروكان ، فيكون القول المأثور فيها « هنا الشرق والغرب يلتقيان »

وكلمتى الاخيره ان السوريين اقدم المهاجرين الى أمريكا « Pioneers » فى الدور الأخير، ولهذا الميل يعزى نجاحهم الذى يغبطهم عليه كل شرقى يطأ الدنيا الجديدة . فهم كأولئك الأبطال المهاجرين الأولين ، جسام المطامع كبار النفوس ، عشاق الحرية والسؤدد والمساواة ، يكرهون اليأس ويمقتون التشاؤم ، اذا فشلوا فى مكان تقدموا الى سواه ، ونزحوا الى المكان الذى ترشدهم اليه عقولهم . فالعالم فى نظرهم مملكة واحدة ممتدة الأطراف . فلا حدود تعيقهم ،ولا مصاعب تخيفهم، وكل بلد طيب موطن لهم ، وكل مرعى خصيب مأوى لهم .

وكل امرىء يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

يؤمنون بالعصامية و يقدسون المجهود الفردى ، و يؤثرون التنقل فى طلب الرزق ، على القنوط والجمود ، والقنع بالقليل من العيش . يحافظون على مبادىء القوم الذين يعيشون بينهم ، ولكنهم يتفانون حبًا فى لغتهم العربية ونفسيتهم الشرقية .

فسلام على تلك الهمة العالية ، والنفس الكبيرة . سلام على ذلك الفتى الصغير المعدم ،الذى يسافر فى طلب العلا فيعلو. سلام على أولئك الألى يجدون العز فى التنقل، والسعادة فى أرض واسع فضاها . سلام على سوريا فى أميركا . سلام على الشرق فى الغرب .



النهضة النسائية فى أمريكا

لست أغالى أذا قلت أن المرأة فى أميركا أرفع منزلة وأعلى جانبًا من الرجل . شاهدت المرأة فى الكليات والجامعات تفاخر الرجل ، وتقف معه جنبًا الى جنب، وتفوقه عدداً ، ان لم يكن نشاطًا واقدامًا واقتداراً .

شاهدت المرأة فى ميدان العمل ، تزاحم الرجل وتناضله ، تقوم بالأعمال الشاقة فى المعامل والمزارع وتنكب على الأشغال التجارية فى الاسواق والحوانيت والمخازن ، وتكتب على الآلات الكاتبة فى المكاتب ، ويعهد اليها صرف الأموال فى الخزانات والمصارف . شاهدت المرأة فى حلبة السياسة ، تنافس الرجل فى تبوء المراكز السياسية، وتناقش النواب الحساب ، اذا لم يدافعوا عن حقوق ممثليهم . شاهدت المرأة تشتغل بالحرف الراقية ، كالطب والهندسة والمحاماة والقضاء والتعليم والتحرير والتأليف ، وقد فاقت الرجل ثباتًا وشجاعة وكفاءة . شاهدت المرأة فى ساحة اللعب ، تصرف الساعات الطوال ، فى المسابقات الرياضية والتمرينات البدنية ، وغيرها من الألعاب التى يزاولها الرجل . شاهدت المرأة تؤسس الأندية والنقابات ، وترتب الحملة استعداداً للانتخابات، وتثير حربًا عوانًا على أولى الحل والعقد ، أذا ما أغفلوا الآداب العامة والمسائل الصحية ، أو المشروعات العلمية والاجتماعية .

المرأة فى أميركا تقابل الرجل مقابلة النظير للنظير، والند للند . فى الجامعة كما فى الشارع ، فى قاعة الرقص ، كما فى المعارك السياسية ، فى النادى وفى الكنيسة . تمتطى ظهور الجياد وتسوق السيارات ، تسير فى الميادين والطرقات لقضاء أشغالها بغير مصاحبة رجل، بلا وجل ولا خجل . وتتقن هندامها فى كل حين . فى المنزل وأماكن العمل ، فى الطرقات وهى تحمل بيدها المأكولات والفواكه ، فى الملاهى ودور اللهو والمسارح .

المرأة فى أميركا حديثة فى آرائها ، مرنة فى تفكيرها . تنبذ القديم اذا ما اتضح فساده ، وترحب بالجديد متى قام الدليل على صلاحيته. تكره الجمود فى كل شيء ،

تنظر شذراً الى شاب يلبس حمالة لأنها تقيـد صاحبها ، فلا يكون حراً طليقاً فى حركاته وسكناته . تمقت كرسياً بغير عجلات لانه لا يسهل تحريكه . المرأة فى أميركا أشد حرصاً على الوقت من الرجل ، فتراها تقتحم الطريق اقتحاماً ، وتشق بحر المارة وهى لا تبالى . تراها فى منزلها ودور أعمالها ، تتنقل من مكان الى مكان فى غاية من السرعة .

عظمة الأندية النسائية فى أميركا

كم كنت أحار فى عدد الأندية النسائية فى كل مدينة وقرية . وكم كنت أود لو اتيح لى أن أنقل الى اذهان القراء صورة من تلك الأندية ، بما فيها من جرائد ومجلات وكتب ومجلدات ، وملاعب فسيحة ، وقاعات للمحاضرات ، ومسارح فخمة ، وبحيرات صناعية للسباحة ، وغرف للنوم ، ومطاعم للأكل وغير ذلك .

فى ربيع هذا العام شرع فى تشييد بناء جديد للسيدات فى أحدى أحياء نيويورك ، فوضعت له ميزانية مبدئية قدرها خمسة ملايين من الريالات . وتضيق هذه الصفحات بوصف ما نشره اصحاب النادى من أحدث المعدات التى ستكون لهذا البناء . دعيت فى شهرمارس من العام الفائت للخطابة فى أقدم ناد للنساء فى نيويورك عن «المعيشة القروية على ضفاف النيل » فهالنى عدد المشتركات فى هذا النادى ، وما كن عليه من الحماس والحركة والنشاط .

وأذا ذكرت أن لهذه الأندية تأثيراً عظيماً على الرأى العام ، وأنها شديدة الرقابة على ما تقوم به المجالس البلدية ومجالس الولايات ومجالس التعليم وسائر المجالس النيابة ومصالح الحكومة اتضحت منزلة المرأة الاجتماعية ونفوذها هنالك .

فأذا ما حانت الساعة فى ولاية أو مدينة أو قرية لتجديد الانتخابات ، ايا كان نوعها ، قامت تلك الأندية وقعدت ، وأنبرت الكاتبات للتحرير فى الجرائد ، واعتلت منهن الخطيبات المنابر لأثارة الرأى العام ، وتمهيد السبيل الى تنفيذ ما يردن . تعد المرأة هذا واجباً وطنياً يجب عليها اداؤه . تقول أن التصويت فى الانتخابات العامة كاشهار



(صورة الكابتول فى واشنطون)

(مقابل صفحة ٩٩)

السيف فى ميدان القتال . والمرأة التى تلهيها أعمالها المنزلية عن ذلك لهى جندى جبان التى بسيفه وفر من ساحة الوغى . يعير الجار جارته والزوج زوجته والابن أمه اذا تقاعدت عن القاء دلوها فى الدلاء .

أما إذا علت امرأة مقعداً نيابيًا فانها لا تملأه فقط بل تتغلب على زميلها الرجل . كان أحد زملائى الطلبة فى جامعة كاومبيا مديراً للتعليم فى احدى الولايات ، فألقى يومًا محاضرة على طلبة الفرق عن اختباراته كمدير تعليم ، وكان معظم أقواله شكوى مرة من سيدة كانت عضواً فى مجلس التعليم فى تلك الولاية . قال لنا فى سياق المحاضرة أنه أذن باجازة قدرها ثلاثة أشهر لخمسة من الأساتذة الأكفاء فى مدارس ولايته ليدرسوا فى خلالها المؤلفات الحديثة من الجغرافيا والتاريخ ، ثم يقدموا تقريراً عن افضل تلك المؤلفات ، ويطلبوا من المجلس أن يقره حتى يدرس فى جميع مدارس الولاية . وفى نهاية الأشهر الثلاثة قدم الاساتذة مؤلفًا معلومًا ، وما كان من المجلس ألا أن رفضه رفضًا باتًا ، لأن سيدة من الأعضاء أثرت على سائر الأعضاء بألفاظها الخلابه وحجتها الدامغة . وقد ضاعت مجهودات المدير . ووظيفة مدير التعليم فى الولاية من الوظائف الخطيرة الشأن فقد يبلغ مرتبه ١٨ الف ريال فى العام (نحو ٤٠٠٠ جنيه مصرى) أى أكثر من مرتب وزير .

مفتشات التعليم

كنا نزورمرة مدارس قروية فى ولاية مارى لند Maryland وقيل لنا ان المفتشين سيصحبونا فى تلك الزياره . فلما توجهنا الى مدينة بلتمور دهشت جدا لأننى وجدت جميع اوائك المفتشين من السيدات ، وقدكان لكل مفتشة منهن سيارة تسوقها بنفسها . فركبنا اربعة فى كل سيارة ، وكان البرد فى ذلك اليوم قارصا ، والمسافة الى تلك المدارس شاسعة ، والثلج متساقطا من السماء يكاد يغمر العجلات . ولما اشرقت الغزالة بين الغيوم المتقطعة . ذاب الثلج وتحول ماء جاريا ، وما كادت تلفحه الرياح الباردة حتى استحال جليداً . وبينما كانت تشق السيارات الثلوج تارة والمياه او الجليد اخرى ، كان يخطر ببالى هذا السؤال ، بعدكم من الوقت يتاح للمرأة فى بلادنا ان

تتحدث مع من لاتعرف ، وتقتحم التغيرات الجوية ، وتسوق السيارات فى الاصقاع النائيه ، بين الادغال والاحراج مع قوم يختلفون عنها جنساً ولغة وعادة ودينا ؟

توجهنا مرة اخرى الى مدينة مونت كلير لزيارة مدرستها الثانوية . فوجدنا فى انتظارنا امام المحطة ثمانى سيارات ، يسوقها ثمانى طالبات من طلبة تلك المدرسة . وفى اثناء الطريق كان يجول بخاطرى ايضاً هذا السؤال : هل تفك يوما البنت من اغلالها فى مصر ، فتتلقى العلم جنباً الى جنب مع الفتى وفى نفس المدرسة والفرقة .

عدد الطالبات الهائل

هالنى فى اميركا ان أرى ان عدد الطلبة فى جامعة كلومبيا التى كنت احد طلبتها اكثر من اربعين الفاً . ولكن هالنى اكثر من ذلك ان اجد جميع مساعدى الاساتذه وكاتبى اسرارهم من الجنس اللطيف . هالنى ان ارى الوف الموظفين فى التسجيل والخزينة والبيانات المخصصة للطلبة الداخلين كلهم تقريباً من السيدات . هالنى ان اجد فى فرقة واحدة (٣٢٠) طالبا يتلقون الفلسفة . ولكن تضاعفت دهشتى لرؤيتى اكثر من نصف هذا العدد من السيدات . ان السواد الاعظم من طلبة مدرسة الصحافة فى هذه الجامعة من البنات . كما ان السواد الاعظم من المحررين والكاتبين منهن .

كثيراً ما كنت اقف على درجات السلم المرتفع الفخم ، المؤدى الى مكتبة الجامعة العمومية ، فاجد الوف الطلبة يتسربون كالنمل نهاراً وليلا من كل صوب وفج ، فكانت الاغلبيه الساحقة لغير الذكور . فى كلية المعلمين فى تلك الجامعة اكثر من ثلاثة آلاف طالب ... ان ٩٠٪ من الاساتذة فى اميركا من السيدات ، وان ... يكفى ان يقال ان اخت الرئيس هاردنج معلمة ... كاتبات للتحرير فى الجرائد ، واعتلت ... أقامت الجامعة فى نيويورك احتفالا شائقا لتوزيع الدرجات العلمية على ... الذين منحوا الدرجات العلمية اربعة آلاف ناجح

وانى لن انسى فى حياتى ذلك المشهد الرهيب الجميل . تصوروا الف ومئتين من الأساتذة يسيرون من عمارة فى وسط الجامعة بملابسهم الرسمية المتعددة الالوان على نغمات الموسيقى الى منبر عال فى مكان الاحتفال . تصوروا أربعة الآف طالب يسيرون ايضاً بملابسهم الرسمية الجميلة ، كل بحسب درجته العلمية ، الى مكان الاحتفال ايضاً ، ولكن تصوروا فوق ذلك الفين وخمسمائة من الفتيات بملابس رسمية هى عين ملابس الطلبة الذكور . فى تلك اللحظة كانت تتجسم فى مخيلتى هذه الفكرة : ان هذه وامثالها فى الجامعات الاخرى هى القوة الكامنة فى اميركا . اولئك هن امهات المستقبل . وانك اذا شئت ان تربى طفلا تربية حقة فابدأ بتربية ام ابيه كما يقول علماء اميركا

* * *

الحركة النسائية

رأيت يوماً على غير المعتاد زميلاً لى يطالع ومعه ثلاث فتيات وامرأة ، ولما خرجن عرفنى بهن فاذا بالمرأة زوجته والفتيات بناته والجميع طلبة فى نفس الجامعة

* * *

من المعتاد سنوياً أن تتبادل الجامعات الكبرى في أوروبا الاساتذة في اميركا ، فيتوجه اساتذة من جامعة كلومبيا لالقاء المحاضرات فى جامعة باريس و بالعكس ، وقد سمعت استاذاً من جامعة باريس يحاضر فى جامعة كلومبيا وهو يظهر دهشة عظيمة لانصراف النساء فى أميركا الى العلم بهذا العدد وهذا الشغف

وحتى أبين كم فاقت البنت الأمريكية أختها الأوروبية فى التربية أضع هذه الأرقام :—

ان فى كل خمسين من السكان فى أميركا طالباً فى المدارس الثانوية (وعدد البنات فى المدارس الثانوية اكثر من عدد الاولاد) ، فى حين ان فى المانيا طالباً ثانوياً فى كل مائة وثلاثين من السكان ، وعدد الطلبة فى فرنسا فى الأقسام الثانوية

بنسبة طالب فى كل مئة وخمسين ، وفى انجلترا طالب فى كل مئة ، مع العلم ان الاغلبية الساحقة فيها من الذكور . ان فى أميركا اكثر من عشرين مليون طالب ، وفى الأقسام الثانوية فقط اكثر من مليوني طالب اكثر من نصفهم من الأناث

ان السيدة الأمريكية تجد فى البطالة عاراً ، وتحسب الانفاق عليها من والديها ذلاً ، ولذا لا تكاد الفتاة تفرغ من المدرسة أو الكلية ، حتى تبحث عن عمل تقضى فيه أوقاتها ، وتربح منه ما يَقُوم بحاجاتها ، وكثيراً ماتستمر المرأة فى عملها حتى بعد زواجها ، طمعاً فى المكسب وحباً فى اعانة الزوج . ولعل السبب توفر وسائل العيش فى المنزل ووجود المدارس التى تتكفل تربية الاطفال منذ نعومة أظفارهم

قرأت أخيراً عدد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ من مجلة (Answers) الانجليزية واذا بمقالة شائقة دبَّجها يراع كاتبة انجليزية صرفت زمناً فى أميركا ، وموضوعها « استيقظن يا بنات بريطانيا » وفيها تقريع شديد ومقارنة بين البنت الانجليزية التى تخجل من العمل اذا كانت متوسطة الحال والبنت الامريكية التى تعد العمل شرفاً واعتباراً حتى اذا كانت من بنات الاغنياء

*
* *

ان فى أميركا جماعات من النساء التى تقاوم الرذيلة ، وتحثّ الناس على الفضيلة ، وتساعد الحكومة في القبض على الجناة والمحافظة على الصحة العمومية ، ومنع حوادث السيارات والقطارات ، مما لا يمكن حصره . ولا يسمح المقام ان أصف شيئاً عن مسابقات الجمال ، واسهب فى النهضة النسائية فى الفنون الجميلة ، خصوصاً التمثيل الصامت ، غير انى أريد أن أقول ان سبب نجاح المرأة الامريكية هو تعليمها ، وربما كان السبب الذى يتلو ذلك أهمية هو تعليمها جنباً الى جنب مع الرجل . ان بلاداً تتسع مسافة الخلف بين الرجال والنساء فيها ، فيسير فريق الرجال فى غير ما يسير فيه فريق النساء لا يرجى منها تقدم صحيح . ان هيئة يمشى فيها الرجال بمعزل عن النساء لناقصة . وانّي للمجتمع ان يكون كاملاً والنصف فقط فيه عامل والآخر أشل ؟

لقد حانت الساعة التى يجب فيها ان تفك المرأة المصرية المسكينة من اغلالها .

فأين مدارس البنات من مدارس الذكور . وأين عدد المتعلمات من المتعلمين على قلتهم . وأين انصار المرأة . وكم من اللوم والتقريع وجّه لكل كاتب أو خطيب حاول الكلام عن تحرير المرأة ؟ من الغريب ان الحكومة المصرية حظَّرت على سفرائها وقناصلها فى الخارج ان يسمحوا لعقيلاتهم بالظهور فى الحفلات الرسمية حفظاً للعادات والتقاليد الشرقية . . . .

انّ السُّجود للعادات وعبادة التقاليد والتعلق بالماضى لسبب ولغير سبب لانتحار لا محالة ، ومنح الذكر من الحقوق ما لا يمنح للأنثى لظلم واستبداد ووحشيّة. كيف نبرأ من تجارة الرقيق كأمة متمدينة وبيننا النساء رقيقات ذليلات . فهل فى النشء الحديث من يأخذ بناصر ذلك المخلوق الضعيف ؟

قد نقول ان اميركا واوروبا بلاد غربية . وهيهات ان نغير من عادات نسائنا ، والتقاليد الشرقية التى اعتدن السير بموجبها الاحقاب الطوال ، ولكن ماذا نقول فى الحركة النسائيـة فى اليابان وجزائر الفلبين وجزائر الهواى وغيرها من جزر المحيط الباسفيكى ، وكذلك ولايات اميركا الجنوبية ، ان التعليم فى هـذه كلها اجبارى للذكور وللأناث والنظام فيها مزدوج Co-educational أى ان البنت تتلقى دروسها جنباً الى جنب مع الولد . وغاية ما فى الأمر أن فى اليابان تفصل البنات عن الذكور فى المدارس الثانوية فقط . فيدرس الصبيان والبنات معاً فى القسم الابتدائى وعدد سنى الدراسة فيهِ ثمان . ثم يفترق الفريقان فى المدارس الثانوية ، وعدد سنى الدراسة فيه أربع . ثم ينضم الاثنان معاً فى الكلية والجامعـة ، وهكذا تعيش المرأة مع الرجل منذ نعومة أظفارها . فلا تشعر أنها أقل منزلة منه ولا تحرم من مزية يتمتع بها الرجل دونها

وبذلك تنشأ عائلات ، أفرادها فى الحقوق سواء . ولن يبرح من مخيلتى خطاب شائق ، ألقته شابة من شيلى (من جمهوريات اميركا الجنوبيـة) على جمع حافل من السيدات والرجال ، فى أحدى نوادى جامعة كلومبيا فى نيويورك ، صرحت فيه بعبارات مدهشة عن نشاط الجنس اللطيف فى بلادها ، وهذا بعض ما جاء فى خطابها : —

« ان النساء فى بلادنا أنشط نساء العالم واكثرهن اقداماً واقدرهن على العمل

واشدهن غيرة وحماساً . فهن يزرعن الارض ويغرسن الاشجار والزهور ، ويقدن السيارات وعرابات الركوب والحمل ، ويقمن باعمال التجارة والصناعة »

ثم حملت بعد ذلك حملة شعواء على الرجال فقالت :

« أما الرجال فكسالى لا يشتغلون إلا بالاعمال السهلة الناعمة الملمس كالطب والهندسة والمحاماة والتعليم والتحرير »

ومن هذا ترى ان المرأة هناك بلغت حد المغالاة والتطرف ، والدخول فى ميدان الاعمال الخشنة ، فانقلبت النظرية ، واصبحت المرأة خشنة قوية العضل والساعد ، وتأنث الرجل ، واصبح ناعم الانامل ، يتجنب الاعمال المنهكة للقوى

ولست أريد بهذا ان نتشبه بأولئك القوم ، فان المرأة وان أعطيت من الحقوق والمزايا ما للرجل ، فان هذا لا يدفعها لركوب هذا المركب الخشن ، وفقد ما اكسبته أياها الطبيعة ، من دقة فى الخلق ، ورقة فى العواطف ، ونعومة فى الملمس ، وجمال فى القوام

هذا ولا أذهب بك بعيداً فامامك تركيا وهى اقرب البلدان الشرقيـة الينا ، كانت نساؤها الى عهد قريب — سنتين أو ثلاث — من أشد نساء الشرق تمسكا بالحجاب والانزواء ، والابتعاد عن الاماكن التى يغشاها الرجال ، أما اليوم وقد قامت فيها الثورة الفكرية على قدم وساق ، ونالها هذا الانقلاب السريع والتطور الغريب ، فان المرأة فيها انفكت من عقالها ، واندمجت فى الحياة اندماجاً سريعاً ، ونافست الرجل فى الاندية والمجتمعات ، وانصرفت الاوانس الى تلقى العلم جنباً الى جنب مع الشبان فى المدارس والـكليات . وقد قالت لى سيدة سائحة اميركية فى فبراير الماضى (سنة ١٩٢٥) أنها شاهدت البنت التركية قد تبدلت بسرعة تدعو للاعجاب والدهشة فاصبحت تحاكى الاميركيـة زياً ومنظراً وهنداماً وتصرفاً . أليست هـذه البلاد شرقية مثلنا ؟

وأخيراً اذكر أمراً واحداً ، ما الذى أضر بسيداتنا المصريات اللواتى اندمجن فى حياتنا الاجتماعية ، بالتحرير على صفحات الجرائد ، والوقوف على منصات الخطابة ، والظهور فى الحيـاة على اختلاف مظاهرها ، وهل يفسح لى المجال فاذكر السيدة صفيه زغلول ، والسيدة هدى شعراوى ، واسترفهمى ويصا ، ومدام حبيب خياط ، والآنسة

منيرة ثابت ، ومدام شرقاوى ، والآنسة مى ، والسيدة لبيبه احمد ، ونبويه موسى وروز حداد ، ومتيلده عبد المسيح ، واوليفيا عويضه ، وبلسم عبد الملاك . ولبيبه هاشم

ان البلاد فى حاجة الى نهضة عامة ، ان الشرق فى سبات عميق ، وهيهات له ان يستيقظ والمرأة وراء الستار يقتلها الجهل ، وتعمى ابصارها التقاليد . فقدسوا حقوقها ، أزيحوا الحجاب عن وجهها ، اطلقوا لها العنان ، فترقى وتتهذب اخلاق الرجال بها ، ويولد لنا بنون وبنات ، تفخر بهم الأمم ويعاد بهم مجد الاجداد



الشرق والغرب

والفرق فى العادات والآداب بينهما

من الخطأ ان تعتقد ان التقاليد والعادات والآداب متماثلة فى جميع الاقطار الشرقية . كما انه ليس من الصواب ان تحسب بلدان أوروبا وأميركا سواء فيها . فان مسافة الخلف فى بعض العادات بين مملكتين شرقيتين، قد تكون اكثر انفراجاً منها بين مملكة غربية وأخرى شرقية

فالصين واليابان وهما بلدان شرقيان ، يستعمل السكان فيهما فى تناول الطعام عصياً من الخشب بمثابة الشوك والسكاكين فى الاقطار الغربية ، في حين ان معظم الممالك الشرقية الأخرى يستعمل السواد الأعظم من السكان فيها أيديهم شوكاً وسكاكين ، وفى كثير من الاحوال تقوم اليد أو الشفتان أو اللسان مقام الملعقة . كذلك يلبس الناس فى الصين واليابان وجزائر الفلبين وكوريا القبعات كما يفعل الغربيون ، وهذه العادة فى بلادنا مثلاً وهى شرقية مثلها عرضة للانتقاد والتقريع . والاثمان فى معظم الاقطار الغربية محددة لامساومة فيها ، بعكس الحال فى بلادنا فانها تتوقف على مهارة المشترى وحيلته ودهائه . أما فى الصين فتختلف اثمان الحاجيات باختلاف منزلة المشترى الاجتماعية والمالية ، فالرجل الذي يتناول ثلاثين جنيهاً شهرياً يدفع تسعين غرشاً ثمناً لقميص لا يكلف آخر مرتبه عشرة جنيهات اكثر من ثلاثين غرشاً . وقد علمت من الطلبة الصينيين فى نيويورك ان الطبقات السفلى فى بلادهم تأكل لحوم الكلاب والافاعى . ونحن شرقيون مثلهم ولكن أبداننا تقشعر لهذه الذكرى

وفى أوروبا واميركا يخلع الناس قبعاتهم وأرديتهم الخارجيـة كلما دخلوا مطعماً أو مسرحاً أو ملهى أو مقهى ، ويسلمونها لحارس الملابس مقابل رقم يعطى لهم وبه يستعيدونها عند خروجهم . أما فى اليابان فيحتفظون بأرديتهم وقبعاتهم ، ولكنهم

يخلعون نعالهم . ونحن كأمة شرقية لا نقل دهشة لهذه العادة الغريبة من الأمم الغربية

والأوربيون ينتقدون الاميركيين من الانتقاد لأنهم يكثرون من مضغ اللاذن وينفقون فى استهلاكه سنوياً ملايين الجنيهات . وجميعهم كما تعلم غربيون ، وقد رأيت الاوربيين فى أميركا يعيبون الاميركيين لأنهم يمسكون السكين بيدهم اليمنى فاذا ما فرغوا منها ، أمسكوا الشوكة بيدهم اليمنى أيضاً . فى حين ان سكان أوربا يأكلون والسكينة فى اليد اليمنى والشوكة فى اليسرى فى الوقت نفسه

فى أميركا وانجلترا يكرهون الارز والمكرونة، و يعيبون سائر الأمم الاوربية فى الاكثار منهما، كما أنهم يعيبون المصريين فى الاكثار من اكل الخبز ،وأغرب من ذلك ان الصينيين يعيبون الاوربيين لأنهم يأكلون خبزاً ، وذلك لأنهم يستعملون الأرز بدل الخبز فى طعامهم . كما ان الاوربيين يعيرون الاميركيين لأنهم يبالغون فى اكل المثلجات لدرجة الشراهة صيفاً وشتاء . فى أوربا يشربون الخمر بدل الماء وقت تناول الطعام ، وفي أميركا يستعملون الشاى والقهوة واللبن أثناء الطعام كما نستعمل نحن الماء

من هذا يتضح ان تنوع الامزجة واختلاف العادات لا مفر منه ، وأنه لا مسوغ لأمة ان تعيب أخرى بسبب هذا التباين ، طالما كانت تلك العادات غير منافية للآداب العامة

وأنه مهما كان هناك من العيوب والنقائص فى عادات أمة وآدابها ، فان معظم هذه العادات لا تظهر مشوبة بالعيوب إلا لأنها تغاير المألوف ، ومن المضحكات ان نرى أبناء أمة يتفكهون بذكر عادات أمة أخرى ، ويهزأون بها و يتأففون احياناً لسماعها . فطالما كان الانجليز والاميركان موضع السخرية لأنهم يحلقون شواربهم . ولكن من الغريب ان احدث الأزياء فى المانيا والنمسا وايطاليا اليوم حلقها ، وقد كانت تلك الاقطار اكثر استهجاناً لهذه العادة من أى بلاد أخرى، ولست بذاهب بكم بعيداً ، فنحن المصريين نستخف بمن يتبعونها ، مع ان أجدادنا كانوا أول من ابتدعها . وقد كان الملك توت عنخ آمن رحمه الله حليق الشاربين ، وقد كانت الفتاة الاميركية الى عهد قريب جداً ترمى بالمجون لقص شعرها ، واليوم تجد العادة منتشرة فى أوربا حتى بين العجائز . وربما قرأتم أخيراً ان ملكة بلجيكا قصت شعرها

رغم معارضة نساء بلاطها . وبلغ متوسط عدد اللواتى يقصص شعورهن يوميـاً فى نيويورك العام الماضى عشرين الفاً

وقد كان من العيب الفاحش فى بلادنا ان تظهر المرأة معصمها أو يدها أو وجهها ، ولا تزال المرأة فى أقاصى الصعيد تسير ملفوفة فى ملاءة من الصوف فلا يرى منها المارة الا شبحاً يسير الهوينا بتثاقل وخبل وكلفه . غير أنها أخذت فى المدن تكشف عن عينيها فيديها فساعديها . حتى أصبحت اليوم فى كثير من الأحوال أشد تبرجاً من أختها الغربية وأرشق حركة . فأين نحن من الامس وكيف تبدل ما كنا نراه عيباً شائناً الى أمر عادى اليوم

اذا تأبط رجل ذراع امرأة فى بلادنا، عد هذا غير مستحسن على الأقل . وهو كما تعلمون مألوف فى بلاد الغرب بل لازم فى بعض الاحوال ، وقد حكى لنا أحد أساتذتنا فى نيويورك ، أنه كان فى روسيا يرافق أحدى مفتشات التعليم فى مدارس الروسيا ، وبعد نزولها من السيارة التى أقلتهم بضع ساعات أظهرت السيدة امتعاضاً شديداً وانقباضاً لم تقو على اخفائه ، فاهتم الاستاذ بالوقوف على سبب ذلك ، وكانت دهشته عظيمة عند ما أخبره السائق أنه أهان السيدة أهانة شديدة، لأن الواجب فى مثل هذا المقام، ان يطوق بذراعه اليمنى حول كتفيها، أثناء وجودها بجانبه فى السيارة. ويجب ان تعلموا ان غرض هذه العادة ليس تبادل العواطف بل حماية المرأة . غير ان الاستاذ الأميركى رغم شخصيته وعاداته الغربية تذهله غرابة هذه العادة

وها كم تركيا اثباتاً لما أقول . كانت المرأة التركية الى عهد قريب اكثر تمنعاً واحتجاباً من أى امرأة أخرى في العالم . وكان السفور من أشنع العادات فى نظر تلك الأمة . أما اليوم فقد انقلبت النظرية رأساً على عقب .

حكت لى سيدة اميريكية سائحة شيئاً عما رأت من التطورات الهائلة فى حياة المرأة التركية فقالت « رأيت البنت التركية تشرح الجثة فى مدرسة الطب مع زميلهـا الشاب. رأيت الفتاة التركية ترتدى لباساً بسيطاً أنيقاً مهفهفاً . وتسير بحشمة ووقار مع الرجل ، وتشترك فى الالعاب الرياضية ، والحفلات العمومية .

رأيتها مقصوصة الشعر حسنة الهندام . رأيتها فى كل ذلك فقلت فى نفسى هذه هى الفتاة الامريكية بعينها » .

رأيت سيدة مصرية فى الباخرة فى طريقنا الى مرسيليا . فاذا بها قد أسدلت خماراً على وجهها ، والباخرة على مسافة اميال من التخوم المصريه ، وما كدنا ندعى لتناول العشاء ، حتى جلست على المائدة ، وهى تسدل الحجاب مرة وتزيحه اخرى . واخذت تتدرج من القاء الحجاب ، الى الظهور مع زوجها على سطح الباخرة ، الى الجلوس مع المسافرين ، حتى ظهرت الليلة الاخيرة والباخرة على قاب قوسين من ميناء مرسيليا ، تختال متنقلة على نغمات الموسيقى ، بين الراقصين والراقصات . فقلت فى نفسى سبحان مغير الاحوال :

مابين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

الآن ننتقل بكم الى مواطن الخلاف بيننا وبين الغربيين خصوصا الامريكيين منهم :

الغربيون اكثر حشمة من الشرقيين ، فهم يميلون الى الاجواء الهادية ، فاذا تكلموا كانت اصواتهم خافته . حتى لايعكروا على الغير صفاءهم . واذا أقاموا الافراح أو المآتم لم يسمع بما يفعلون احد . اما الشرقيون اذا تكلموا أكثروا من الصياح ورفع الصوت ، واذا اقاموا الافراح طبلوا وزمروا ، واذا مات عزيز لديهم ملأوا الارض بكاء وعويلا . هم يفضلون الانوار الضئيلة فى منازلهم حتى ينتشر فى ربوعهم الهدوء وتعم السكينه . نحن اذا تكلمنا اكثرنا من الاشارات بأيدينا ورءوسنا وعيوننا . وهم يعدون هذه صفة ممقوته . وانني هنا احذر الذين يسافرون منكم من الوقوع فى مثل هذا الخطأ . هم يكرهون الالوان الزاهية فى الملابس والاثاث ، ونحن نميل اليها . عندهم الاثاث بسيط مبعثر فى أنحاء الغرفة ، وعندنا كثير متراكم يصف حول الغرفة صفا

اذا قلت هناك لرب البيت اثناء تناول الطعام أنك شبعت امتنع عن تقديم شيء لك . أما فى بلادنا فيجب ان تأكل اكراما لخاطره .

هناك يشربون القهوة والشاى والحساء وسائر السوائل دون ان تسمع لهم أدنى

صوت أو حركة، وعندنا بعكس ذلك . وانى هنا أذكركم ليس فقط بالامتناع عن هذه العادة القبيحة المرذولة بل بمقاتلتها وتحذير جميع المصريين منها

الملاهي عند الغربيين ضروريات وعندنا كماليات ، الوقت لديهم ثمين كالذهب وعندنا أرخص من التراب والماء . هناك يعودون أنفسهم الدقة في كل شيء وهنا شعارنا « معلهش » . هم يرون في العمل شرفاً واحتراماً ، ونحن نراه مذلة واحتقاراً . هم يفكرون ثم يعتقدون ونحن نعتقد أولا ثم نفكر ، فتخرج أفكارنا مقضياً عليها بالاوهام والتقاليد والاعتقادات والاباطيل .

هم لا يخافون الصراحة ونحن نخشاها ونتجنبها . ونحن لا نريد ان نعترف بفقرنا اذا كنا فقراء . نحن نفاخر ونباهي فننفق في سبيل ذلك أكثر مما ننفق في سبيل حاجاتنا

نحن نبالغ في الذوقيات والمجاملات الى حد يكاد يكون في أحوال كثيرة رياء ونفاقاً ، اما هم فعندهم ان المجاملة ناشئة عن الصراحة المتناهية والحرص على الزمن

نحن لا نهتم في منازلنا بالظهور على المائدة في هندام حسن ، بل نجلس بملابس النوم لتناول الطعام و هم يمشطون شعورهم و يتأنقون في ملبسهم كلما حان موعد المائدة

هم يتجنبون السمن خصوصاً السيدات ، أما عندنا فهو من مستلزمات الجمال . هنا يهتم الناس بتزيين أنفسهم بالملابس الثمينة والروائح العبقة ، في أميركا تمج نفوسهم جميع الروائح الصناعية ، ولا يهتمون بالملابس اهتمامهم بصحتهم والمواظبة على التمرينات البدنية والاعتناء بطعامهم ، فاستقامة العود وامتلاء الجسم والصحة عندهم أجمل زينة

هنا نذكر الماضي وننسج على منوال السلف ولذا تسير أعمالنا على وتيرة واحدة ، هناك يحترمون من الماضي ما يمكن أن يساعد على تشييد الحاضر ونفع المستقبل — ولكنهم يمقتون كل قديم مبتذل . ولعل هذه الحكاية الواقعية الفكاهية أدل على ما أقول :

أرسل مرة مكاتب جريدة الى رئيس التحرير بهذا الخبر :

« عض كلب كَلِب رجلا في حي كذا فنقل المصاب الى المستشفى » فالقى المحرر الورقة في وجه المراسل وقال له : ما هذا بجديد يا هذا ، اذهب الى شوارع المدينة وطرقاتها وأزقتها ، وابحث عن رجل عض كلباً ، ونحن نفسح لك مجالا في صدر جريدتنا .

شلالات نياغرا

في شتاء سنة ١٩٢٤

كنت قد شاهدتها صيفاً، والسياح يفدون اليها من أطراف المعمورة، والفنادق تموج بعشاق الطبيعة، من أرباب المال وربات الجمال. فلم يبق فى نزل غرفة الا وا كتظت، ولم يبق فى حديقة زهرة تباع الا وقطفت، ولم يشاهد الزائرون مقعداً تحت الافياء الظليلة الا وتبوءوه، أو شبرا من الأرض على ضفة نهر نياغرا الا وتزاحموا عليه

هنا شيخ رحل مع زوجته وأولاده من ولايات أميركا الغربية الجنوبيــة، ليقضى فصل الصيف، بين الخمائل وأرائك الأشجار، حيث يجد فى خرير الشلالات موسيقى تذكره بأيام الصبا، وفى نسمات الصباح حلاوة ينتعش بها جسمه، ويجرى لها دم الشباب فى عروقه. وهناك على الضفة الأخرى فى فندق يطل على الشلالات، و يدخل في حدود كندا، سيد فى مقتبل العمر، يداعب شعر عروسه المتهدل على كتفيها، كأنه خيوط الشمس، وقد جاء بهـا هرباً من الأصدقاء والأقارب والأحباب، فى نيو يورك أو شكاغو أو باريس أو لندره أو برلين، ليقضيا شهر العسل فى نياغرا صيفاً بعد أن كانا قضيا شهراً آخر فى ميناهوس على مقربة من أهرام الجيزة شتاء

وقد خيل لى فى ذلك الحين، ان تلك المنطقة وما يحيط بها، من مدينة سيرا كيوز، الى بلدة نياغرا فى الولايات المتحدة، الى بلدة اوترنتو فى كندا، ما غرست اشجارها ولا زرعت ازهارها، ولا رسمت حدائقها ومنتزهاتها العمومية، الا خدمة للعاشقين ووقفا عليهم. وكأن الطبيعة ما تفجرت ينابيعها فى تلك البقعه الا لتكون ملتقى الاحباب وملجأ العشاق. فما كانت استار الظلام تسدل على ضوء النهار حتى تنتشر تلك الخلائق على الارض السندسية أزواجاً، وقد لبثوا صامتين ساكنين، وشفاههم تتهامس، وقلوبهم تتناجى. وهنا يتساءل القارىء، الى أى ساعة من الليل تظل تلك الحدائق والمتنزّهات مفتوحة. والجواب أنه ليست ثمة أبواب فتقفل، ولا هناك قوانين تحرم الجلوس فى

ساعات معلومة . فلا تعجب أيها القارىء، اذا ظل الاحباب هناك حتى مطلع الفجر، أو مكثوا حتى تبزغ الغزالة بقرصها الذهبي الملتهب من وراء الافق . فالنسيم عليل، والهواء بليل جاف ، وموسيقى الشلالات تزيد نار الحب اشتعالا ، وتقع بلسما على الافئدة الكسيرة والقلوب الكليمة الخفاقة

رأيت كل ذلك ، ورأيت الريال الأميريكى لا يكاد يظهر من حقيبة النقود حتى يتبخر كالأثير ، وسمعت الكثيرين يقولون ان الشلالات أجمل شتاء منها صيفاً، فقلت لأقفل راجعاً الى نيويورك ، ولنا لنياغرا عودة . تركتها صباحاً ، وقد هبت الشمس من مرقدها ، وأرسلت من أشعتها الذهبية على صفيح الماء المتدفق، ما تحول الى ألوف المجموعات من الألوان القزحية . ففارقتها وفى القلب حسرة ، وشيعتها بنظراتى من نافذة القطار، ولسان حالى يقول، الى الملتقى، اذا كان لى فى الملتقى نصيب

وسرعان ما تحققت احلامى . ففى اليوم الثانى من سنة ١٩٢٤ ارفضّ مؤتمر الطلبة الذى عقد فى مدينة انديانا بوليس على مسافة ٢٧ ساعة من نيويورك بالقطار السريع ، وكنت قد انتدبت من احدى أندية الجامعة فى نيويورك مع عدد من الطلبة لتمثيلها فى المؤتمر . ولما انفرط عقد الطلبة، وكان عددهم نيفاً وسبعة آلاف، أظهر الكثيرون ميلا للرجوع عن طريق نياغرا ، حتى يمتعوا انظارهم بمشاهدة الشلالات، وما يحيط بها من الثلوج المتراكمة .

فوطدت العزم على مجاراتهم ، وبت انتظر الصباح بفارغ الصبر ، وكاد فؤادى يطير من جنبى فرحاً ، لولا ما اصابنى فى تلك الليلة من البرد القارص . فقد قصدت الرجوع من المؤتمر الى جامعة انديانا التى كنا فيها نبيت، فضاع عنى زملائى، واضطررت ان استأجر سيارة تقلنى الى ذلك المكان القصى ، فى مزرعة تبعد أميالا عديدة من المدينة ، وكان ذلك فى ساعة متأخرة من الليل ، ولما نزلت من السيارة وجدت نفسى بعيداً عن الجامعة بمراحل ، فأخذت أجد فى السير فى ظلام الليل البهيم ، والثلج يكاد يغطينى ، حتى اهتديت الى منزل صغير ينبعث منه نور ضئيل . طرقت الباب وأنا متأهب للدفاع عن نفسى ، غير ان رب الدار اكرم وفادتى وطيب خاطرى ، وسار معى الى العمارة التى كان بها زملائى فى الجامعة

استميح القارىء عذراً اذا خرجت عن الموضوع، فأن تلك الليلة كانت أشد ما لاقيت فى حياتى من الشدائد، ولا يرتسم أمامي شبحها حتى أرانى مدفوعاً للتحدث عنها

***

وصلنا بلدة نياغرا قبيل الغروب، وكان زملائى، من رجال ونساء، من سكان شمال أوروبا. فكنت الوحيد بينهم الذى يشعر بالبرد ويتألم منه. أما هم فقد أخذوا للثلوج عدتها. فبلاد السويد والنرويج واستونيا وفنلندا، التى كانوا يمثلونها، أشد برداً من نياغرا بكثير، ومع ذلك فقد ارتدوا من الفرو والصوف ما يرتدون عادة فى أوطانهم. ولم تكن المسافة بين البلدة والشلالات بعيدة، فعولنا على السير فوق الثلوج المتراكمة فى الشوارع، بعد ان انتعلنا فوق أحذيتنا أحذية أخرى من المطاط. وسرعان ما أشعل الرجال منا سيكاراتهم، حتى تقمت الفتيات على أميركا، لأن الناس فيها يستهجنون رؤية البنات والنساء يدخن فى الشوارع، وليس كبلادهم التى يدخن فيها الجنس اللطيف على قارعة الطريق ولا جناح عليهن. واستقر رأيهن أخيراً على مجاراة الجنس النشيط، فأخرجن السيكار من الحقائب، وكان الدخان المتصاعد يلتقى بندف الثلج المتساقطة على قبعاتنا فيذيبها. وقد ساعد السير (جماعة واحدة ملتصقين متماسكين) والتدخين المتواصل وشرب القهوة الامريكية فى فناجينها الضخمة أثناء الطريق، على التخفيف من وطأة البرد

ولما اقتربنا من الشلالات، كان لدويها روعة فى قلوبنا، وقد خفتت أصوات الطبيعة حولها، وخيم السكون، وهدأت العاصفة الثلجية، وحملت الرياح رشاشاً خفيفاً من ماء نياغرا، فطافت على وجه السكك الصقيلة. وما كادت تلفحها نسمة باردة حتى وقف الماء فى مكانه واستحال جليداً. فأخذ زملائى يتزلقون بأحذيتهم المعتادة على أرض يخالها الناظر لوحاً من البلور النقى. وكنت أشاهد المارة من سكان نياغرا يخرجون الأحذية ذات العجلات من أكياسها، ويسيرون بها برشاقة عجيبة وسرعة فائقة. أما أنا، وقد كنت حديث العهد بتلك البقاع، فقد لاقيت أشد الصعوبات

فى السير مع زملائى، رغم أخذهم بيدى، كلما زلقت قدماى . وكانوا يحذروننى كلما حاولت أن اطأ بقعة غير متجمدة تماماً ، لأن ماءها مضر للغاية . وكان أشد زملائى استغراباً لعدم مقدرتى على الجرى على الجليد مثلهم، فتاة من استونيا. فقد سألتنى مرات ، وهى لا تكاد تصدق ، عما اذا كانت طرق القاهرة تستحيل جليداً ولو مرة واحدة فى السنة

وصلنا الآن الربوة العالية ، التى تطل على الشلال نفسه ، وهى ضالتنا المنشودة ، وقفنا صفاً واحداً، نستند الى حاجز من الصخور والاخشاب، ونظرنا الى أسفل ، الى هوة مخيفة سحيقة، تكدست فى قاعها أحجار ذات أحجام ومرتفعات مختلفة . وعلى تلك الاحجار يتدفق ماء النهر بقوته الهائلة واتساعه العظيم فيسمع له زمجرة تصم الآذان ، وتولد فى النفس رهبة ، وتنبىء بضآلة الانسان وحقارته أمام قوى الطبيعة . أذكر أننا وقفنا جميعاً جامدين كالصخر لا نبدى حراكا . ننظر تارة الى تلك الانهار العظيمه ، المتدفقة من ذاك العلو الشاهق، الى الهوة العميقة ، وطوراً الى الضفة الأخرى حيث امتدت تلال أخرى بمحاذاة التلال التى كنا عليها واقفين ، وطوراً الى أسفل حيث المياه فوق الاحجار تتقاتل وتفور وتتلاطم، ثم تنحدر الى القاع وتتبطأ فى السير شيئاً فشيئاً ، الى أن تنسل بين التلين كالانهار فى الوديان

وشاهدنا سلكا كهربائياً طرفه الواحد مرتبط بقمة تل والآخر بقمة الثانى . وعلى هذا السلك يتحرك قفص من الخشب بين التلين ، ينزل فيه من شاء من الزائرين مقابل أجر زهيد ، فنزلنا جميعاً ، وما كاد يتحرك ذلك الجهاز المخيف، حتى صعقنا جميعنا وبلغ صراخنا السماء . وكيف لا تهلع أفئدتنا وقد نزلت غشاوة على عيوننا، ونحن بين السماء والارض معلقون، والهوة تحتنا سحيقة مفزعة ، والماء فى جوفها كخيط من الفضة فى واد من الظلام الحالك . وقد أصبحت حياتنا معلقة على ذاك الخيط الدقيق الذى يوصل التيار الكهربائى من السلك الى القفص . ولما رجعنا بالقفص الى حيث كنا، شعرنا بالحياة مرة أخرى، بعد أن كنا على قاب قوسين من الموت أو أدنى

وعلى بعد خطوات من هذا المكان ، الفينا معرضاً لصور الشلالات، ورايات من الجوخ كتب عليها بحروف من الجوخ أيضاً اسم شلالات نياغرا . فابتعنا منها ما شئنا وشاءت نقودنا. ثم رأينا داخل المعرض غرفة مظلمة، قالوا لنا أنها تؤدى الى الهوة التى

سبق الاشارة اليها . فهرعنا الى الداخل بعد دفع الرسوم المطلوبة،وهناك وجدنا عربة في انتظارنا ،تشبه مركبة السكة الحديدية في جبلاية لونابارك في مصر الجديدة ، أى أنها تحتوى على عدة مقاعد ، وتجرى على قضبان تنحدر الى أسفل،وكانت تلك الرحلة في ذلك النفق الضيق المظلم مخيفة مزعجة .ولما وصلنا الى أسفل التل خرجنا نمشي بجانب المياه ،وكان السير وعراً والارض زلقة مغطاة بالجليد . ثم شاهدنا على سفح التلال أسماء الزائرين ،محفورة بكل لغة من لغات العالم تقريباً ،وذهب كل من أصحابي يبحث عن اسم أحد مواطنيه ، بلغة بلاده ، وسرعان ما نجحوا في مهماتهم . أما أنا فلم أجد ، ويالاسف ، أثراً لاسم أحد مواطني بلغة بلادي ،ولما سألوني في ذلك قلت لهم ان المصريين لا يستحسنون أن يكتبوا أسماءهم على جدران الاماكن التي يزورونها !!!

عدنا عن طريق النفق المشئوم وما كدنا نصل الى قمة التل مرة أخرى حتى تنفسنا الصعداء

زادت الطبيعة سكوناً وهدوءاً وزاد الماء زمجرة وزئيراً . غير أن الشلالات لا يظهر جمالها الحقيقي إلا في نور الكهرباء البديع . انتشرت ألوف المصابيح على الجانبين بعضها في حدود كندا والآخر في حدود الولايات المتحدة ،وأضيئت كلها في وقت واحد ، فكانت تلك المفاجأة أبدع منظر رأيت في حياتي .ولا يغيب عن ذهن القارىء ان هذه الكهرباء مولدة من تلك القوة المائية، التي لا تضاهيها قوة أخرى في العالم. وقد قلت في مقالة أخرى سلفت، ان جميع المدن والقرى التي تحيط بالشلالات في المملكتين، تنار بها، وان ثمنها بخس جداً حتى ان صاحب الدار يستطيع ان يدخل في منزله ما شاء من المصابيح ، وأجهزة التهوية ، والتدفئة ، والطبخ ، والغسيل ، والكي ، والكنس ، دون أن يحاسب بعداد بل يكلف فقط بدفع ريالين شهرياً

انتحينا جهة أخرى بعيدة عن المكان الذى كنا فيه،وأخذنا نمتع الطرف بالشلالات، وقد تكسرت فيها أشعة الأضواء الجميلة المتعددة الألوان، فظهر لنا وسط الماء خيوط ذهبية متقدة، وأخرى صفراء فاقعة ، وغيرها بنفسجية أو زرقاء مائلة الى السواد . وكان يتخلل تلك الخيوط المتذبذبة ، المدلاة من المرتفعات الشاهقة، ماء زلال رقراق يتلألأ في الفضاء كأنه ذوب بللور في شفوفه ولمعانه ، وانا لكذلك واذا بفتاة تهمس في اذن

جارها ، ان شلالات نياغرا من ناحية كندا ، أجمل منها من ناحية الولايات المتحدة ، وما كادت تأتى على آخر عبارتها ، حتى صحنا جميعًا، هلموا الى كندا . وفى بضع دقائق مرت بنا سيارة فاستوقفناها، وانتظرنا ثانية فثالثة فركبناها، وعبرنا القنطرة الموصلة بين المملكتين ، وبعد تفتيشنا على حدود كندا نزلنا والسيارات فى انتظارنا

كم أود لو كنت شاعراً فأصف للقارىء ما حوته تلك الربى من الجلال والخفة والجمال ، مازال فى مخيلتى صورة واضحة من الطبيعة، تختال كالعروس الحسناء ، تنشد بصوتها الرخيم، فترن نغماته فى أرجاء كندا ، ولكن انى لى ان أنقله الى سواى

هناك تغتسل الطبيعة ليلا ونهاراً ، فلا تشوبها أتربة ولا رمال ولا غبار ، فتارة تسقى أرضها ديمة المطر ،وطوراً يحمل اليها النسيم رذاذاً من الماء المتطاير من الشلالات، تارة تجد الارض جافة، ناعمة مصقولة، وأخرى تلقاها كتلة واحدة من البلور النقى ، وفى لمح البصر يذوب البلور كالشمس وقت الأصيل، فينحدر ماؤه الى أسفل التل، ويترك تحته طريقاً مرصوفاً شديد اللمعان . هناك عند مدخل الفندق، وقفنا نشاهد فعل الضوء الكهربائى فى مياه الشلالات، وقد انعكس منها الى الجهة المقابلة ألوان أخرى قزحية، تفوق ما رأينا فى الجهة الأخرى جمالا ولمعانًا ، وانتشر من حولها نقط تترقرق على الاشجار ، ترقرق الطل على ورقات الورد

تناولنا على مائدة الفندق العشاء ، واشترينا صوراً أخرى للشلالات، وتحفًا صغيرة تذكاراً لكندا ، ثم كتبنا بطاقات لأصدقائنا فى بلادنا، وألصقنا عليها طوابع كندا، وتركناها فى الفندق لتودع فى صندوق البريد ، وسارع زملائى بالرجوع الى مدينة نياغرا للسفر منها الى جامعاتهم، أما أنا فقلت لابد من عمل رحلتنا فى كندا، فتركونى فى الفندق وحيداً ، وبكرت فى اليوم التالى الى محطة السكة الحديد ، حيث سافرت الى مونتريال وزرت كويبك ، وكان القطار فى ربوع تلك البلاد الشمالية ، يخترق الثلوج الكثيفة ، ويسير بين تلال وربى ، مغطاة قممها بكتل وأكوام، من تلك المواد الجميلة الناصعة البياض

ولست أجد نفسى كفؤاً لوصف كندا ،بعد أقامة ثلاثة أيام فيها، غير أننى أعدها من أجمل بلاد العالم. وأهلها كسائر الأمم الشمالية، هادئو الطباع، ودعاء، يميلون للسلام

والسكينة، ويظهر أنهم يعتقدون، ان معظم الوافدين اليها من الولايات المتحدة، من السياح، يذهبون اليها طلباً فى معاقرة بنت الحان، نظراً لتحريمها فى تلك البلاد . فقد حدث فى عدة أماكن، انى دخلت قهوة أقصد الراحة ، فكان الخادم يبتدرنى على الفور بغير مناسبة ، الخمر محرم فى هـذه البلدة ياسيدى . غير انه فى بعض المدن من ولاية كوبيك كنت لا أكاد اجلس حتى أرى الخادم مقبلا نحوى، وبيده زجاجة الوسكى المعروف بكنديان

وربما يعلم القارىء، ان سكان هذه الولاية، يتكلمون اللغة الفرنسية، بلهجة تختلف اختلافاً بيناً ، عن لهجة فرنسا ، غير أن أهليها عموماً متواضعون جداً ، بعكس سكان الولايات المتحدة ، فانهم أشد أنفة وعظمة من جميع سكان العالم المتمدين، ولعل ذلك راجع الى تحسن حالتهم المالية بدرجة عظيمة ، ومغالاتهم فى عزة النفس والترفع عن الاعمال الوضيعة ، التى يتركونها عادة للاجانب

عدت الى الولايات المتحدة، وعند الحدود بينها و بين كندا، وقفت مودعاً شلالات نياغرا البديعة، من جهة كندا ، وقلبى ملؤه الاسف لعدم تيسر اطالة الاقامة هنالك . وقبل ان اطأ أول شبر من أرض الولايات المتحدة ، أوقف رجال الشرطة السيارة ، ووجه الى رئيسهم بعنف وعبوسة هـذا السؤال . هل تقرر انك لم تحضر معك مشروبات روحية ؟ فأجبته سلباً ، وانصرفت الى الفندق فى مدينة نياغرا ، بسلام

نمت نوماً عميقاً تلك الليلة ، ولم استيقظ حتى الساعة الحادية عشرة صباحاً . فقد كان الظلام حالكاً، وخيل الىّ أن الساعة بعد الفجر . هممت من فراشى الى النافذة، فأزحت ستارها، وتطلعت منها الى شوارع المدينة ، فاذا بالمنازل والحوانيت ، وعربات الترام والسيارات، وعمد الأنوار وكل شىء فيها ، مكسو بطبقة كثيفة من الثلج، فكان منظرها أبدع ما رسمته يد الطبيعة . أن السير بين الثلوج ، ومشاهدة الاطفـال يبنون أكواخاً ومنازل صغيرة والقاء نظرة على جدار المنازل وأعالى الأبنية وأرصفة الشوارع، تبعث فى النفس سروراً وغبطة وارتياحاً ، يعجز القلم عن وصفها

طفقت أخترق كومات الثلج الجميلة، حتى اقتربت من الشلال لألقى عليه النظرة الأخيرة. وليقف معى القارىء قليلا، فانا خارج المدينة والطبيعة ساكنة ،وقد وقفت ندف

الثلج عن السقوط ، والاشجار قد تناثرت أوراقها، وقد اكتست أعوادها وأغصانها وجذوعها بثوب أبيض قشيب ، وخرير الماء يتعالى شيئاً فشيئاً كلما اقتربت منه

أنظر يميناً و يساراً. وراء واماماً وخلفاً، فلا أرى أنساً ولا جناً، ولا أشاهد سوي بياض ناصع فوق بياض فوق بياض . جميل أن نشاهد الشمس تبعث بأشعتها الذهبية فتبسم الاشجار وترقص الازاهر وتغرد الاطيار ، ولكن أجمل منه أن تصمت الطبيعة ، فهي في صمتها أجمل منها ناطقة ، وتتحلى بلباس العرس النقي الابيض الصافي . وأجمل من ذلك كله ، أن تبرز الشمس من خدرها ، فيتجلي بياض الطبيعة الناصع ، في نورها العسجدي الساطع

كم كان سروري مزدوجاً ، عند ما طلعت الشمس على الحقول والنباتات والاشجار ، وهي ترفل في حلتها الثلجية ، وكم ضاعف ذلك السرور ، تلألؤ مياه الشلال ، في جلال وسناء يبهر الأبصار

هناك اتخذت الحاجز المطل على هوة الشلال السحيقة لي مقعداً ؛ فتارة أشاهد ورائي الثلوج تذوب ، فتندفق مياهها وتملأ الأودية والسهول ، وطوراً أطيل النظر الى الشلال ، فيزداد في نظري جمالا فوق جماله ، وما أسرع التقلبات الجوية في هذه الارجاء ، سرعان ما اختفت ملكة النهار ، وهبت ريح شرقية باردة ، فتحول ماء الثلج الذائب جليداً ، و بعث الشلال برشاش من مياهه الى الاشجار التي بجانبي فبللها ، وكان الماء لا يكاد يستقر على الشجرة ، حتى تعصف الريح الباردة بها فتحوله جليداً ، وأخذت هذه العملية في استمرار ، حتى استحالت تلك الاشجار الى منظر من أجمل المناظر الطبيعية ، ان لم تكن أجملها . يخيل اليك ان جزع الشجرة شمعة كبيرة بلورية ، وان غصونها المتفرعة شموع صغيرة شفافة ، وقد ظهرت أعوادها في بطونها ، كالفتيل . في باطن الشمعة . كنت اكسر الاغصان وأضعها بين يدي ، فاذا هي كالبلور لوناً وكالشموع شكلا . ولا تمكث في يدي طويلا ، حتى تكتسب من حرارة جسمي ، ما يذيبها ، فتزول الشمعة و يبقى الفتيل

و بينما كنت أردد عبارات الوداع في اللحظة الأخيرة ، وأنا على أهبة الاستعداد للرجوع خطر ببالي أمران ، أولهما ان هـذا الماء الذي يتساقط في تلك القوة الهائلة على

ارتفاع مائتي قدم، والذي يبلغ اتساعه ٢٣٠٠ قدم، يجب ان يفزع منه الناس، فلا يحاولون الاقتراب منه ، غير أنه من الغريب المدهش ان كثيرين من الشجعان حاولوا ان يلقوا بأنفسهم فى ذلك اليم الفائر ويخرجوا منه سالمين ، وقد مات جميعهم تقريباً وتقطعوا قبل وصولهم الى القاع إرباً إرباً . غير أنه حدث أخيراً أن أحد أولئك المجازفين صنع لنفسه كيساً من المطاط ولبسه واندفع به مع الماء فخرج سالماً

والأمر الثانى أنه منذ ستين عاماً تقريباً ، ذهب راهب يدعى فرنسيس أبوت، لزيارة نياغرا ، فأعجب جداً بها ، وسكنت نفسه اليها، فبنى لنفسه كوخاً صغيراً بقربها، دون أن يعرف سره أحد ، وكان شغوفاً جداً بزئير الماء، عاشقاً له، حتى كان يخاطر بحياته تقرُّباً منها ، وقد ثمل يوماً بخمرها وحبها ، حتى أخذ يتغلغل فى أحشائها مقبلا مدبراً ، صاعداً منحدراً، وما هى إلا طرفة عين، حتى دفعته المياه الى الداخل، ثم حطمته على الاحجار وقذفته الى الخارج جثة هامدة مهشّمة . ولم يعلم أمر ذلك الناسك العاشق أحد إلا بعد موته

إن الطبيعة جميلة فى كل زمان ومكان ، فى رعدها و برقها وخرير مائها ، كما فى سكوتها وصمتها ، فأبو الهول والاهرام والصحراء والرمال وتوهج الشمس فيها نهاراً وطلوع القمر بأشعته الفضية عليها ليلا ، كل هذا جميل ، كما أن شلالات نياغرا بدوى مائها وما يحيط بهـا من الثلوج البيضاء والاشجار المكسوة بالجليد شتاء ، وما ينمو بقربها من الازهار والخضرة صيفاً ، كل هذا يسر الناظرين

النادى المختلط

٧٥ أمة في بيت واحد

يَحُفُّ بالجزء الغربي من مدينة نيويورك نهر الهدسون ، فيبعث اليها ماؤه العذب نسيما عليلا، وقد غرست على امتداد ضفته حدائق نضرة ، يؤمها الناس ليلا نهاراً . وتتدرَّج تلك الحدائق الفيحاء ، من جانب الطريق القائم على ربوة عالية ، الى أن ينحدر الى منخفض تكاد تغيب عن نظر الواقف عليه البنايات الشاهقة ، على الجانب الآخر من الطريق . وهـذا الطريق على طوله واتساعه العظيمين ، غاصٌّ بالسيارات وعربات الاومنيبيس ، ذات الطبقتين، التى لا تغيب عن نظر المارة ثانية واحدة ، ليلا كان أو نهاراً . وعلى كل من يمين الطريق و يساره ، رصيف غاية فى النظافة والاتقان ، يتنزّه عليه ألوف مؤلفة من سكان نيويورك ، ويجلسون على مقاعد فيه وضعت على الجهة التي تطلّ على الحدائق والنهر ، كلما كلّت أقدامهم . وعلى امتداد الطريق يرى الناظر . البنايات مرصوصة ، بعضها بجانب بعض تناطح السحاب ، و يطل منها على النهر نوافذ ذات استار ، تتخللها أنوارٌ تفوق الرمال عدداً

هذا الشارع البـديع ، و يدعى رڤرسايد درايف ، كعبة القاصدين الى نيويورك من سائر مدن أميركا ، وقبلة أنظارهم . هنـاك يركب السواد الأعظم منهم سطح عربات الاومنبيس ، (الطابق الثانى) فتتجلّى لهم المدينة فى أبهى حلّة ، يشاهدون فى الجهة الواحدة الفخم بنايات اميركا ، السابحة فى السحاب ، وفى الأخرى أشجاراً وأزهاراً وخضرة ، تنزل من تلك الربوة المرتفعة ، الى هوة سحيقة، حيث النهر يجـرى والسفن البخارية فى مائه تروح وتغدو ، وعلى الضفة الأخرى تعلو ربوة أخرى ، بنيت عليها ولاية نيوجرزى ، ومتى أرخى الليل سدوله ، انتشرت أنوار تلك الولاية ، على امتداد الضفة الأخرى . فأصبحت بين الماء والسماء ، تحاكى مجموعات من عقود اللؤلؤ فوق منبسط من الحرير الازرق

ولا يسع الناظر الى ضريح الجنرال جرانت (من عظماء الرجال فى أميركا) ، بالقرب

من الشارع رقم ١١٦، ألا أن يقع نظره على بناية فخمة شامخة، تشق طبقات الهواء، ذات برجين أنيقين، يخيّل اليك أنه لم يتمّ بناؤهما. وعلى امتداد البناء نوافذ منسّقة بعضها فوق بعض، تطلّ على نهر الهدسون، وفى أعلى باب البناية الضخم كتب بحروف بارزة « البيت الدولى » وعلى أحد جانبيه نقشت هذه العبارة، التى ليس هناك أدلّ منها على الغرض من هذا البناء، وهى « يَسُود الاخاء »

هنا يتساءل القارىء ما عسى أن يكون هـذا القصر البديع ؟ والجواب على ذلك حكاية يلذ للقارىء سماعها

***

يؤمُّ أميركا من كل أمة تحت الشمس، من اقاصى الارض ودانيها، اكثر من عشرة آلاف طالب، طمعاً فى الارتشاف من بحار كلياتها وجامعاتها، وحباً فى اقتباس صناعاتها الراقية، ومدنيتها الحديثة وأفكارها الجديده، وأملاً فى درس النّفْسِيّة التى يمتاز بها أهلها، يفدون الى العالم الجديد وهم يؤمنون بعظمة سكانه، ويعتقدون اعتقاد الاطفال بمقدرتهم التى لا يضارعهم فيها أحد، فيجلسون عند أقدامهم ليقتبسوا من حكمتهم ما استطاعوا، ومثلهم في ذلك مثل بطرس الاكبر، حينما زار بروسيا، وشاهد تمثال فريدريك الاكبر، فانه خرّ على ركبتيه، أمام التمثال ساجداً وصاح مخاطباً صاحب التمثال « وددتُ أن أهبك نصف أملاكى حتى تعلّمنى كيف أحكم النصف الآخر »

من هذا الجيش العرمرم من الطلبة الأجانب، يوجد فى نيويورك وحدها الفان، من ذكور وأناث، فى جامعاتها وكلياتها، منهم الف طالب وطالبة فى جامعة كلومبيا

وحدث منذ خمسة عشر عاماً، أن طالباً صينياً، ارتسمت على وجهه علائم السرور والارتياح، وحارت فى فمه ابتسامة، على خلاف عادته، ولما أن سئل عن ذلك أجاب. « لقد حيانى اليوم أحد المارة بقوله صباح الخير، وقد مضى علىّ ثلاثة أسابيع فى نيويورك، ولم يخاطبنى أحد بكلمة واحدة » وجرت هذه الحادثة البسيطة على ألسن الكثيرين من كرائم الامريكان وعلى رأسهم المستر جون د. ركفلر ففكروا فى دعوة عدد من الطلبة الأجانب الى حفلة شاى، مرة كل اسبوع، ثم استبدلوها بعد زمن بحفلة عشاء، مساء كل أحد، واختاروا لذلك أحـد بنايات جامعة كلومبيا، وأخذ يزداد

عدد المدعوين تدريجيًا ، حتى تبرع روكفلر أغنى رجل فى العالم ، بتشييد « البيت الدولى » ، للطلبة الأجانب فقط (مع عدد يسير محدود من الطلبة الأمريكيين)

والبناء مكون من ثلاثة أجنحة ، يصح أن يكون كل جناح فيها بناية كبيرة ، قائمة بنفسها - يخصص جناح منها لسكن الطلبة الذكور ، وعدد غرفه المعدة للنوم ٤٠٠ ، وجناح آخر للطالبات ، وعدد غرفه ١٢٥ ؛ والجناح الثالث وهو أهمها يخصص لجميع الأعضاء ، من داخليين وخارجيين ، وبه مسرح النادى وبحيرات السباحة والعوم ؛ وساحات الالعاب الرياضية ، ومعداتها ، وقاعات المطالعة والرقص والاستراحه ، ويطلق على جناح الطلبة ، النادى المختلط ، وعدد أعضائه الآن الف ومئتان ثلثهم فقط من الذكور ، يمثلون ٧٥ أمة

فالاعضاء يختلفون جنسًا ولغة ودينًا ولونًا ، وليس فى أمريكا كلها مكان كالنادى المختلط ، يوجد فيه التسامح ، وعاطفة الأخاء والصداقه المتبادلة ، ولا أبالغ اذا قلت أنه لا يوجد فى العالم كله ما يحاكى ذلك العالم الصغير المنكمش بين جدران ذلك البيت الدولى ، ففيه نجد الانجليزى واليابانى والفرنسى والهندى والالمانى والصينى والهولاندى والافريقى والنمساوى والسورى ، وكل جنسية ولون ودين تحت الشمس . ومتى اجتمع هذا الجيش للعشاء مساء كل أحد ، أطفئت الانوار الكهربائية ، ومدت الموائد ، ووضع عليها شموع موقدة ، وجلس كل فى المكان الذى يشاء بجانب من يشاء يحادث من يشاء . وقبل البدء فى العشاء ، يكلف أحد الأعضاء ، مراعاة لعوائد أهل البلاد ، بافتتاح الوليمة بكلمة صلاة وجيزة ، بلغة البلاد التى ينتمى اليها ذلك العضو . وقد تكون الصلاة مرّة بلهجة من لهجات الهندوس ، وأخرى بالعربية وأخرى بالفارسية ، وغيرها بلغة أفريقيا الجنوبية وهكذا

ومما يذكر بهذه المناسبة ، أن طالبًا من فارس ، ممن لم يسبق له عهد بمثل هذا الموقف ، ذكر بعد نهايته من الصلاة ، أنه فوجئ بها ، فألقى بالفارسية بيتًا من رباعيات عمر الخيام . وفى خلال العشاء يتحدث الحاضرون عادة كل الى جاره عن عادات بلاده وتقاليدها ، فيصغى له الآخرون بكل شوق وشغف ويمطرون عليه وابلا من أسئلة تكون فى بعض الأحيان مضحكة للغاية . فقد طلب مرة أن ألقى كلمة فى أحدى



(يمثل هذا الرسم أعضاء ادارة نادي الطلبة المختلط كلٌ بملابس بلاده الوطنية والنادي مكوَّن من الف وخمسمائة عضو وخمس وسبعين)
(أمة . وكل من هؤلاء الاعضاء يمثل أمة والمؤلف فى وسط الصف الاسفل)

(مقابل صفحة ١٢٢

حفلات النادى ، وفى نهايتها تقدّم الكثيرون الىّ لمصافحتى ، كما هو معتاد فى مثل هذه الاحوال ، وابتدرتنى سيدة من بلاد أسوج بقولها ، أمصرىٌّ أنت حقيقة . فقلت لها ، ولِمَ تشكّين فى جنسيّتى ، بعد ان قدمنى مدير النادى للحاضرين ، فأجابت على الفور ، انى كنت اظن ان المصرى من البدو الذين يعيشون عيشة الفطرة . ويرتدون الثياب الفضفاضة ، ولا يحتذون الا نعالاً . وعلى هذا المنوال نجد الجميع يجهلون الكثير عن البلدان الأخرى ، خصوصاً الصغيرة منها . ولا يمكن ان أصوّر للقارىء الفوائد الغزيرة التى يتناولها الطلبة والساعات اللذيذة التى يقضونها معاً

وفى نهاية العشاء يقوم خطيب يدعوه خصيصاً مدير النادى ، من علية القوم ، لمخاطبة الطلبة . ولعلّ اولئك الخطباء من اكبر البواعث التي تحبّب الاعضاء فى حضور العشاء وعدم التغيب عنه الاّ للضرورة القصوى . فقد سمعت اثناء السنة التى كنت فيها عضواً فى النادى ، اكبر الخطباء فى امريكا واعظم رجالاتها ، ومن اولئك المستر كفلر نفسه ودكتور بتلر رئيس جامعة كلومبيا ، ووزير العمال ، ورئيس الغرفة التجارية فى نيويورك ، ورئيس البورصة .

وبعد العشاء يخرج الجميع الى قاعة الاستراحة الكبرى ، حيث يتعارف الطلبة ويتصافح ، وقد وضع كل على صدره وساماً من اوسمة النادى ، او شريطاً من الحرير ، كتب عليه اسمه واسم بلده . هناك يستطيع اى عضو من الاعضاء ان يقدم نفسه للآخر ، من الذكور كان او من الاناث ، ويصافحه ويتحدث اليه .

وتقام فوق ذلك حفلات اسبوعية راقصة ، لمن يريد من الاعضاء . وتقام مرة كل شهر حفلة ، يقوم بها اعضاء النادى من مملكة معينة ، أو مجموعة من ممالك ترجع الى أصل واحد . فليلة مثلاً للبريطانيين وأخرى لممالك اسكندناوه ، وأخرى للأمم السلافية ، وغيرها لسكان اسبانيا والبرتغال وهكذا . وتكون هذه الحفلات عادة غاية فى العظمة والرفعة والاتقان ، يقدّم فيها أصحابها نموذجاً من موسيقى بلادهم ، وأناشيد فلاحيهم وعاداتهم وأفراحهم ورقصهم ، وكثيراً ما يعرضون مناظر نافعة بالفانوس السحرى ، وأشرطة الصور المتحركة ، تمثيلا للحيـاة فى الممالك التى ينتسبون اليها . وليتصور القارىء ما يعود على الأعضاء من الفوائد الجليلة ، فضلا عن السرور

بعد ان تتنوع تلك الحفلات باختلاف أولئك الذين يقيمونها . ولهذه الحفلات الشهرية شهرة ذائعة في نيو يورك ، لما يعرف عنها من الفخامة والجمال ، و يتمنى ألوف من الطلبة الامريكان،لو أتيح لهم مشاهدتها ، لأن الدخول لا يباح مطلقاً لغير الأعضاء . ولا تزال مناظر الصين واليابان وكوريا والفلبين والاسكا وروسيا والسوج ونرويج وتشكو سلوفاكيا والنمسا والمانيا ، وجميع أمم العالم تتمثل أمام عيني ، وأنا أسطر هذه المذكرات ، نظراً لما تركته تلك الليالى فى نفسي من التأثير العميق

وفى منتصف الليل يختم الشطر الاول من الحفلة،فيدعو الرئيس الحضور الى قاعة رقص فسيحة ، حيث يدور الرقص على نغمات موسيقية ، من الحان المملكة صاحبة الليلة — وفى تلك المراقص ، كما فى غيرها،من الجمال النادر أول ما يلفت نظر المتأمل . أنّ تلك البوتقة العظيمة تجمع بين شعوب الارض كلها ، فتمحى الاجناس ، وتنسى اللغات،وتستوي الأديان ،و يضرب بكل الفوارق عرض الحائط . ان أميركا من اكثر البلدان اعتقاداً فى التفوق الجنسي ، واكثرها تعصباً للون الابيض ، وأشدها كرهاً واحتقاراً للألوان الصفراء والسوداء والسمراء . فلا عجب اذا شعر الأجنبى هناك وهو داخل النادى المختلط ، أنه انتقل فجأة من أميركا الى بقعة أخرى من بقاع الارض التى لا يعرف اهلوها شيئاً عن هذه الفوارق

أما الرحلات التى تقدمها ادارة النادى لمن يريد من الاعضاء ، فحدث عنها ولا حرج . ترمى هذه الرحلات الى تسهيل الوسائل للطلبة الاجانب ، حتى يلمّوا بمتاحف أميركا ومخازنها التجارية الكبرى،ودور صناعاتها و بنوكها ومكاتبها ومدنها العظمى الخ — هذا وادارة النادى متفقة مع أولى الشأن فى جميع ما ذكر ، لتعيين مندوبين من طرفهم ، لشرح ما يجب شرحه للأعضاء شرحاً وافياً اتماماً للفائدة .

وأعظم من ذلك،أن الكثيرين من أغنياء الأمريكيين،يتفقون مع ادارة النادى، على أن يقيموا الولائم والحفلات ، لجميع الأعضاء أو لبعضهم فى دورهم العامرة ، وقد تكون بعيدة عن نيويورك،حتى ينسى أولئك الطلبة الأجانب انهم غرباء . و يشعروا ان لهم فى العالم الجديد ، من يعطف عليهم و يعمل على راحتهم واسعادهم .

وعلى الجملة فأن من يسعده الحظ لأن يكون عضواً فى ذلك النادى، يستطيع اذا



(فرقة البسكت بول (كرة السلة) فى احدى مدارس اميركا)

(مقابل صفحة ١٣٨)

كان لديه من الوقت متسع أن يجد فى جدول اعمال النادى،دعوة للسفر الى قصر أحد الاغنياء،أو حفلة للشاى،أو وليمة في اكبر الفنادق لمثر كبير،أو سياحة فى النهر،أو زيارة لاحدى أمهات المدن،أو لمصرف كبير لسماع خطبة من مديره ،وغير ذلك من الاشياء التى لا تقع تحت حصر .

وكثيراً ما كنت آسف لعدم تمكنى من الاشتراك فى كثير من تلك الاعمال ، لاشتغالى بدروس فى الجامعة . واذكر مرة ان المستر روكفلر أولم وليمة فاخرة فى فندق استوريا (من أفخم واكبر فنادق أميركا)،دعا إليها خمسمائة من أصدقائه ، ثم طلب من ادارة النادى ارسال ثلاثين فقط من اعضائه ، يمثلون ممالك مختلفة ، وكان لى الحظ ان اكون بين المدعوين،غير انى كنت منهمكاً جداً استعداداً للامتحانات، فعدلت في بادىء الامر عن الذهاب،ولكنى عدت الى نفسى ، فقلت ان هذه فرصة لن تعود . ان أغنى رجل فى العالم ، يولم وليمة فى اكبر فنادق العالم لأعاظم رجال أميركا، ويدعو اكبر الخطباء للكلام ، فمن الخطأ الفادح أن تفوتنى تلك الفرصة . وبعد أن تبوأت مقعدى بين المدعوين،واكلت هنيئاً وشربت مريئاً أجود أصناف الطعام والشراب،على نغمات الموسيقى ونشيد المغنين،وسمعت خمسة من اكابر الخطباء وكلمة ختامية بليغة فكيهة من روكفلر نفسه ، وبعد أن دوّنت الشىء الكثير من هذه الخطب فى مذكراتى ، قلت لنفسى ، ألم أكن من الحمق بمكان لو كنت تركت تلك الفرصة تمر ؟

ولست أدرى كم ينفق القائمون بأمر هذا النادى من الأموال فان ، الادارة لا تدع فرصة تمر دون أن تسدى فائدة للاعضاء مهما كلفها ذلك . اذكر أن أعلن عن مؤتمر الطلبة الذى عقد فى مدينة انديانا بوليس ، وهى على مسافة من نيويورك يقطعها القطار السريع في اكثر من نهار وليلة .ورغم أجور السكة الحديدية الباهظة، فان النادى انتدب خمسين طالباً كان لى الشرف الأوفر أن اكون أحدهم ، ودفع لهؤلاء أجور السكة الحديدية،وهناك اتفق النادى مع إدارة جامعة انديانا أن يسكن الطلبة فيها على نفقة النادى

وهناك أرجع بالقارىء الكريم الى محتويات النادى ومعداته،فأقول أن غرفه

النوم مجهزة بكل وسائل الراحة ، من مناشف تغير يوميا ، وماء جار ساخن و بارد، صيفا شتاء، ليلا ونهاراً ، كسائر المبانى فى نيويورك . وجرس يقرع كلما طلب صاحب الغرفة على التليفون . وعدد التليفونات فى النادى كما فى جميع أمريكا كبير جداً، كما أوضحت ذلك بتفصيل فى فصل آخر من الكتاب . و يعوزنى الوقت اذا كتبت تفصيلا عن البحيرات الصناعية للسباحة ، وملاعب الكرة ، وقاعات الاستراحة ، والغرف الخاصة بحفلات الشاى والقهوة ، الخصوصية والمسرح العظيم بجميع معداته التى تضارع المسارح الكبرى فى المدينة ، وغير ذلك من الكماليات التى لا تخطر على بال انسان .

كنت أزور مرة ، قبل أن يتم النادى ، بناء الطابق الثالث تحت الأرض ، فوجدت هناك حمامات عديدة ، فسألت المدير عن علة وجود هذه الحمامات فى الطابق الثالث تحت الأرض ، مع العلم أن الطوابق الارضية معدة لخزن الحاجيات . فأجابنى أن الغرض منها توفير وسائل الراحة والنظافة للطهاة وغيرهم من العمال فى خدمة النادى ، حتى اذا ما فرغوا من أعمالهم ، استحموا وفركوا أبدانهم جيداً بالمناشف التى تصرف لهم من النادى حتى يرجعوا الى منازلهم مستريحين .

***

وانى إذا نسيت أمريكا بأسرها فلن أنسى فى حياتى جامعة كاومبيا التى يرجع اليها الفضل فى تثقيفى . كما انى إذا نسيت جامعة كاومبيا فاننى لن انسى اكبر نادٍ متعلق بها ، وهو النادى المختلط ، لما أنا مدين له به من تلك الحياة الاجتماعية الجميلة التى لا يدرك لذتها الا من ذاق طعمها . وحسبى من تلك الحياة الاجتماعية ، اننى أجد لنفسى اليوم من المعارف والأصدقاء فى الامريكتين ومعظم ممالك أوروبا وأسيا وجنوب أفريقيا ، وأسمع أخبارهم فى المجلة الشهرية التى يبعث الى بها النادى الى اليوم ، وأكاتب بعضهم كلما سنحت لى الفرصه . ولم يمر على تركى تلك الديار عام واحد ومع ذلك فان عددا من أعضاء النادى من رجال ونساء ، قاموا برحلات حول الأرض فى فترات معدودة ، وقد زارنى فى القاهرة منهم شاب من البرازيل، وسيدة من جزائر الفليبين ، وأخرى من شيكوسلوفاكيا ، وشاب من كندا وآخر من دانيمرك . وحبذا تلك الحلقات المشتبكة التى تربط العالم بعضه ببعض

فى آخر حفلة يقيمها النادى، يطلب من كل عضو أن يلبس لباس بلاده الوطنى، ويؤخذ من كل مملكة عضو، ثم تؤخذ صورة الجميع، وهى المثبته فى غير هذا المكان من الكتاب . وتدعى هذه الحفلة حفلة الشموع، وذلك لأن كل عضو يعطى له شمعة، ثم يبدأ مثلا أحد الذين ينتمون الى جزيرة هواى، بأضاءة الشمعة، ومن شمعته يضىء ممثل انجلترا الشمعة التى بيده، وهكذا حتى توقد جميع الشموع، وبهذا يذكّرون الحضور أن الممالك انما يقتبس نورها بعضها من بعض، وأن بلداً واحداً لا يمكنه أن يعيش فى معزل عن البلدان الأخرى

فهل رأيت أيها القارىء الكريم بعينك، أو سمعت بأذنك عن نادٍ يحاكى النادى المختلط لطلبة جامعات نيو يورك جمالا ونفعاً ومبدأ ؟ لا عجب اذا كانت حياة هذا النادى الاجتماعية، كما وصفت وقد أوجزت الوصف، فان شعاره الذهبى « حتى يَسُود الأخاء »

الحركة العلمية

بعد أن وقف القارىء على الحياة فى أميركا وما بلغة من مجد ومال ، ووصلت اليه من عجائب الصناعة ، وبدائع المخترعات والاستكشافات ، وبعد أن صورنا له الحركة الفكرية . وروح الديموقراطية ، تضع أمام القارىء العزيز ، شيئاً عن القوة الدفينة ، التى دفعت أصغر بلاد العالم شيئاً ، وأحدثها مدينة ، الى الأمام .

تلك القوة وحدها ، هى التى فطن لها كبار العالم وساسة الدول ، فأحلوها المحل الذى يليق بها ، من تجلة وتقدير وا كرام . تلك القوة هى التى نهضت بالشرق أبان عظيمة ، وارتفعت بها أشور و بابل وفينقيه ، ومصر واليونان والعرب ، و بلاد الغرب فى عصرنا الحاضر

تلك القوة هى لا شك التربية والعلم والتهذيب ، وقد رأيت أن أضع بين يدى القراء الكرام ، بعض ما سبق نشره عنها ، اتماماً للفائدة .

ولما كان هذا الكتاب شاملا لموضوعات شيء ، لم يكن من الممكن الاسهاب فى وصف حالة التعليم هنالك ، بطريقة وافية .

فولايات أميركا المتحدة اكثر بلاد العالم اهتماماً بالتعليم الاجبارى . ففى جميع ممالك أوروبا تقريباً ، يقتصر التعليم الاجبارى على المدارس الابتدائية ، أما فى أميركا فمعظم ولاياتها تحتم أيضاً على أن يرسل الناس بنيهم و بناتهم الى المدارس الثانوية ، ولذا يستطيع كل أميركى أن يعلم جميع أولاده من ذكور وأناث ، فى المدارس الابتدائية والثانوية بغير مقابل

ولما كانت أميركا بلاداً غنية ، بمالها وسخاء رجالها ، فان جامعاتها وكلياتها ينفق عليها عن سعة ، فهى أغنى معاهد العالم كلها : فالمرتبات التى تدفع سنوياً لأساتذة جامعة كلومبيا وموظفيها (فى مدينة نيويورك) مثلا ، عشرة ملايين دولار ، أى اكثر من مليونى جنيه ، هذا عدا نفقات المبانى والمصاريف الأخرى الجارية

وفى أثناء وجودى هناك ، كانت ميزانية ولاية نيويورك عن التعليم الاجبارى المجانى فقط لسنة واحدة ، مئة مليون جنيه تقريباً

ولا يدخل ضمن هذا المبلغ مئات الملايين من الريالات التى تنفق فى سبيل الهيات والجامعات والمعاهد العلمية الخصوصية والمدراس الابتدائية والثانوية غير العمومية ، (أى غير المدارس المجانية والاجبارية) التى يفتحها أصحابها لأغراض خاصة ، ويدفع الملتحقون بها مصروفات مقررة

ويبلغ عدد الطلبة فى أميركا اليوم أكثر من عشرين مليون طالباً ، اكثر من نصفهم من الأناث ، ويبلغ عدد الأساتذة اكثر من مليون معظمهم من الجنس اللطيف

ويجد القارىء فى الفلذة التالية عن النهضة العلمية فى أميركا أغراض التعليم كما ينظر اليها زعماؤهم هناك ، ومن هذه الاغراض تتبين لنا ، بعبارة موجزة ، حالة التعليم هناك ، وما وصلت اليه من تطور ورقى ، وما تناولته من أراء حديثة وافكار غريبه .



الحركة العلمية في اميركا

آراء حديثة في أغراض التربية

الغرض الأول

الالمام بالمعلومات العامة

التربية تشبه كل عملية أخرى فى الحياة. فهي ترمى الى أغراض خاصة، وهذه الاغراض واضحة محدودة متناسبة . و ينتج من ذلك أن كل فلذة فى مناهج التعليم ، وكل نظام من نظم المعاهد العلمية، يجب أن يصوب سهمه الى هدف معلوم محقق وجوده، فى غير عالم الخيال . وقد اختلف علماء التربية فى تعديد هذه الاغراض، غير أنهم اتفقوا على جوهرها ، وقد حصرها ثقاتهم فى أميركا فى سبع مسائل . وعلى أسس هذه الاغراض السبعة ، شيدوا مدارسهم وكونوا مناهجهم وسنوا قوانينهم

وسيكون كلامى هنا مقتصرا على الغرض الأول ، وهو الالمام بالمعلومات العامة ، وسأفرد لكل من الاغراض الأخرى شطراً قائماً بذاته

المعلومات العامة يقصد بها ما يفرض على الجميع معرفته من المبادىء الاولية ، فى الكتابة والقراءة والحساب وتقويم البلدان وغيرها من مواد الدراسة المعروفة . غير ان الأمم الراقية ، وفى مقدمتها ولايات أميركا المتحدة ، بذلت جهوداً واسعة فى تخير هذه المواد، وقطعت مرحلة بعيدة فى الغاء ما كان معدوم الفائدة منها فى الحياة وما يشك فى فائدته ، مهما كان من تقديس السلف من علماء التربية له ما دام قد اتضح للعلماء بطلانه ، من التجارب العديدة التى جربوها عملياً بين ملايين من الطلبة

وقد كان يظن الى عهد قريب ، وما زال يظن الكثيرون الى عهدنا هذا ، أنه لا يشترط فى المواد الدراسية جميعها أن تكون ذات فائدة عملية ، فان منها ما تقتصر فائدته على تثقيف العقل، وتوسيع المدارك ، وتقوية ملكة التفكير ، كمعظم النظريات

الهندسية والجبرية . فانه قلما نستعملهما فى الحياة ، وانما كان ادخالها فى مناهج الدراسة عادة قديمة ، ورثناها جيلا بعد جيل . فالهندسة تدرس اليوم نظرياتها كما كانت منذ ثلاثة آلاف سنة ، مع عدم فائدتها عمليًا ، اللهم ألا سبع نظريات يحتاج اليها المهندس دون سواه . وقد دهش الناس فى أميركا حينما تجلت هـذه الحقيقة ، وليدة البحث والاستقصاء ، والتجارب العلمية ، فضاعت منزلة هذه المادة من مدارسها ، وجعلها بعضهم اختيارية ، وحذف آخرون معظم النظريات ، وأصبح كثير من الكليات لا يفرض وجودها فى المقررات التى يجب على طالبي الدخول اليها معرفتها

وكان العلماء يعتقدون كما أشرت قبلا بنظرية النقل أو تدريب العقل ، وبهذا يسوغون تدريس تلك المواد التى لا نفع منها فى الحياة ولا فائدة لها معروفة . ويطلق على هذه النظرية الشهيرة نظرية Theory of Transfer شقيقة نظرية Faculty Psychology

غير أن الأموال الطائلة ، والسنين العديدة ، التى صرفها علماء النفس والتربية ، والفلسفة الحديثة ، فى التجارب العلمية ، أقامت أدلة قاطعة على فساد هذه النظرية ، التى عاشت الاحقاب الطوال ، فقضت عليها قضاء مبرمًا فى أميركا ، وكادت تزعزع اسسها وتقوض أركانها فى أوربا

ولقد أماط علماء الاميركان اللثام عن حقائق ظلت دفينة الاجيال الغابرة ، الى هذه الساعة ، وهى ان عبارة تدريب العقل ، عبارة خيالية لا وجود لها فى عالم الحقيقة . فحل الالغاز الجبرية والهندسيه ، لايفيدنا فى حل الغاز الحياة ، وانما يدربنا فقط على حل الالغاز الجبرية والهندسية دون سواها . كما ان فن الشعر مثلا لا يوسع مداركنا ، فيسهل علينا درس الكيمياء . وكما أن درس الطبيعة لا يقوى عقولنا على فهم دروس التاريخ ، لأن هذا النقل لايحدث مطلقاً ، الا اذا كان ثمة صلة تامة بين المادتين . فآداب اللغة مثلا تقوى فينا ملكة الانشاء ، وعلم الطبيعة يساعدنا مثلا على فهم علمى الحيوان والنبات ، فضلا عن ان كلا من هـذه العلوم له فائدة فى ذاته . ولكن خبرنى أيها القارىء المربى بحقك ، أية فائدة تجنى من معظم النظريات الهندسية والدروس الجبرية؟ وما الذى يعود على فتاة من صرف الساعات الطوال ، من سنى حياتها المدرسية ، فى حل

تلك الرموز المعقدة على غير جدوى ؟ أما كان الأجدر بها أن تستعيض من الزمن الذي تقتله في مثل هذه المسائل التي هي في غنى عنها في الحياة ، باتقان الموسيقى مثلا ، تسلية لزوجها وأولادها في المستقبل وترويحًا لنفوسهم ؟

وما الذي يستفيده الطالب ، الذي يريد ان يكون مزارعًا أو طبيبًا أو محاميًا أو تاجرًا ، من تحليل الكميات الى عواملها ، وايجاد جذور الأعداد الرمزية والكميات الخيالية

ان كثيرين من المشتغلين بالتعليم ، لا بد ان يرموني بالجنون ، كما كنت أفعل ذلك بسواي عند بدء وجودي في اميركا ، غير ان عالم التربية اليوم أصبح غيره بالامس واساتذة الجامعات في اميركا اليوم ، يبثون هذه النظرية في جميع بلدان العالم المتمدين . وأنني انصح لرجال التعليم ، ان يقرأوا المؤلفات الاميركية العديدة ، واخصها مؤلفات الاستاذ الفيلسوف ديوي . فقد دعي هذا العالم العظيم الى القاء محاضرات في جامعات اليابان ، والصين وجزائر الفلبين والمانيا . وجاءته كتب عدة في أثناء وجودي في نيو يورك نشرتها الصحف في حينها ، من مدام لينين (زوجة الزعيم الروسي المتوفى) لهذا الغرض ، فرفض لاسباب سياسية . وقبل نهاية السنة المكتبية في جامعة كولومبيا في نيو يورك ، دعته حكومة مصطفى كمال الى القاء محاضراته في جامعة الاستانة ، في أثناء شهور يونيه و يوليه واغسطس . ومن هذا يتضح ان الانظار كلها متجهة الى الآراء العلمية الحديثة ، وهجر النظريات العتيقة الفاسدة .

وتنشىء كليات المعلمين في اميركا مئات من مدارس التجارب العلمية ، وغرضها من ذلك التدريس على غير برامج ثابتة ، ووضع كتب حديثة مفككة الاوراق (loose leaf) حتى يتسنى ادخال ما يراد ادخاله عليها ، ونبذ ما يرون نبذه . وهذه المدارس خصوصية ، أي أنها ليست مجانية ومع مصروفاتها الباهظة (١٥٠٠ ريال سنويًا) فان الاقبال عليها شديد جداً ، لثقة أولياء أمور التلاميذ بأولى الشأن فيها . و يدهش المطلع على المواد التي يدرسونها ، وكيفية تدريسها ، واتساع نطاقها ، وافساح المجال للتلاميذ ليختاروا منها ما يوافق ميولهم ، والصناعة التي يتخصصون لها في المستقبل

اذا أخذت الآن مواد الدراسة واحدة فواحدة ، وأبنت تفصيلا كيف يدرسونها ، وما الذي يدرسونه فيها ، لاتضح للقارىء ان بيننا و بينهم في هذا الموضوع هوة سحيقة ،

واكرر فى ختام مقالى أن حشو مناهج الدراسة بالمواد التى لا فائدة عملية لها سوى ما يتوهمونه فيها من تثقيف عقل الطالب وتوسيع مداركه،عونًا على شيء آخر من آفات التعليم فى بلادنا ،وغيرها من البلاد التى ما زالت تعتقد بهذه النظرية الفاسدة، وقد بلغ من احتقار الثقات لها فى أميركا، ان أحد كبار المربين فى جامعة كولومبيا بنيويورك صرح بأن الاستاذ الذى لا يزال راسخ الايمان بتلك العقيدة (أى Theouy of Transfer) يجب أن تسحب منه درجة الدكتوراه (فى الفلسفة) اذا كان من الذين يحملونها

الغرض الثاني — الاستعداد للمهنة

يعتقد علماء التربية الحديثة أن حصص الدراسة المعتادة يجب ان تتخللها الاعمال اليدوية الصناعية . ويرجع ذلك الى اسباب ثلاثة

أولا — من لوازم الحياة أن يتعلم الطالب منذ نعومة اظفاره المباديء الجوهرية فى صناعة أو اكثر من التى لا غنى لأحد عنها، كالنجارة والحدادة وصناعة الاحذية والطباعة وغير ذلك

ثانيًا — ضرورة تعويد الناشئة ، مهما كانت منزلتهم الاجتماعية ومراكز والديهم المالية ، ذكوراً كانوا أو اناثا ، احترام العمل اليدوى ، اذ لا عار فى العمل

ثالثًا — اكتشاف المواهب الكامنة فى ايدى الناشئة ، والتى لا يتسنى اظهار مكنوناتها ومواهبها ، الا بالنزول الى ميدان العمل أمام المطارق البخارية والآلات المستخدمة في الصناعات على اختلاف انواعها

وبعبارة أعم ، يجب أن تكون الاعمال اليدوية في المدارس،متصلة تمام الاتصال بمواد الدراسة . مثال ذلك ، أن الانشاء فى معاهد امريكا يعلمونه للطلبة كما يأتى .

يصف الطالب الاطوار التى مرت عليه فى ورشة الاعمال اليدوية، فى صنع دولاب من الخشب، أو سبك كتلة من الحديد، أو بناء زورق للسباحة أو تركيب جهاز لاسلكى، أو تشييد غرفة فى بناية من بنايات المدرسة أو الكلية ، أو كتابة مقالة فى جريدة المدرسة، واعطائها لأحد زملائه لطبعها ، وتصحيح المسودة ومراجعتها.أو وصف وانتقاد رواية مثلها هو وزملاؤه فى مسرح المدرسة . أو كتابة فصل فى زراعة البطاطس كما

شاهد العملية بنفسه فى حقول التجارب الزراعية . وتكتب البنت أيضاً فصولاً عن زى أو ازياء معلومة خاطتها رفيقاتها . أو عن أوان خزفية كلفن بصنعها من طينة معينة وحرقها وطلائها بالادهان

كذلك يدرس فن الرسم بمساعدة اساتذة الاعمال اليدوية . فيقدم هؤلاء أجهزة للمصابيح الكهربائية مثلا الى اساتذة الرسم . ويكلف هؤلاء تلاميذهم باعداد قطع من الورق أو القماش أو الحرير ، بشرط أن تصلح كمظلات جميلة مختلفة الاوضاع والرسوم للمصابيح المذكورة، ويلى ذلك نقش نماذج جميلة منقولة أو مبتكرة على هذه المظلات ، فتزداد جمالاً رونقاً

يرسم التلاميذ فى الجغرافيا مثلا خارطة اميركا على قطعة من الارض ، فى حقل المدرسة الزراعى ، ويكلفون أن يلونوا الخارطة بزهور صغيرة يمثل كل نوع منها قسما من اقسامها

يكلف التلاميذ الذين يدرسون علم الحساب مثلا، عمل ميزانية للاجهزة والادوات والاشياء التى يشرع اخوانهم فى صنعها فى الورشة . كذلك يتولون اعمال المصارف المالية التى تنشئها ادارة المدرسة فيها، لا لتعويد الطلبة الاقتصاد وايداع الاموال فقط بل لتكون درساً عملياً فى الحساب . كذلك يكون بعضهم مسؤولا عن ضبط حسابات الاندية ومراقبة دفاترها

وقد يتوهم القارىء أن حسابات الاندية هذه مسألة تافهة لا تستغرق وقتاً يذكر . غير أن كثرة عدد الطلبة فى بعض المدارس فى المدن ، يجعل ميزانية هذه الاندية شيئا لا يستهان به . فميزانية نادى الالعاب الرياضية فى مدرسة ثانوية واحدة فى نيويورك (واسمها دى وت كلنتون) عن سنة ١٩٢٣ كانت مائتى ألف ريال

هذه فقط امثلة ضئيلة ، ولا تسمح صفحات الكتاب بالاسترسال فيها

وتبدأ هذه الاعمال اليدوية من روضة الاطفال ، ويلى ذلك ثمانى سنوات فى الاقسام الابتدائية ، واربع سنوات فى الثانوية

فبينما تجد بعض الطلبة يتلقون علم التاريخ ، ترى البعض الآخر فى نفس المعهد ينشرون الخشب ، ويسبكون الحديد ، ويصلحون السيارات ويقودونها ، ويصنعون

الاوانى الزجاجية ، واجهزة اللاسلكى والاسلاك الكهربائية. أو يشيدون عمارة ، أو يحرثون قطعة من الارض ، أو يربون المواشى والطيور الداجنة ، أو يصنعون الزبدة. كل ذلك يقوم به الطالب ، والعرق يتصبب من جبينه ، غنياً كان أو فقيراً ، ذكراً أو انثى

ولا يقصد بذلك ان تحشد جميع المهن والصنائع في كل معهد ويحتم على التلاميذ تعلمها . فهذا غير ممكن بالطبع .

ففى نيويورك بلغ عدد الصنائع المختلفة فى العام المنصرم ١٧ الفاً ، كانت المدارس الابتدائية والثانوية تقدم لطلبتها منها ، ٢٠٢ فقط ، يختار منها الطالب عدداً محدوداً فى خلال الفترة التى يمكثها فى تلك المعاهد . وانى لا اغالى ، بعد زيارة عدد وافر من هذه المعاهد فى كثير من الولايات ، اذا قلت أن الصبى الاميركى (والبنت الاميركية) اليوم يسوق الاوتوموبيل ، ويركب جهاز اللاسلكى ، ويصلح ويركب الاسلاك الكهربائية ، ويتقن صناعة على الاقل من الصناعات المعروفة ، قبل بلوغه سن الرشد

يقول لك علماؤهم أن اصلاح اتوموبيل من اتوموبيلات فورد ، خير من تحليل الكميات الى عواملها ، وتركيب التليفون ، انفع من اعراب الكلمات وتحليل الجمل ، وصنع مائدة للمنزل ، افضل من ايجاد الجزر التكعيبى لكمية سلبية لا وجود لها فى الحياة ، وتربية البقر والفراخ ، وتحسين نتاجها ، اكثر فائدة لبنى الانسان من صرف السنين الطوال فى درس اللغة اللاتينية حتى يتمّ المتعلمون بمطالعة كتاب فى الفلسفة كتبه باكون اسمه Novum Arganum

كم اود لو زار الكثيرون من رجال التربية معهداً أو اكثر من التى يطلق عليها اسم Self-sufficing ، أى التى تسد حاجياتها بنفسها . وفى مخيلتى الآن صورة واضحة من معهد همبتون فى ولاية فرجينيا . مساحة هذا المعهد الف ومائة فدان وفيه مائة وخمسون بناية ، ولا بد ان يدهش القارىء اذا علم ان ادارة هذا المعهد قامت ببناء ثلاث بنايات فقط فى بدء تأسيسه وشيدت البقية بالتدريج سنة بعد سنة وكان الطلبة انفسهم هم الذين شيدوها فى هذا المعهد ، وبلغ عددهم ثلاثة آلاف طالب وطالبة (وهذا لا يعد كبيراً جداً . ففى بعض المدارس الثانوية عشرة آلاف طالب، وفى جامعة

كلومبيا فى نيويورك خمسة واربعون الف طالباً) فيه يزرع الطلبة الارض ويأكلون ثمارها ، ويربي الاولاد الماشية ويستخرجون الزبدة والجبن من البانها ، ويذبحون عجولها ، فيطبخ البنات لحمها ، ويأكل البنات والاولاد معاً . ويفصل الطلبة انفسهم الملابس ويخيطونها لزملائهم . وهم الذين يشيدون البنايات التى تحتاج اليها كليتهم ، ويركبون ابوابها ونوافذها،ويمدون انابيبها، ويوصلون اليها الماء الساخن والماء البارد، ويضعون اسلاكها الكهربائية،ويطلون حيطانها ويصلحون ويقودون سيارات تنتقل من بناية الى بناية فيها .وتلميذات الكلية عينها ينظفن حماماتهـا ويعملن فى غسل الملابس وتنشيفها بواسطة آلات كهربائية ، وكيها ورتقها وارسالها لمكتب خاص لتوزيعها على ذويها،ولذا نرى ذلك المعهد كمملكة واسعة الاطراف ، الصادر والوارد منها واليها ، فلا تحتاج الى صانع ولا عامل ولا خادم ولا مواد غذائية من الخارج

لعمرى أن هذه الحياة بعينها.وهذا ما يجب أن يكون فى كل مدرسة.فان تجريد المدارس تجريداً تاماً عن الحياة الطبيعية فى الخارج،يولد السآمة والملل ويخرج الطالب الى ميدان الحياة الحقيقى،وهو غريب عنها . ضع اميركياً من خريجي تلك الكليات فى عمل من الاعمال،واعتمد عليه فى كل شيء،تجده مدرباً قوياً،واثقاً بنفسه،لانه انما كان يعمل نفس العمل فى الكلية التى كان بها. كما ان التلميذ فى المدارس الابتدائية يشعر أنه فى العالم حقيقة ، وليس فيما نسميه نحن مدرسة . كيف لا وهو يصنع بيده جهازاً لاسلكياً صغيراً ، فيأخذه الى غرفته فى المنزل،ولا يكاد الظلام يرخى سدوله حتى تصل اليه بواسطته انغام الموسيقى واصوات المغنيين واقوال الخطبـاء . وكيف لا وهو يفتخر أن المائدة التى يأكل عليها افراد عائلتة من صنع يده

رأيت مرة فى احدى تلك المدارس فى ولاية نيوجرزى فتاة في الرابعة عشر من عمرها بجانب زورق كبير به عدة مجاذيف ، فسألتها عما تريد أن تفعل بهذا الزورق بعد تمامه ، اجابت انهـا تعده للنزهة فى نهر الهدصون فى فصل الصيف ، مع والديها واخوتها ، وانها صرفت فى صنعه اكثر من ثلاثة اشهر

شاهدت فى مدرسة ابتدائية فى حجرة الجغرافيا ، الصبيان والبنات جميعهم

منهمكين ببناء نموذج للاهرام وابى الهول والصحراء، والنيل يجرى بجانب الرمال التى فرشت بها الحجره،ونماذج اخرى صغيرة لقطيع من الابل، ينتظر السياح، بجانب بناء حديث يمثل فندق مينا هوس ، وكم سر الصغار عندما ابلغتهم المعلمة اننى مصرى . ومما هو جدير بالذكر،اننى رأيت بين نماذج الابل جملا ذا سنامين ، فما كدت اذكر لهم أن مثل هذا الجمل لا يوجد عادة هناك فى انتظار السياح ، حتى انقض التلاميذ عليه والقوه بعيداً

كنا نزور واحدة أو أكثر من تلك المدارس أو الكليات مرة كل اسبوع، يرافقنا استاذ من اساتذة الجامعة، وكنا نبلغ الاربعين طالباً أو أكثر .وكثيراً ما كنا نمكث جميعاً فى المعاهد التى نزورها يومين أو ثلاثة أو اسبوعاً كاملا، فننام فى غرف بديعة التنسيق، كاملة الاستعدادات تتوفر فيها كل وسائل الراحة، ويكلف البنات باعدادها وتنظيفها ، ومراقبة الادوات اللازمة لها وحماماتها وتغيير تلك الادوات يومياً، ونتناول طعاماً تطهوه الطالبات، على موائد يقمن بخدمتنا عليها بأنفسهن ، وتشنف آذاننا اثناء الطعام موسيقى الكلية ، وندعى لنتناول الشاى فى اندية الكلية المختلفة ، فنأكل الحلوى والمثلجات التى يصنعهـا اعضاؤها، ثم نخرج مساء للنزهة فى زوارق من صنع الطلبة ، ونصرف ساعات النهار بين حجر الدراسة والورش الصناعية برافقة الطلبة أنفسهم ، وننتقل من بنـاء الى مزرعة الى معمل فى سيارات يقودها الصبيان تارة والبنات اخرى

رأيت فى مدرسة ثانوية طالباً يصنع حذاء اتقن صنعه فسألته ، بأى مهنة تريد أن تحترف بعد نهاية الدراسة ؟ فقال سألتحق بالكلية ثم بمدرسة الطب ، فعجبت وقلت له ، لعلك تنوى أن تختص بالامراض الجلدية !!

وهكذا تجد تنوع العلوم فى تلك المعاهد ، ومايتخللها من الصناعات اليدوية ، تكشف القناع عن ميول الطالب ومواهبه، فيختار لنفسه أكثر الصناعات صلاحية له بارشاد اساتذته ، فلا بدع اذا كان الناس فى تلك البلاد على اختلاف طبقاتهم ، اخف حركة منا بمراحل ، وانشط واوسع حيلة فى العمل . أرونى موظفا فى احدى المصالح يستطيع أن يصلح مصباحاً كهربائياً اذا تلف،أو سيارة اصابها عطب،أو انبوباً ينفجر،

لذلك لا نعجب اذا نظرنا الى الصناعات والصناع بعين الازدراء فانحطت صناعتنا ، ووضع الاميركيون صناعهم في مرتبة الاساتذة والكتاب وكبار الموظفين ، فارتقت صناعاتهم ، ودقت ادواتهم وجملت اثاثات منازلهم ، وقدروا اهل الصناعة ، فأصبح النجار والبناء ومن على شاكلتهما يتقاضى اجرة يومية من خمسة عشر ريالا الى ثمانية عشر ريالا

وكم اعجبت بطالب مصرى ، هو نجل احد وزرائنا السابقين ، حينما شاهدته فى رحلتى فى شمال اوربا فى مصنع كبير يرتدى ملابس الصناع وقد واقف أمام المطرقة والسندان يعالج قضيباً من الحديد فى يده ، وجسمه ينضح على ثيابه العرق ووجهه ملوث بالغاز المتصاعد من المداخن . لقد احمر لرؤيتى خجلا ، غير اننى كررت له تلك العبارات الجميلة التى يتغنون بذكرها فى اميركا اعجاباً بالاعمال اليدوية وتنويهاً بذكرها ، وهى ولا شك السبب الاكبر فى انتشار الديموقراطية الاجتماعية فى اميركا ، والمساواة فى كل شىء ، حتى فى ركوب القطارات الحديدية التى يستوى فيها الغنى والفقير والمتوسط ، اذ كلها درجة واحدة

الغرض الثالث

الصحة

الغرض الثالث وهو الصحة ، ووجوب الاهتمام بهـا ،وجعلها فى مستوى جميع الاغراض الأخرى ؛ ولا أقول فى مقدمتها لان الاميركيين يقدسون هذه الاغراض على السواء ، ويكرهون ان يفضّل احدها على سواه

لا بد ان لا يكون من أهم اغراض التربية المحافظة على البدن فقط ، بل العمل على تقويته وانمائه انماء متناسباً ، يظهر به صاحبه رشيق الحركة ، قوى الساعدين ، حسن المنظر . فقد استوقف نظرى اهتمام المدارس فى الغرب على اختلاف انواعها ودرجاتها بالمسائل الصحية . فمن روضة الاطفال الى المدرسة الابتدائية الى الثانوية الى الكلية الى الجامعة نجد للصحة فى جميعها المكانة الاولى . ففضلا عن رقى الوالدين

واهتمامهم بصحة اولادهم ، فان معاهدهم تصرف شطراً كبيراً من عنايتهـا ووقتها في هذا السبيل

في الولايات المتحدة طائفة كبيرة من المدارس التي تعنى بتربية الاطفال بين الثانية والرابعة فقط . ووالدو اولئك اما من الموسرين أو دون الطبقة المتوسطة . فالموسرون يعتقد بعضهم انه يجب ايداع أولادهم بين أيدي اختصاصيين يتولون تربيتهم على احدث طريقة فنية صحية . ولما كانت الزوجة من الطبقة المتوسطة فما دون ترغب في كثير من الاحايين ، في الاخذ بناصر زوجها واعانته ماليًا ، فانها تصرف جزءاً كبيراً من نهارها جريًا وراء الكسب ، فتترك أولادها في معاهد خاصة تعنى بتربيتهم بلا مقابل . هناك مربيات اتممن دروسهن في الكليات والجامعات ، يقمن بملاطفة أولئك الصبية ، وتربيتهم وتدريبهم على اللعب والاستحمام والاكل والنوم . ومما لفت نظري في تلك المعاهد ، اسرة صغيرة ، ينام فيها الاطفال في فترات معلومة ، فوق كل سرير منها صورة فوتوغرافية للطفل يستدل بها على سريره الخاص ، كلما قرعت النواقيس ايذانًا بساعة النوم

أما في مدارس روضة الاطفال (الكندرجارتن) ، وهي التي تقبل الاطفال بين الرابعة والسادسة واحيانًا بين الثانية والسادسة ، فلا توجد فيها دراسة على الاطلاق . بل كلها حياة طبيعية مسرة جميلة . يدخل الاطفال صباحًا ، فيجدون ساحة واسعة الارجاء نثرت فيها أصناف عديدة من اجهزة اللعب ، فيقبلون عليها بشغف وتلهف . ويأخذون في العدو والقفز واستخدام تلك الاجهزة ، تحت اشراف معلماتهم ، حتى الساعة العاشرة . وبعد تناول قليلا من الشاي والحلوى على موائد يكلف الصغار انفسهم ترتيبها وصفها ، ثم بعد غسل الاواني ووضعها في اماكنها ، يدق ناقوس النوم ، فيهرع الاطفال اثنين اثنين ، الى بسط صغيرة يفرشونها ، ثم يحاولون النوم تحت تأثير موسيقى بديعة هادئة ، من اسطوانة فوتوغرافية أو آلة موسيقة لاحدى المعلمات

ومتى اغفى الاطفال ، هدأ المكان نصف ساعة ، وبعدها تدور اسطوانة فونوغرافية أخرى ، أشبه شيء بموسيقى الجيش في حومة الوغى فينشط الصغار لعزفها الحماسي ويستيقظون . ثم يطوي كل زوج منهم بساطه ويستأنف القفز والجري . وسرعان

ما تجلس معلمة الموسيقى الى البيانو ، فيجتمع الاطفال حولها ، و بعد ملاطفتهم والتنبيه عليهم ، تعزف على البيانو نغمات منظمة ، يأتى بواسطتها الاطفال حركات بديعة رشيقة ، هى وسط بين سير الجنود ورقص الراقصين . والقسم الأخير من جدول النهار يلتف فيه عـدد منهم حول كل معلمة لسماع اقاصيص وحكايات ونصائح . ثم ينصرفون الى منازلهم منتظرين رجوعهم لليوم التالى بشوق وشغف

أما فى المدارس الابتدائية والثانوية،وفى الكليات والجامعات ، فحبذا لو اتيح لى وصف الملاعب الفسيحة التى تقام فى الخلاء وتغص بعشرات الألوف من المتفرجين ، والملاعب الداخلية الكاملة الاستعدادت التى يطلقون عليها اسم الجمنازيوم ، والبرك الصناعية للعوم والسباحة ، تحت اشراف اساتذة مهرة . والمسابقات التى تجذب اليها الوفاً مؤلفة من الاهلين، فتبلغ المنافسة اقصاها . هذا عدا المسابقات الصحية،ومسابقات الجمال التى تجريها مجالس البلديات والولايات والمقاطعات . وكذا الافراد والجماعات والاندية ، مما لا يقع تحت حصر ، فلا يمضى يوم الا وكنت أشاهد أو أقرأ أو اسمع عن مسابقة للاطفال بين سن كذا وكذا من الذين يتوسم اهلهم فيهم جمال الاسنان أو الشعر وما شا كل ذلك . أتتصورون ان عـدد الذين ضربوا خيامهم من الطلبة المتخرجين وغير المتخرجين حول مدينة نيورك فقط سنة ١٩٢٣ لاجل التعود على المعيشة الخلوية وممارسة الالعاب الرياضية كان ٦٠٠ الف ؟ أتدهشون اذا قيل لكم ان الفتاة لا تمنح الدرجة النهائية فى بعض الكليات اذا فشلت في العوم والغطس فى الماء ؟ اتدرون انى شاهدت فى كثير من المدارس فصولا خاصة يدرس فيها الطلبة فى الهواء الطلق بناء على رغبة والديهم ،حتى ابان البرد القارس ، وان فى معظم المدارس فصولاخاصة أيضاً للطلبة ضعاف البنيه ، يكثرون فيهامن تقديم اللبن لهم وتعويدهم على النوم ظهراً ، ووزنهم أسبوعياً تحت مباشرة الاطباء ومساعديهم .

رأيت في احدى المدارس ان الاستاذ المكلف بالالعاب الرياضية بعد الكشف الطبى الدقيق يأخذ بصمة باطن القدم لبعض التلاميذ والتلميذات ، و بعد السؤال علمت أن كثيرين من الطلبة الذين تدل مشيتهم على عدم الرشاقة يفعلون ذلك لعيب خلقي فيهم كتقوس اقدامهم من أسفل ، ولذا يعمدون الى طرق صناعية فنية أثناء الالعاب الرياضية،

يصلح بها ذلك العيب ، واستدلالا على ذلك يبعثون ببصمة القدم من اخمصها الى والد الولد أو البنت شهريا، وتدل تلك البصمة على درجة التحسن، ويزداد ذلك التحسين الى ان تصبح القدم كالمعتاد . قال لى رئيس تلك المدرسة ان الحاجة الى مدرسى الالعاب الرياضية شديدة جداً فى الولايات المتحدة على وفرتهم ، والناس شديدو الغيرة على تربية أبنائهم وبناتهم تربية بدنية صحية حتى أن مدرس الالعاب هذا يطلبه تلك أهل تلك البلدة مع كثير مثله لمرافقة أبنائهم فى أثناء العطلة الصيفية فى خيامهم المضروبة فى الخلاء ، وقد بلغ دخله فى صيف سنة ١٩٢٣ ثلاثة آلاف ريال (٦٠٠ جنيه)

أما فى حفلات ال Base Ball حتى فى القرى الصغيرة ، فلست أغالى اذا قلت ان معظم السكان من نساء واطفال ورجال ، يهرعون لمشاهدتها ، رغم رسوم الدخول ، وقد نشر مرات عن عدد من الكشافة فتيان وفتيات قد رحلوا للمسير على اقدامهم ستة اشهر بلا انقطاع موفدين من قبل الفرق والاندية . ولا غرابة اذا بالغ اولئك القوم فى الاحتفاء بالملاكمين والاهتمام بأمرهم ، حتى ان الملاكمة التى قامت بين دمبسي وفربو مساء الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ،والتى طير البرق اخبارها الى مصر ، قامت لها اميركا وقعدت . وقد خيل الى فى ذلك اليوم والناس فى هرج ومرج ان التاريخ يعيد نفسه ، وان الولايات المتحدة هى دولة الرومان بعينها ، لما كانت تقام حفلات الكوليزيوم الشهيرة أيام القياصرة

نفد فى ذلك اليوم ٩٠ الف تذكرة واشتريت ٢٥ الف تذكرة أخرى ،للوقوف فى الخارج ، وقبل البدء بالملاكمة ببضع دقائق أحضروا على عربة تذاكر من فئة ثلاثة ريالات ونصف ريال نفد منها ٣٥٠٠ تذكرة فى خمس دقائق وبلغ دخل الحفلة اكثر من مليون وربع مليون ، وأنير المكان بمصابيح قوتها ٤٠ الف واط ، وكانت السيدات قبل الحرب لا يحضرن الملاكمة ، غير انهن الآن يتزاحمن عليها ، وظل حديث الناس عن تلك الملاكمة دون سواها اسبوعين ، وكذا الجرائد ، وفى اثناء الملاكمة كانت تنقل حركات المتلاكمين بالراديو الى جميع انحاء اميركا ، وبعض اجزاء أوربا تدريجا ، وما أعلنت النتيجة حتى طيرها البرق والراديو والتليفون الى المنازل والملاهى ودور الصور المتحركة . والناس فى الشوارع يرقبونها ، والحماسة منهم

بالغة أشدها ، حتى انى قلت فى ذلك اليوم لا شك أن أولئك الناس مجانين . وقد كنا نبحث مرة مع استاذ الفلسفة فى احدى قاعاتها ، فى موضوع أولئك المتلاكمين وكبار الممثلات والممثلين ، الذين يتناولون ملايين الريالات سنويًا ، حتى ان دخل احدهم فى السنة يعادل اضعاف دخل رئيس الجمهورية ووزرائه ووكلائهم معًا ، وكانت نتيجة البحث أن الديموقراطية تكافىء على الدوام العبقرية ، أيًا كان نوعها ، وأولئك جميعهم عبقريون ، فلا بأس من أن يتناولوا تلك المبالغ الضخمة ، ولم يستغرب أحد هناك عند ماطلب الملاكم دمبسي مقابلة الرئيس كولدج يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٤ وكان هذا عيد ميلاد واشنطون وابواب البيت الابيض موصدة ، وذلك لاهمية الملاكم الكريم . فتح الباب على مصراعيه وحضر الرئيس خصيصًا الى المكتب مع سكرتيره لاستقبال ضيفه

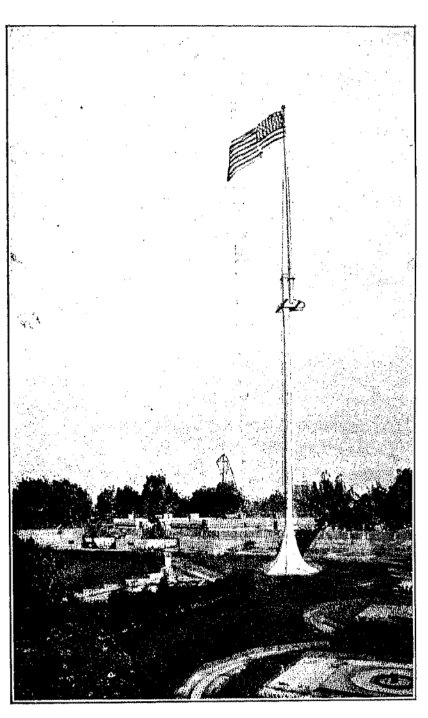
ان وراء هذا الذى يصح أن تسميه جنونًا فى بلادنا فلسفة عميقة. وهى أن العقول الناضجة لا توجد الا فى اجسام قوية ، تربتها خصبة. وان الشهوات والمفاسد وجراثيمها القتالة ، لا تعيش في وسط صحى ، وان هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن الأمم الاسكندناوية لم يصل أبناؤها الى ماهم عليه الآن من طول القامة ، واعتدال العود ، وحسن المنظر ، وقوة السواعد ، وجمال الصورة ، الا بعد ان واصلوا العابهم السويدية السويجية ، الشهيرة ، احقابًا طويلة ، فورثها ابناؤهم وبناتهم عن اسلافهم جيلا بعد جيل

الغرض الرابع

خدمة الوطن

وليس المقصود من هذه العبارة الخدمة العسكرية أو السياسية فقط ، مع أنه قد يكون لهاتين نصيب فيها ، غير أن التعبير عام مطلق ، ويقصد به وضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، والامة فوق الفرد ، والغير فوق النفس . يقصد بذلك أن يعيش الفرد للجميع ، ويشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه فى خدمة بلاده ، فيبذل لها من مجهود وقوة وتفكير على قدر ما ينتفع هو منها فى حياته

يلقن الطفل فى مدارس الولايات المتحدة تاريخ آبائه وأجداده ، وما أتاه أبطالهم



(العَلَم الاميركي يخفق أمام المعاهد العلمية ليل نهار)

(مقابل صفحة ١٤٣)

من جليل لأعمال، وما فاهوا به من خطب حماسية، وحكم سنية، ويشرح له أساتذته الاسباب التى حدت بأسلافهم الى مغادرة أوطانهم فى أوربا، وتجشم أخطار البحار، ويرسمون أمامه صورة ناطقة لما كان يلقاه أولئك القوم من الاضطهاد السياسى والدينى، والاستبداد والتعسف، ويشفعون ذلك فى الأعمال اليدوية بصنع تماثيل من الخزف والخشب وغيرهما، لامثال لنكولن وواشنطون، من عظمائهم المتقدمين، وروزفلت وولسن من المتأخرين. واذا علم القارىء أن طرق التعليم الحديثة، وفنونه وأساليبه البديعة، تمهد للأساتذة السبيل لجعل هذه الدروس عملية محضة، أيقن أن أولئك الأطفال ينقشون فى مخيلاتهم حقيقة تلك البطولة، فتتجسم أمام عيونهم عظمة بلادهم، وتتجمع هذه كلها كلما رأوا علم البلاد يخفق على دار أو متجر أو مصنع أو معهد

كنت لا أعجب كثيراً اذا رأيت علم البلاد خفاقاً ليلا ونهاراً، فوق سارية شاهقة ذاهبة فى الفضاء، أمام كل مدرسة وكلية، وما كان يدهشنى ان أرى التلاميذ يحيون الراية الأميركية تحية عسكرية كل صباح بلا استثناء بحضور أساتذتهم، ويقسمون لها يمين الطاعة مجتمعين كلهم بصوت واحد.

ولكننى كنت أعجب لرؤية العلم الأميركى فى داخل الكنائس الى يمين المنصة المعدة للخطابة والوعظ. ورفع العلم فوق ديار العلم وأماكن العبادة والمتنزهات العمومية الزامى لا يجرؤ على مخالفته أحد.

يؤخذ تلاميذ المدارس الابتدائية على حداثة سنهم، الى أعظم المصانع والمتاجر والمزارع، لا لمجرد الاطلاع والمشاهدة بل لدرس المثابرة والجد والنشاط والعمل والعصامية فى بيوتها. هناك يلقنون كيف ولد فورد مثلا فقيراً ثم نشأ عصامياً فأصبح بجده أغنى رجل فى العالم. هناك يشاهدون بعيونهم كيف يعول فورد مئات الالوف من العمال، ويعمل على اسعادهم، فيقدم لهم سيارات يستخدمونها ومنازل صغيرة يسكنونها، ويدفعون أثمانها أقساطاً يسيرة، ويدفع لأقل عامل منهم ستة ريالات يومياً، ويوزع عليهم فى أثناء العمل الحلوى واللبن والقهوة

يدرس التلاميذ ذلك فيتعلمون كيف تصل العصامية الى بلوغ المعالى وكيف

يؤول انماء الثروة مع الوطنية الصادقة الى خدمة الوطن واسعاد أبنائه . وسرعان ما يشب ودمه ممتزج بالوطنية ، فلا يلبث أن يضع نصب عينيه أن يكون فرداً عاملاً فى بلاده ، رافعًا من قدرها ، بما يأتيه من مجهود فى ميدان الزراعة أو الصناعة أو العلم أو التجارة

يحتم على كل مدرسة ابتدائية كانت أو ثانوية تدريس الطلبة علمًا خاصًا بالواجبات والحقوق الوطنية يطلقون عليه اسم « Civics » وهو يبحث فى علم سياسة الدوله ونظام الحكومة وواجبات الفرد للامة . فتجد البنات والأولاد على علم تام بقوانين المهاجرة ، والعناصر الجنسية المؤلفة منها بلادهم ، وقوانين الانتخابات والنظم الداخلية لحكومة الولايات ، وسلطة رئيس الجمهورية ، ومجلسى النواب والشيوخ ، والدستور وتعديله ، ومزايا الديموقراطية وعيوبها ومقارنتها بما هى عليه فى كبريات الدول ، وغير ذلك . ومما يسترعى الاسماع الاصغاء الى مجادلة حامية بين ثلاثين طالبًا من ذكور واناث فى فرقة من فرق المدارس الابتدائية ، ومعلمة الفرقة واقفة مكتوفة اليدين ، تنظر باسمة الى الكفة الراجحة ، وقد احتدم البحث بين الحزبين الجمهورى والديموقراطى من الطلبة الأطفال

ولاغرابة فى هذا اذا رأينا تلك البلاد على اتساعها تقوم وتقعد فى أبان الانتخابات لمجالس التعليم أو المجالس المحلية أو البلدية أو هيئات السلطة التشريعية ، ولا بدع اذا رأينا أندية الرجال والنساء تقلب رأسًا على عقب استعداداً للاشتراك فى مثل هذه المسائل الماسة بمصالح الجمهور . كنت أزور مرة عائلة فى احدى ضواحى نيويورك واذا بربة المنزل وهى عجوز شمطاء ، تلهث تعبًا عقب رجوعها من انتخابات البلدية . فقلت ما كان أغناك عن هذه المهمة ؟ فأجابت وكيف يمكن ذلك ؟ فاذا لم يكن فى داخلى دافع قوى ، فاننى لا أقوى على تيار الانتقاد من زوجى وأولادى وأعضاء النادى الذى انتمى اليه

ولعل أكبر مظهر من مظاهر الوطنية ، ما تجود به أكف الأغنياء من التبرعات للمنافع العامة ، فلا تكاد تتصفح عدداً من جريدة يومية الا وتقرأ فيها خبراً أو أخباراً عن تلك الهبات . وتقوم الفتيات القائمات بأعمال المكتبة فى تلك المدارس بجمع

قصاصات الجرائد التى تنشر تلك الأخبار وتلصقها على لوحة الاعلانات ، ليطلع عليها الطلبة ، لأنها أيضاً درس من دروس الوطنية العملية

بدأت فى أثناء اقامتى فى نيو يورك ، وقد هالتنى تلك الملايين المتبرع بها ، أن أحتفظ بقصاصات الصحف التى تنشر تلك الهبات ، فلم يمض أشهر معدودة حتى تجمع عندى منها طائفة كبيرة ، فكففت وقد أصبح هذا الأمر عندى عادياً ، وحدث قبل مغادرتى نيو يورك ، أن جزءاً من مكتبة الجامعة نقل الى عمارة فخمة انفق أحد الموسرين على تشييدها خمسة ملايين من الريالات ، وتبرع غيره بثلاثة ملايين ريال لاصلاح مدرسة من مدارس اللاهوت ، وآخر بخمسة ملايين لمدرسة ملحقة بقسم التجارة بالجامعة ، وآخر بجميع ثروته وهى تزيد على ثلاثين مليوناً من الريالات لأبناء السبيل . وشرع فى بناء ناد جديد للسيدات فى حي من أحياء نيو يورك فتبرعت له سيدة بستة ملايين من الريالات ، وتبرع مثر من ولاية كولوراده بثلاثة ملايين ريال تنفق على الفقراء من طلبة أوربا الذين يقصدون الى جامعات أميركا ، وتبرع آخر بتشييد بناء فخم يتخذه أساتذة جامعة كولومبيا نادياً لهم ، وعدد أساتذة هذه الجامعة وأعضاء ادارتها الف ومئتان

وقد ذكرت هذه على سبيل المثال لأنها حدثت قبل مغادرتى لتلك البلاد بقليل

والطالب هناك يعيش فى بيئة كلها دروس فى الوطنية والتضحية وخدمة الغير . كيف لا وهناك يجد عمارة عظيمة يسكنها خمس مئة من زملائه هي هبة من أحد آباء الطلبة . وهناك تمثال عظيم أمام بناء من أبنية الطلبة . وهناك مسرح كبير رفيع العماد ثمين الأثاث من بسط حريرية وستائر بديعة على أحدث منوال لترقية فن التمثيل فى الجامعة ، وهذه كلها هبات جاد بها أولو الفضل . هذا عدا قوائم مطولة مثبتة فى سجلات كل كلية من كليات الجامعة للتبرعات السنوية الدائمة . وهناك الوف أو ملايين من الريالات لارسال الطلبة النجباء الى ايطاليا لدرس الفنون الجميلة ، وكذلك للعشرة الأول من الطلبة الذين يكتبون أحسن مقالات فى إبطال الحروب الخ

أن الاغنياء هناك يشاركون معاهد العلم فى تلقين الطلبة دروساً عملية فى الكرم

والعطاء وخدمة الوطن . فكثيراً ما كانت تصل الى ادارة الجامعة خطابات من أكابر الاغنياء هناك بهذا المعنى : —

لمناسبة عيد (كذا) نتشرف بدعوة خمس مئة من طلبتكم لتناول العشاء بشرط أن يكون نصف هذا العدد من الاجانب من جنسيات متعددة ·

وكثيراً ما كانت المدن أوالقرى التى يقطنها أولئك الاغنياء بعيدة جداً عن نيويورك، فكنا نسافر اليها على نفقتهم،وهناك يفتحون لنا فى دورهم الفخمة ملاعب التنس والبرك الصناعية للسباحة ، ثم نؤخذ الى قاعة كبيرة فيقوم فينا رب الدار خطيباً ، و بعد تناول العشاء على نغمات الموسيقى،تدعو ربة المنزل وكريماتها الطلبة والطالبات الى قاعة الرقص، و يظل هذا العدد الغفير فى ضيافة أولئك الى ما بعد منتصف الليل

أذكر أن غنياً دعا الطلبة مرة الى حفلة موسيقية فى قاعة كارنجى الشهيرة فى نيويورك ، وكان عدد الحضور أكثر من ثلاثة آلاف وخمس مئة ، وعدد أعضاء جوقة الموسيقى خمس مئة ومن المدهش أن ذلك الملهى العظيم هبة من كارنجى لترقية فن الموسيقى

أننى لو أطلقت للقلم العنان لضاقت صفحات الكتاب اذا ما تكلمت عن وصف الاندية المختلطة للطلبة الاجانب ، وما ينفق عليها من الملايين والمبالغ التي تخصص للمكاتب والمتاحف والمعارض والصناعة والفنون الخ . الخ »

أن التلاميذ فى المدارس هناك يشعرون بواجب الوطنية . فقد اعتصب مرة موظفو احدى شركات سكك الحديد ، فقام الطلبة نفسهم بمهام السائقين والمهندسين ، وأعتصب مرة رجال الشرطة فتطوع الطلبة للقيام بأعمال رجال الضبطية

وحدث مرة أن المبلغ المتبرع به لبناء مدرج كبير لحفلات المسابقات في الالعاب الرياضية في مدرسة ثانوية من النوع المعروف هناك باسم "Greek Theatre" لم يكن كافياً لدفع اجرة العمال ، فتطوع الطلبة للقيام بأعمال العمال بأنفسهم فى أثناء العطلة الصيفية ، فتم البناء وكتبت عليه لوحة كبيرة تشير الى هذا العمل المبرور

وهناك أمور أخرى عديدة هى مظهر من مظاهر الوطنية . مثال ذلك أندية خاصة أعضاؤها من السيدات ، غرضها الوحيد منع الناس من القاء الأوراق المهملة فى غير الأماكن المعدة لها ، وأخرى للمحافظة على أرواح العباد من مخاطر السيارات ،

وتعليم الناس احترام القوانين ، ليس خوفاً من طائلة العقاب ، بل قياماً بالواجب وحفظاً لحقوق الغير . وقد أبلغت احدى أعضاء تلك الاندية أن رجلا قذف بجريدة من نافذته الى الشارع فخطر لى أن أحضر محاكمته أمام قاضى المخالفات ، وكان المتهم يونانياً لا يحسن الانكليزية

سأله القاضى كم مضى عليك فى أميركا ، فأجاب سنتان . وما صناعتك ، بائع حلوى ، فوبخه القاضى بعد الحكم عليه بالحبس بضعة أيام وغرامة قدرها عشرون ريالا ، وقال له ألا تحترم البلاد التي تأكل منها خبزك وزبدتك ؟

وكنت أتأثر شديداً من الصور التى كانت تعرضها أندية المحافظة على الارواح في المعاهد وغيرها ، والتى كانت تعلق على الجدران في كل مكان ، وأذكر هنا شيئاً عن واحدة منها :

صورة طفل جميل المنظر يستغيث بالمارة وعيناه مغروقتان بالدموع بحالة تثير العواطف كتب تحتها ما يأتى : كانت ضحايا السيارات فى حى بروكان فقط ٣٠٨ قتلى وعشرة آلاف جريح معظمهم من الصغار ، فأحذر يا أخى ، قد تكون أنت أو عزيز لديك أول من يروح ضحية الاهمال ، نظرة منك واحدة قد تنقذ نفساً عزيزة على الام والاب والوطن . وصورة رجل البوليس ويداه مرفوعتان الى فوق وقد كتب تحتها : مهلا يا هذا . قف مكانك . انظر يمنة ويسرة قبل أن تعبر الطريق ، وتجنب أحلام النهار فقد لا تستيقظ الا وأنت فى المستشفى ، وقد لا تستيقظ أبداً

وفى ختام مقالى أروم أن أكرر القول بأن ما ينفق فى سبيل التعليم فى أميركا أكبر مظهر من مظاهر الوطنية ، فجامعة كولمبيا فى نيويورك يسدد نفقاتها نفر قليل من أعضاء مجلس الاوصياء ، ومع ذلك فان ميزانيتها عن السنة المدرسية الماضية بلغت عشرة ملايين من الريالات ، ولا يدخل فى هذه الميزانية نفقات الابنية الجديدة أو أثمانها . هذا مع العلم بأن طلبة الجامعة لا يدفعون سنوياً أكثر من عشر هذا المبلغ

فهل لأغنيائنا الأفاضل أن يقدموا لطلبة مدارسنا درساً عملياً فى التضحية ، وخدمة الغير ، وحب الوطن ؟

الغرض الخامس

استخدام أوقات الفراغ

من الغريب ان القائمين بأمر التربية كانوا الى عهد قريب يعدون طلاب العلم لتقلد المناصب ومزاولة الحرف فقط ولم يخطر لهم ان الزمن الذى يصرفه المرء عادة فى انجاز اعماله ما هو الاشطر من الحياة وليس الحياة كلها . ومن المحزن ان يبقى كثير من معاهد العلم فى عصرنا الحاضر جاهلا لهذه الحقيقة الناصعة ، فلا يعنى هذه المعاهد سوى تلقين المواد الدراسية ، التى ينتظر ان يستخدمها الطلبة فى مستقبل حياتهم فى ساعات اعمالهم ، ايا كانت المهنة التى بها يحترفون ، ويجهلون ان ساعات العمل عادة لا تتجاوز الثمانى أو التسع ان لم تكن دون ذلك كثيراً ، وان ما يبقى بعد ذلك وهو ضعف هذا العدد تترك الحرية فيه لصاحبه فى استخدامه كيفما شاء وشاءت ميوله واهواؤه ونزعاته . فله أن ينام ثلاث ساعات أو عشرا ، وله أن ينفق أى عدد يريد منها فى لعب الميسر ، أو ركوب الخيل ، أو التأليف ، أو معاقرة بنت الحان ، أو السياحة ، أو مغازلة الحسان ، أو المطالعة ، أو العزف على آلة موسيقية ، أو الجلوس فى القهوات لمشاهدة المارة ،

فات رجال التربية فى ذلك الحين ان الطالب يجب ان يأخذ عدته استعداداً لميدان الحياة ، سواء أكان ذلك فى أوقات العمل أم فى أوقات البطالة ، غير انهم أصبحوا يقولون اليوم ان أوقات الفراغ اكثر دلالة على تربية المرء من أوقات العمل أو بعبارة أخرى أرنى ما تفعل فى أوقات فراغك وأنا أريك من أنت . ذلك لأن المرء يفعل فيها بمحض اختياره ما يصح أن يتخذ عنوانًا لما تنطوى عليه نفسه ومقدار علمه وتربيته.

وعملا بهذا المبدأ ، وضع القائمون بشؤون التعليم فى شمال اوربا وولايات أميركا المتحدة على الخصوص ، مبدأ عامًا لجميع معاهدهم ، وهو وجوب تعليم الناشئة كيف يستخدمون ساعات الفراغ فى أحسن وجوهها ، بتدريبهم على الاتيان بكل شىء مرغوب فيه ، يرجح أن يشتركوا فى عمله في خارج دور اعمالهم

فالمعاهد العلمية هناك شديدة العناية بالمسائل التى تلقن للطلبة فى خارج قاعات الدراسة والتى يطلقون عليهم اسم Extra Gurricula Activities الى درجة يصح ان يقال إنها بلغت حد المغالاة

وقد رأيت فى مدرسة ثانوية في بلدة روشستر من اعمال ولاية نيو يورك سبعين ناديًا ، لا يتجاوز الاعضاء في كل ناد عشرين طالبًا وطالبة . وكل عضو مسؤول عن عمل فى ذلك النادى . ولا يتعرض الاساتذة مطلقًا لأعمال تلك الاندية الا اذا حدث ما يؤدى الى ذلك ، وهو نادر جداً . و يكاد يكون كل من تلك الانديةهيئة منظمة من الهيئات التشريعية .فمالية النادى وميزانيته ودخله ونظمه واجتماعاته وجلساته ،كلها تدعو الى الاستغراب . والطلبة على صغر سنهم يديرون الامور التى يعهد فيهـا اليهم خير ادارة ، ولهم ولع شديد بها ، و يفاخرون باحترام قوانينها والاذعان لقراراتها

واسماء تلك الاندية الدالة على اغراضها الخاصة ، كثيرة متنوعة ، وها كم بعضها على سبيل المثال :—

نادى الـكمنجة ، اللاسلـكى ، السباحة ، السياحة ، البقر ، الخياطة ، الخنازير ، البطاطس ، مشاهدة نيو يورك ، ركوب الخيل ، الخطابة ، التمثيل ، التأليف، الصحافة ، الغناء ، المطالعه ، الرقص . . . .

وقد سبق ان ابنت فى مقالة أخرى ان ميزانية أندية الطلبة فى مدرسة واحدة ثانوية فى مدينة نيويورك تدعى دى وت كلتون مئتا الف ريال (أى اكثر من ٤٠ الف جنيه) عن سنة واحدة

وشرحًا لهذه النظرية أقول ان علماء التربية رأوا بعد طول الاختبار، ان الناس يجرون عادة وراء المسرات فى أوقات فراغهم . فاذا لم تهذب ميولهم فى خلال حياتهم المدرسية ، واذا لم تهيأ لهم أسباب المسرات فى المدارس والكليات ، حادوا عن جادة الصواب، واندفعوا اليها على غير هدى فتسوء العاقبة . يقول أولئك العلماء انه ما دمنا موقنين ان الناس لا بد لهم من ترويح نفوسهم من عناء الاعمال ، فلم لا نضع لمدارسنا نظامًا خاصًّا يكفل الوصول الى هذا الغرض من أسلم طريق ؟

ان الطالب الذى يلقن منذ نشأته كيف يعجب بالموسيقى،أو التصوير، أو السياحة، أو المطالعة، أو مشاهدة الصور المتحركة، لا بد أن يكون أكثر دراية بصرف أوقات فراغه، مما لو أهمل كل هذه . اذكر اننى زرت مرة مدرسة ابتدائية فى بلدة قريبة من وشنطن، واتفق ان التلاميذ جميعهم كانوا فى قاعة المحاضرات التى يجتمعون فيها مرة كل يوم . هناك رأيت المعلمة تلقى عليهم درساً فى السكوت، وتبين لهم وجوب صرف شطر من أوقات الفراغ فى الهدوء والسكينة التامة، فان فيهما ترويحاً للنفس كالذهاب للملاهى . و بعد ذلك أخذت اسطوانة فونوغرافية موضوعها الراحة البشرية (Human Rest) وطلبت منهم الاصغاء، مع ملاحظة تأثير نغماتها في النفس، وما تولده فى نفوس السامعين من الميل الى الهدوء والاخلاد للسكينة

و بهذه المناسبة أقول ان فى معظم الجامعات هناك، يعين للطلبة الداخليين فى البنايات التى يسكنونها، ساعات معلومة كل يوم، يطلق عليها اسم الساعات الصامتة Silent Hours. يحتم فيها على كل طالب السكوت التام . فلا يكلم صديقه الا همساً، ولا يسير الا على أطراف أصابعه، ولا يسمح له بالعزف على البيانو فى غرفة الاستقبال

ومع اشتغال الطلبة بدروسهم هناك، وطول الزمن الذى يصرفونه فى مكاتب الجامعة، فان كل ساعة من أوقات فراغهم تملأ عادة بما تعده الادارة للطلبة من ضروب المسرات . وقد كنت أدهش جداً كلما قلّبت دفترى الذى أدون فيه مواعيد تلك الملاهى، فمن حفلة للموسيقى يحييها النادي المختلط، الى سياحة على يخت فى نهر الهدسون، الى سهرة فى احدى فنادق نيو يورك الكبرى، الى رحلة الى مزرعة أو مدينة أو قرية، الى مشاهدة رواية تمثيلية الخ . وكنت آسف لعدم تمكنى من الاشتراك فى معظم هذه الحفلات لوفرتها وفرة تفوق الحصر

توجهت يوماً مع أكثر من أربعين طالباً الى ولاية نيوجرزى، لزيارة مدرسة ثانوية اشتهرت بكثرة أنديتها وحسن نظامها، وقد هالنا فيها على الاخص نادى الراديو (اللاسلكى) لأن الجهازات التى عنى الطلبة بتركيبها بانفسهم دقيقة جداً، حتى انها تنقل ما يجرى في أقصى مدن أوروبا من الحفلات بكل جلاء، مما جعل للنادى فى تلك الولاية مركزاً ممتازاً . وقد استقبلنا على محطة سكة الحديد نفر من نادى



(هناك لا يتركون صغارهم يصرفون وقت العطلة فى)
(التقاعد بل يحببون اليهم الالعاب الرياضية)

(مقابل صفحة ١٥١)

الاتوموبيلات فى تلك المدرسة. فركبنا جميعًا السيارات المخصصة للنادى، وكان يقود كل سيارة طالب أو طالبة من الاعضاء. وبعد الغذاء على مائدة هيأ طعامها طالبات فى نادى الطبخ ، طفنا بسيارات قادها أعضاء آخرون فى شوارع المدينة ، ثم انحدرنا الى سكك زراعية غاية فى النظافة والاتقان. وكانت تعترضنا تلال عالية فنصعد تارة ونهبط أخرى، والسيارات الى اليمين واليسار منتشرة كالنمل، وهى تعدو بركابها كالبرق الخاطف في طريق مرصوف صقيل لا تشوبه ذرة من الغبار

وتوجه معاهد العلم فى السنوات الاخيرة عناية خاصة الى السياحة كعامل من أكبر العوامل فى استخدام أوقات الفراغ . وقد أصبحت السياحة هناك مكيفًا من من المكيفات. فالجميع همهم زيارة البلدان الاجنبية، ويتضاعف عدد الذين يسافرون الى أوربا والشرق عامًا بعد عام

وحدث قبل مغادرتى لأميركا بأسابيع ، ان أربعة آلاف طالب أرادوا مشاهدة الشمس فى منتصف الليل فى همرفست (شمال أوربا) ، فاتفقوا مع شركات الملاحة على ان يحجزوا لهم في جميع السفن التى تغادر نيويورك قاصدة تلك الجهة السحيقة تذاكر بالدرجة الرابعة ، مع مقدرة كثيرين منهم على النزول فى الدرجتين الأولى والثانية، وذلك تشجيعًا للفقراء منهم ، مراعاة للمبادىء الديمقراطية ، التى تقتضى المساواة فى مثل هذه الحالة . وقد جاءت الاخبار بعد سفرهم بتفصيل واف في صحف أميركا، وهو ان ركاب الدرجة الاولى في تلك البواخر رجوا (أو ارغموا) ربانها ان يفتح للطلبة الابواب، ليحضروا حفلات الموسيقى فى بهو الاستقبال ويتناولوا الشاى فى غرفة المائدة على حساب الركاب، وكان السبب فى ذلك ان أولئك الطلبة من ذكور وأناث ، أخذوا معهم فرقهم الموسيقية والغنائية ، وما كادت السفينة تغادر الميناء حتى عزفت موسيقاهم، وأنشد المغنون منهم ، فكانوا حديث المسافرين وموضوع اعجابهم

ويعزى التفات المربين الى معالجة هذه المسألة الى سببين، أولهما الثورة الصناعية وما عقبها من تأسيس نقابات العمال، وانقاص ساعات العمل ، واستنباط وسائل اللهو والسرور ، اشغالا لساعات البطالة . وثانيهما انتشار الديمقراطيـة ، وما تتطلب من

توفير السعادة للجميع ، فقراء واغنياء على السواء ، وما تلا ذلك من انشاء المكاتب العامة،والاندية والمسارح،ومحال المسرات واللهو ، وكل ما يغشاه الناس في أوقات فراغهم

أليست أوقات الفراغ حلوة لذيذة ؟ فيها يستأنس و يتحرك الوجدان . فيها يجتمع الاصدقاء و يلم شمل العائلة . فيها يردد العابد صلواته، ويخلو المرء بنفسه فيناقشها الحساب . فيها يبث المحب شكواه و يتبادل ابتساماته و يختلس نظراته

أليست أوقات الفراغ خطراً على الفرد والمجموع ؟ فيها أيضاً تقترف الاثام ، وتسفك دماء الابرياء على مذابح المطامع الشخصية . فيها تتحكم العواطف فى العقل فيسعى المرء الى حتفه بظلفه . فيها تدبر المؤامرات والفتن

اذا فلنحسب لها حساباً ، ولنضع لها فى مناهجها ما يعود الصغار استخدامها استخداماًمحموداً . بذلك يشبون كبار النفوس،يعافون القهوات والكسل، و يعشقون من صنوف الاعمال ما يجعل الحياة سعيدة بهجة . فيولع بعضهم بالموسيقي والاخرون بالغناء ، هذا بتربية الطيور وذاك بغرس الزهور ، هذا بالتمثيل أو التأليف والآخر بالرسم أو السياحة أو التصوير ، ويشغف الجميع بالمطالعة واتباع تيار الرقى والمدنية الحديثة [١]

الغرض السادس

الحياة العائلية والعمل على اسعادها

قد لاحظ القراء الاماثل أن علماء التربية وضعوا مناهج الدراسة فى معاهد البلدان الراقية، ايفاء بواحد أو اكثر من أغراضها .وان بعض هذه الأغراض يتعلق بشخص المتعلم، والبعض بعلاقته بغيره ، والبعض الآخر بعلاقته بافراد الاسرة التى يعيش فيها وهو موضوع البحث

ليست المرأة وحدها مسئولة عن المنزل، والعمل على تهيئة وسائل السعادة فيه . فهي والرجل فى هذه المسئولية شريكان . فدروس علم الاجتماع تخصص ابواباً مسهبة

(١) اقرأ كتاب « في أوقات الفراغ » تأليف حضرة الكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك — الناشر)

للبحث في العائلة وعلاقتها بالامة والحياة الزوجية،وهذه تلقن للطلبة الذكور والاناث على السواء . والتلاميذ في مدارس أميركا الابتدائية يعلمون الكثير عن آداب المائدة والزيارة والاستقبال ومعاملة أفراد العائلة بعضهم بعضاً، والواجب على الواحد نحو الآخر. ومن الغريب ان طبخ الطعام وهو مهنة تتعلق بالنساء عادة، من المواد التي يكثر اقبال الطلبة الذكور عليها .فقد بلغ عدد هؤلاء في السنة الفائتة في المدارس العمومية (المجانية الثانوية فقط) مئة الف . وليس غرضهم أن يتخذوا الطبخ صناعة يعيشون منها ، ولكنهم يرومون بذلك درس الاغذية درساً علمياً، فيمكنهم أن يميّزوا غثها من ثمينها ، وجيدها من رديئها ، وما يتفق ومالا يتفق منها مع أصناف أخرى

فكثيراً ما كنت أرافق الطلبة الامريكيين الى المطاعم الامريكية التي يسمونها (Cafeteria) وكانوا يظهرون دهشة عظيمة لانني اتخير أحياناً صنفين من الطعام من نوع واحد،وينصحون لي أن يكون طعامي متنوعاً، شاملا لجميع العناصر التي يحتاج اليها الجسم

لعل الدروس الصحية التي يلقونها عليها لاترمي فقط الى حفظ صحة الافراد، بل الى ما يترتب على ذلك من سعادة العائلة أيضاً . فهناك مدارس تهتم بذلك اهتماماً شديداً، حتى أنها تتدخل في شؤون العائلات التي يوجد فيها طلبتهم . وقد شاهدت مدرسة تدون في تقاريرها التي ترسلها الى أولياء أمور الطلبة ، الدرجة التي يستحقها الطالب في حفظ نوافذ غرفته مفتوحة ليلا، مهما كان البرد شديدا فاذا كان الطالب خارجياً، تتوقف الدرجة على شهادة الوالدة أو الوالد مع شهادة موظف خاص مكلف بمراقبة ذلك ويعدّ هذا الأمر مادة من مواد الدراسة . وذكر لي أحد طلبة الجامعة مرة أنه كان يقفل نوافذ غرفته ليلا متى كان البرد قارساً والريح عاصفة . وكانت أمه تعنفه تعنيفاً شديداً كلما فعل ذلك . ولما اعيتها الحيلة خلعت الزجاج من النوافذ ليلا وارجعته نهاراً . قال وكنت استيقظ في بعض الأيام صباحاً، فأجد اكوام الثلج في الغرفة وفوق فراشي،واستغيث من ذلك بلا جدوى، واليوم أصبحت المسألة عندي عادة فاترك النوافذ مفتوحة مهما اشتد البرد أو غطت رأسي ندف الثلج

وأهم ما يشتغل به البنات في المدارس الابتدائية والثانوية في أميركا التدبير المنزلي .

فمنهن من يقمن باعداد الطعام للطلبة والاساتذة . وغيرهن يعهد اليهن فى ترتيب غرف المائدة أو غرف النوم أو قاعات الاستقبال . وشيد كثير من تلك المعاهد بنايات خاصة فخمة الآثاث والمعدّات كاملة الاستعدادات لهذا الغرض.فمن الطالبات من يتعهدن بادارة شؤون المطبخ وتهيئة الطعام لالوف من الطلبة،ومنهن من يقفن أمام الاجهزة الكهربائية الضخمة المعدة لغسل الملابس وتجفيفها وكيها،ومنهن من يكلف برتق تلك الملابس وتوزيعها على ذويها، وقد رأيت نفراً من البنات فى معهد واحد يعددن ٢٥٠٠ قطعة من الملابس يومياً لطلبة القسم الداخلي،وتجد منهن من يعين لهن عدد من غرف النوم لترتيب أثاثها وتنظيفها وتعليق الرسوم المناسبة على جدرانها وابتكار الاقوال والآيات التى يستحسن وضعها فى أطارات جميلة واسنادها الى مائدة أو جدار

ومن الغريب أننى رأيت مرة فى معهد ، فتاة تعنى شديد العناية بسرير صغير وضع بجانب سرير آخر كبير في وسط الغرفة،ولما تبينته الفيت عروساً صغيرة من المطاط فى حجم طفل في الثالثة من عمره،وقد انحنت عليها الفتاة تمشط شعرها وتنظف اذنيها وأسنانها وعينيها،وتغير ثيابها وتسدل خماراً على وجهها . و يتعين على اخريات نصب الشباك على النوافذ منعاً للذباب . فاذا اكتشفت أحداهن ذبابة في حجرة من الحجر أو في ركن من أركان الغرفة،صاحت منادية زميلاتها فتأتى كل منهن وفى يدها منشفة طويلة،ويتنافسن جميعهن فى اخراج الذبابة،وقد ظننت فى أول عهدى بتلك المدارس أن النار شبت فى المنزل والبنات يستغثن لاطفائها،

وعند نهاية الطالبات من العمل الذى يناط بهن يتوجهن الى غرفة الحمام فيغتسلن ، ويعطى لكل منهن منشفتان،وبعد ذلك تدخل فرقة أخرى من البنات لتنظيف الأحواض وسائر أجهزة الحمام ، وفركها بالمسحوقات ومسحها بالسوائل،وجميع المناشف لغسلها وكيها ووضعها فى أماكنها

وعلاوة على هذه الدروس العملية المحضة، يعطنّ على يد معلمات ماهرات دروساً نظرية فى تدبير المنزل . هذا و يعوزنى الزمن اذا بدأت أذكر شيئاً عن المجهودات

العظيمة التى يبذلونها فى سبيل ترقية الموسيقى ، و بيان لزومها للعائلة، وتر بيــة الاطفال، والاعتناء بهم وتمريضهم وتغذيتهم الخ

ومن المسائل التى يعيرونها جانباً عظيماً من الالتفات الوقاية من الحريق ، وتفرض حكومة الولايات على كل معهد ، أن يدرب ، الطلبة مرة كل اسبوع.سواء أ كان المعهد ابتدائياً أو ثانوياً . على النجاة اذا شبت النار فى منزل . يجد الزائر على كل باب يؤدى الى فناء أو ردهة كلمة Exit (خروج) مكتوبة على الزجاج بحروف واضحة ، ومنارة بالـكهرباء ، مادام الطلبة فى المعهد ، ولايعلم الطلبة موعد التمرين لأن الغرض أخذهم على غرة ، حتى يعتادوا الاستعداد لـكل طارىء وتلافيه . و يدخل مرة كل اسبوع على الاقل أحدموظفى الحكومة فجأة ، أو رئيس المدرسة، و يقرع ناقوساً قرعاً مزعجاً ثلاثاً، وفى مثل لمح البصر،يخرج الطلبة أر بعة أر بعة من حجر الدراسة العديدة، فى كل طابق الى الخارج . وطلب منا مرة أن نشاهد التمرن على الحريق فى مدرسة ثانوية ابتدائية فيها خمسة آلاف طالب، وحالما دق ناقوس الخطر، أخرجنا ساعاتنا و بعد ثلاث دقائق لم يبق فى المكان أحد . وتعزى هذه السرعة الى كثرة التمــرين وتشديد الأوامر ونظام الابواب وكثرتها . فلكل غرفة بابان واحد للدخول والثانى للخروج . ولا يشترك المدرّسون فى هذا التمرين بل يناط كل رئيس فرقة بفرقته

والآن أوجه نظر القارىء الى مسألة دقيقة جداً دار البحث فيها ردها طويلا من الزمان . وكان نتيجة ذلك ادخال علم « تحسين النسل » أو Eugenics فى معظم المدارس ، ولو أن بعض الرجعيين لا يميلون الى تلقين أطفالهم بعض موضوعات فيها

وايضاحاً لهذا بكل ايجاز أقول أولا أن الصبيان والبنات على السواء يجب أن يدرسوا قبل بلوغهم سن الرشد كلما يتعلق بالتناسل من النبات والحيوان والانسان . ولا جناح عليهم من درس أعضاء التناسل وكل ما يتعلق بها ووظائفها فى غير حياء ولا خجل ، وسماع المحاضرات عنها ، ومشاهدة الرسوم والصور بالفانوس السحرى وشرائط السينما . فخير للصبى أو البنت أن يعلم أسرار جسمه وهو صغير ،من أن يجهلها و يظل كذلك غافلا ، حتى يفاجأ عند بلوغه سن الرشد بما يدفعه الى اساءة استعماله واضعاف قواه البدنية والعقلية

ثانياً — يبين للطلبة كيف أن البله وناقصى العقول خطر على الانسانية وعالة عليها، اذا سمح لهم بالزواج فان أولادهم يزيدون العائلة تعساً والامة شقاء . وأميركا اكثر البلدان أخذاً بهذا المبدأ. فمنذ دخولى نيويورك مكثت يومين فى جزيرة ألس حيث يحجز المهاجرون ، وطالبو الدخول لفحصهم والاطلاع على أوراقهم . وهناك أرجع مجلس المهاجرة مثريًا أوربيًا قصد أميركا كسائح، وذلك لأن ملامحة تدل على أنه ناقص العقل وقد يتزوج فى أميركا فيجنى على زوجته وأولاده والبلاد

وفى بعض الولايات فى أميركا تمنع الحكومة زواج المجرمين المعتادى الأجرام والبله والمجانين وذلك باعدام قوى التناسل فيهم

ثالثاً — يلقن الطلبة تحديد النسل بالطرق العلمية الحديثة . وقد كان هذا الأمر يعد الى عهد قريب محرماً . غير أن أزدياد عدد السكان ازدياداً عظيما وتضاعفهم فى كثير من البلدان جعل العلماء يتنبهون لخطورة المسألة فى المستقبل . يقولون أنه خير للفقير أو متوسط الحال أن يقصر أولاده على اثنين أو ثلاثة من أن يثقل كاهلة بجيش جرار منهم ، فيعجز عن تربيتهم والاعتناء بهم ، وتجهيزهم بالمأكل والملبس ويترتب على ذلك مشاكل اجتماعية خطرة ، كمشاكل العمل والعمال والفقر والتشرد والاجرام . ومن يلق نظرة عامة على الجنس البشرى اليوم ، يجد أن كثرة الأطفال لا يعرفها الا الفقراء والمتوسطون،وهؤلاء اذا هذبوا التهذيب الصحيح، وعملوا بهذه النظرية ، أنقذت البلاد من خطر الازدحام وضعف أفراد الأمة بنية وذهناً ، وفتحت أبواب الرزق ، وأصبحت الحياة العائلية أسعد حالا وأسهل منالا

ومن المبادىء الاقتصادية المعروفة أن موارد الثروة مهما اتسعت فى البلاد فانها تتوالى تواليًا حسابيًا،أى أنها تزداد من خمسة مثلا الى ستة الى سبعة الى ثمانية الخ، أما السكان فزيادتهم تتوالى تواليًا هندسيًا،فمن خمسة الى عشرة الى عشرين الى أربعين الى ثمانين الخ

ونظرة واحدة الى سكان القطر المصرى وموارد الثروة فيه تصور لنا الخطر المحدق ببلادنا اذا ترك الحبل على الغارب. والعامل الذى لا يتجاوز دخله عشرة غروش في اليوم يربى فى حظيرته الضيقة من خمسة أطفال الى عشرة أطفال تربية المواشى

الغرض السابع من أغراض التربية
تكوين الأخلاق

بئست الاغراض التي ذكرت برمتها اذا لم يكن على رأسها الاخلاق . فلا خير من هذه كلها اذا لم تكن قائمة على أسس المبادىء السامية والفضائل الصحيحة. أن الغرض الاسمى من التربية رفع نفسية المتعلم الى مستوى جدير به . والعالم فى حاجة شديدة مستمرة الى شعور عام بهاته المبادىء وتلك الفضائل ، وثورة فكرية عاطفية على الدناءة والخسة ، وحب الذات والوشاية بالغير ، والتعدى على حقوق الآخرين، والخيانة، ووضع الصالح الخاص فوق العام

ولكن كيف السبيل الى الوصول الى مثل هذا الغرض . وهل تعليم الاخلاق فى المدارس كسائر العلوم هو الدواء . أو تعليم الدين ؟

كلا . ليس فى هذا الكفاية ولا فى ذاك . فكثير من العلماء ينكر تعليمها كماد دراسية قائمة بذاتها . والمدارس العامة فى أميركا تحرم تعليم الدين فيها تحريماً تاماً . يقولون أن المعلم قد يكون نابغة فى علم الاخلاق وشيطاناً رجيما فى الاخلاق نفسها . وقد يكون ملماً بالصلاة بارعاً فى تلقين الفروض الدينيـة ، ولكنه ماهر في الفسق والخديعة وسائر الرذائل

إنما الاخلاق تكتسب بالقدوة والمثال اكتساباً . تكتسب فى المنزل على صدر الام وركبتى الاب . على المائدة وفى غرفة الاستقبال كما فى المطبخ . الاخلاق تكتسب فى حجرة الدراسة من المعلم أو المعلمة وعلاقتهما بالطلبة وعلاقة الطلبة بعضهم ببعض . ليست دروس الأخلاق معلومات يتلقنها الطلبة كما يتلقنون الجغرافيا أو الحساب

أن هذا النوع من التعليم خارج عن مقتضى الحال عند الطفل وهو ما يسمونه Extrinsic

أن الدروس الأخلاقية جزء لا يتجزأ من جميع مواد الدراسة. فهى تلقن للاطفال مع علم الحساب وفن الرسم وفى ملعب الكرة ومعمل الطبيعة والكيمياء، كما فى قاعة

الموسيقى ، كما فى غرفة الناظر ، وأمام مكتب المدرس ، كما على المائدة أو فى حديقة المدرسة . أن أمانة المعلم وعدله يعلمان الطالب العدل والأمانة . أن صراحته وصدقه وذوقه السليم وحسن معاملته تعلم الناشئين الصراحة والصدق والذوق السليم وحسن المعاملة

لقد قابل العالم مسألة تحريم المسكرات فى أميركا بمزيد الاستغراب . ولكن أتعلمون السر فى ذلك . أجمعت الآراء على أن الكيفية التى كان يدرس بها علم الصحة فى المدارس منذ سنوات عديدة مضت كان لها تأثير كبير فى نفوس الطلبة . أضف الى ذلك أن جميع المعاهد العلميــة لا تقبل بين أساتذتها رجلا أو امرأة من الذين يتعاطون مسكراً ، فلما أن كثر هؤلاء الطلبة واندمجوا فى الحياة العلمية، أثروا فى المجموع فقضوا قضاء مبرماً على المسكرات

والآراء متفقة على أن أبناء العصر الحاضر فى المدارس الابتدائية لا يعرفون عن الخمر شيئاً. وستكون أميركا على أيديهم خالية خلواً تاماً من المسكرات(Perfectly dry)

وبهذه المناسبة أذكر أنه فى أثناء وجودى هناك قامت أميركا وقعدت . من نيويورك الى سان فرنسسكو . ذلك أنه فى شهر ابريل من العام الفائت خطب الدكتور بتلر رئيس جامعة كولمبيا فى نيويورك خطبة فى مدينة أخرى، أنحى فيها باللائمة بلهجة غاية فى الشدة، على سن قانون تحريم الخمور ،وقال أن الحكومة تحاول أن تعلم الناس الاخلاق بالضغط والقوة ووضع القوانين والعقوبات . وبيّن فساد عملها هذا وقال أن الاخلاق الحميدة إذا لم يكن مصدرها القلب فلا خير فيها ،وضرب مثالا لذلك الكذب ، فقال اذا فرض أن الحكومة عاقبت بالغرامة والحبس من ثبتت عليه جريمة الكذب ، فهل الامتناع عن الكذب خوف العقاب يعد جريمة أم لا

وكانت نتيجة هذه الاقوال الفلسفية التى نطق بها كبير كهذا ، قد يرشح لرئاسة الجمهورية رنة عظيمة فى أميركا، حتى أن الجرائد فى ذلك الحين شغلت شطراً كبيراً من أنهارها فى هذا الموضوع، وكان يصل الرئيس بتلر الف خطاب أو اشارة برقيــة يومياً من كل صوب فى الولايات المتحدة. وقام بعض الافراد يطالبون مجلس الاوصياء غير للجامعة باقالة الرئيس المذكور ، حتى لا يكون قدوة سيئة لعشرات الالوف من طلبته . أن جواب مجلس الاوصياء كان بليغاً اذ جاء به ما يأتى : —

«حقيقة اننا لا نوافق الرئيس بتلر على رأيه،ونعتقد أن ابداء هذا الرأى مثال غير حميد العشرات الالوف من الطلبة والطالبات فى جامعتنا غير أن أقالته تضع أمام عيون الطلبة أسوأ مثال فى الأخلاق يقتدى به.وذلك لأن القضاء على حرية الرأى فى نظرنا أشد جرماً من ابطال قانون تحريم الخمور . للرئيس بتلر أن يبدى آراءه الفلسفية كيفما شاء وكما يعتقد،وللطلبة أن يقبلوا رأيه أو يرموا به عرض الحائط.وأول ما يجب عليهم تعلمه ، التفكير واحترام آراء الغير سواء أكانوا بها مؤمنين أم لا »

دخل مرة استاذ حديث العهد بالتدريس على أطفال الغرفة وجعل باكورة أعماله تحذيرهم من أشياء كثيرة وكان مما قاله لهم : اياكم والكذب فاننى أكره الكذب والكذابين . وأتفق أن سمع ذلك رئيس المدرسة فأستشاط غضباً ، وفى نهاية الحصة دعا الاستاذ وقال له : اعلم يا هذا انك تخاطب أطفالا من صفوة الاسر sons & daugnters of gentleme ومن الجهل تحذيرهم من خطأ قبل الوقوع فيه — بل يجب أن يتعلم الطالب الشيء أو يبتعد عنه بمناسبة ، وهذا ما يسمونه Intrinsic

ونذكر كن فى هذه الحادثة بالحكاية التالية: نبه مرة ناظر المدرسة الابتدائية(التى كنت أحد طلبتها في مدينة من مدن مصر) على المدرسين بتحذير التلاميذ من الحلف بلا مسوغ كلما أرادوا الاستدلال على شيء فى حديثهم المعتاد ، وكان نتيجة هذا التنبيه ان أحد المدرسين دخل الفصل،وابتدرنا بهذا الكلام،والله وحياة عينى وذمتى ، اذا سمعت أحداً يحلف أبلغ عنه الناظر

وحدث فى مدينة شيكاغو أنه كانت هناك مباراة عنيفة بين مدرستين ، فى لعبة الكرة المعروفة فى أميركا بلعبة السلة . وفى آخر الحفلة نالت المدرسة الفائزة كأساً من الفضة ذات قيمة كبيرة بين التهليل والتكبير ، وفى اليوم التالى اتضح لرئيس المدرسة الفائزة أن أحد طلبته الذين اشتركوا فى المباراة أكبر سنة مما تخول شروط المباراة، وكان لا يعلم أحد هـذا السر سواه . فبادر تواً الى ارسال معلم الألعاب الرياضية الى رئيس المدرسة الاخرى ومعه خطاب اعتذار وأسف ، أما الكأس التى نالوها فردت الى المدرسة الاخرى لأن شروط اللعب تنص على ذلك . وبهذا أعطى الرئيس درساً فى المعاملة الشريفة أو ما يسمونه هناك Clean sbort

ويوجد فى مدينة فيلادلفيا مدرسة ثانوية ، ترى أن التربية الخلقية لا تقوم الا بتعاون والدى الطلبة وأولياء امورهم ، ولهذا الغرض أنشأت بين مبانيها عمارة فخمة لوالدى الطلبة ، تتوفرفيها من المعدات ووسائل الراحة مايتوفر فى الاندية الكبرى . ولا يرخى المساء سدوله حتى تموج قاعات النادى بالأساتذة وأولياء امورالطلبة، وبذلك يزيد التعارف ، وتكون المجهودات التي تبذل تقوية لأخلاق التلاميذ أشد فعلا وأكثر اثماراً

وعرفت فى احدى الولايات فاضلاً تبرع بمبلغ ٣٤ الف ريال ، للمدرسة التي يشهد لها العارفون ان طلبتها أفضل أخلاقا من طلبة سواها فى الولاية

رأيت في مدينة فلورنسا — من أعمال ايطاليا فى الصيف الماضى — الباعة يقدمون السلع للسياح الانكليز والأميركان (اذا لم يكن مع السياح نقود كافية) من دون أن ينقدوا الثمن ، على أن يرد اليهم عند رجوعهم لبلادهم ، فسألت بعض التجار فى ذلك فأجابونى :

لقد اختبرنا السياح القادمين من تلك البلاد أعواماً كثيرة ، ويسرنا أن نقدم لهم كل ما يقبلون منا ، ونحن على بضاعتنا لآمنون —

فقلت فى نفسى لعمري أن هذا لأكبر معزز لشوقى بك القائل :

وانمــا الامم الاخلاق ما بقيت

التعليم المشترك

بين الجنسين

طرحت مرة على أحد أساتذتنا فى جامعة كاومبيا فى نيويورك هذا السؤال : لِمَ لم نبحث يومًا فى قاعة المحاضرات مسألة التعليم المشترك أسوةً بسائر مسائل التربية ؟ ولِمَ نجد الكتب الامريكية خلوةً من هذا الموضوع على النقيض مما هو فى انجلترا وكثير من ممالك أوروبا ؟ فاطرق الاستاذ مليّاً ونظر الى طلبة الفرقة (وكان عددهم يربو على ثلاثمائة معظمهم من الجنس اللطيف) نظرة ملؤها الدهشة والاستغراب

ثم رفع الاستاذ عينين تقدحان شرراً تحت رأس كبير تجلله خصلُ الشيب الثلجية،وقال بصوت هادىء منخفض« لقد كان هذا البحث يابنيَّ طاليّاً منذ مائة عام، أما اليوم فليس ثمة ما يدعو الى الاشارة اليه »

فاذا حرَّكنا اليراع اليوم للادلاء بآرائنا فى هـــذا الموضوع فاننا انما نبدأ حيث هم انتهوا منذ مائة عام

لم يبق في العالم المتمدين أمة تعتقد بوجوب فصل الاناث عن الذكور فى المدارس الأولية أو الابتدائية . واذا كان هناك اختلاف فى هذا الشأن بين الممالك المختلفة فان هذا الاختلاف فى المدارس الثانوية فقط.ففى اليابان مثلا تربى البنت جنبًا الى جنب الولد فى المدارس الابتـــدائية و الأولية . ثم تنفصل عنه فى الاقسام الثانوية. ثم تنضم اليه مرة أخرى فى الكلية والجامعة . ونظريتهم فى ذلك ان الطلاب فى السنين المحددة للمدارس الثانوية يبلغ منهم النزق والطيش مبلغًا لا تحمد عاقبته فيما اذا التقى الذكور منهم والاناث فى حجر الدراسة المشتركة،بخلاف المدارس الأولية التي يكون فيها الطلبة صغاراً لا تستفزهم عواطف ، ولا تجيش فى صدورهم شهوات ، وبخلاف الكليات والجامعات، فان الطلبة فيها ناضجو العقول ، يتوفر فيهم ضبط النفس وامتلاك العواطف وكبح جماحها . ولعل المانيا وفرنسا وانجلترا اميل الى اتباع

هذا الرأى . وربما كان منشأ هذا الميل قلة العدد النسبى من الطلبة الذين يتاح لهم مواصلة الدرس فى المعاهد الثانوية خصوصاً الاناث منهم . ففى فرنسا يوجد طالب واحد ثانوى فى كل مائة وخمسين من السكان،وفى المانيا طالب فى كل مائة وثلاثين ، وفى انجلترا واحد فى كل مائة . وتتراوح نسبة الاناث من هـذا العدد بين عشرين وثلاثين فى المائة فقط

أما فى اميركا فان فيها طالباً ثانوياً فى كل خمسين من السكان ، أى ان عدد طلبتها فى المدارس الثانوية نحو مليونين ونصف مليون ، منهم مليون ونصف مليون من الاناث . وكذلك الحال تقريباً فى بلاد اسوج والنرويج وهولانده والدانيمركه

ومن الغريب ان جزائر الفلبين ، وسكانها أقل من سكان القطر المصرى عدداً ، يتبعون النظام المشترك فى جميع مدارسهم من الاقسام الأولية والابتدائية والثانوية الى الكليات والجامعات

فعدد الطلبة فى المدارس المجانية الاجبارية فقط بحسب التعداد الأخير(١٩٢٢) مليون ومائة الف،نصفهم من الذكور . وعدد اساتذتهم اربعة عشر الف،معظمهم من السيدات . هذا عدا المدارس الخصوصية التى يكلف فيها الطلبة بدفع أجور التعليم ، وعدد اساتذتهم الف وثلاثمائة ، معظمهم ايضاً من النساء . هـذا ويوجد فى جامعة واحدة فيها خمسة آلاف طالب نصفهم ايضاً من الاناث

كذلك الحال فى بورت ريكو التى آلت الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ ، فان عدد سكانها لا يربو كثيراً عن مليون نسمة.ومع ذلك فان بها مائة الف طالبة وبجانبهن مئة الف طالب . كذلك جزائر الهواى ، تلك الجزر السحيقة الواقعة فى عرض المحيط الهادى، فان التعليم فيها مجانى اجبارى مشترك لكل طالب وطالبة بين سن السادسة والسابعة عشرة

ولا يقصد بالتعليم المشترك أن تتلقى البنت والصبي كل مواد الدراسة معاً . فان هناك اعمالا يقوم بها الطلبة الذكور منفردين،كالاعمال اليدويه التى يستعاض بها عند البنات بالتطريز والخيـاطة والصناعات الخاصـة بالشعر والاظافر الى غير ذلك ، وكالدروس الجنسية أو التناسليـة فانـ كل ما يتعلق بهـا من شرح فيسيولوجى

وما يشترط فى المتزوجين،وواجبات الزوجية، وتحسين النسل، وتحديد النسل بالطرق العلمية الحديثة،كل ذلك يتلقاه كل من الجنسين منفرداً .بخلاف سائر مواد الدراسة المعروفة وبعض الاعمال اليدويه كصناعة الخزف والكتابة على الآلات الكاتبة . ولو ان بعض الذكور فى اميركا مثلا يتعلمون الطهو مع البنات، وبعض البنات يتعلمن التجارة والطباعة مع الصبيان . و بعبارة أخرى فى النظام المشترك مهما فصل البنات عن الصبيان،فانهم يجتمعون فى معظم المواد الأخرى،على المائدة،كما يجتمعون فى قاعة الرقص

لست فقط اعتقد بوجوب تعليم الصبي والبنت في معهد واحد خصوصاً فى المدارس الأولية ، بل أعتقد ايضاً ان فى فصلهما ضرراً جسيما عليهما وعلى الأمة

وارجو المعذرة اذا أشرت الى شيء عن التربية المشتركة فى غير المدارس الأولية كما شاهدتها فى اميركا ، فانما أردت ان أبين الحالة التى وصلوا اليها بعد اتباع هذا النظام وقد بدأوا فيه بالتعليم الاولى

أولا لقد ولدت البنت فى الاسرة بجانب الصبي ، ومعه درجت و بصحبته قضت الطفولة لعباً ومزاحاً ، ورغم ما طبعا عليه من تباين فى الخلقة والخلق ، من ضعف وقوة ، ولين عريكة وشدة بأس ، ورقه وخشونة ، ودعة و بطش ، ومرونة وصلابة . فقد تآلفا وتآخيا وتحابا . فظلا يتناجيان و يتداعبان، و يتماسكان و يستبقان، فهل من الحكمة فى شيء ان تقف المدرسة حائلا كثيفاً بين ذينك الصنوين ، وتصبح الواحدة فى منعزل عن الأخرى بهذه المفاجأة الغريبة ؟ الا يولد هذا التفريق وسواساً فى صدريهما ؟ يتساءل الواحد منهما سراً عن سبب هذا فيدرك ان هناك ما يدعو الى التباعد ، وان أحد الجنسين خطر على الآخر . وهنا تأخذ تلك العادة المذمومة فى التغلغل فى دم البنت فتنظر الى رفيقها بعين الحذر والريبة ، وتخالجها الشكوك ويخيل لها انه واقف لها بالمرصاد يتحفز لافتراسها اذا ما امكنته الفرص ، و ينظر اليها الولد بدوره كمخلوق ضعيف حبس فى قفص المدرسة الأخرى ، حفظاً لحياته وصوناً لعرضه

ثانياً - ان التفريق بين الجنسين فى المدارس الأوليه خطر عليهما اذا ما التقيا فى الخارج . ان الولد الذى يجلس بجانب البنت الى نهاية السنة الأخيرة من التعليم الأولى يألف عشرة الجنس اللطيف وتصبح رؤيته اياهن ومحادثتهن أمراً عادياً

كرؤيته زملاءه من الجنس النشيط ومحادثته أيام . أما اذا فصل الجنسان فان الولد اذا فوجيء وهو بالغ سن الحلم بمشاهدة الفتاة ، أو اضطر الى مخاطبتها لسبب من الاسباب ، نفرت هي منه أولا وجفلت ، ونظر هو اليها بالتالى بعين السوء فى الغالب . فأما ان يفترقا على جفاء ، و يتباعدا على عداء ، أو يجتمعا على رذيلة ، و يفكرا فى غير طهر وتعفف

ألا تجد تلك الحقيقة ناصعة اذا قارنا طلبة مدارسنا بين سن الرابعة عشرة والعشرين على الأخص بامثالهم فى اميركا وأوربا ؟ بينما اكتب هذه السطور اذكر مدرسة ابتدائية فى نيويورك عدد تلاميذها وتلميذاتها اربعة آلاف . وقفت مع زملائى من طلبة الجامعة مع رئيس المدرسة اراقب انتقال التلاميذ من غرفة الى غرفة فى نهاية الحصة . فانتحينا مكاناً قصياً منهم ، وقد أشار الرئيس الى الزحام فى الطرقات ، وقال إن كل واحدة منها أشد احتشاداً من اكبر شارع فى اشهر مدن العالم . غير ان دهشتى من الزحام لم تبلغ منى ما بلغه منظر البنات والصبيان وهم يسيرون بغير كلفة ، الفتى يتأبط ذراع الفتاة والجميع يتحادثون و يتجاذبون و يتخاطفون أمام اساتذتهم ، وكأنهم كلهم من الذكور أو كلهم من الاناث

سمعت مرة معلمة تقول لتلاميذ الغرفة ان مقاعد الطلبة كانت تصنع الى عهد قريب كلها مزدوجة ، أما اليوم فقد اصبح هذا النوع منها أثراً بعد عين، فقد استبدلت بالمقاعد الفردية التى هى أجمل منظراً واكثر راحة للطلبة . وما كادت تأتى على آخر العبارة حتى رفع صبى فى الثانية أو الثالثة عشرة من عمره يده مستأذناً فى الكلام فقال انى أوثر المقاعد المزدوجة ياسيدتى .

ولماذا ؟ لأنها تمكننى من الجلوس بجانب فتاة جنباً الى جنب . فضحكت المعلمة وشاركها فى ذلك البنات والصبيان

إن فى هذا من سلامة القلب ، وحمل القول على المحمل الحسن ، ما يولد فى الجنسين احتراماً متبادلا وثقة واخلاصاً وعزة نفس . ان فى وجودهما معاً وتفكيرهما معاً ولعبهما ودرسهما فلسفة عميقة . وليس ابلغ تعبيراً لهذه الفلسفة من العيشة الفطرية

الطبيعية ، عيشة الطيور وفراخها فى الاحراش وفوق آرائك الأشجار . ومالى أذهب بكم بعيداً وراء الحقيقة تارة فى أمريكا وأوربا ووراء الخيال أخرى فى الغابات والادغال. هلموا معى الى قرية من قرى بلادنا المصرية . الا يجتمع الاطفال فى سن تلاميذ المدارس الاولية وفوق ذلك فى الطرقات والازقة والخلوات معاً ؟ وما النتيجة ؟ اليسوا هم اكثر تأدباً وأبسط خلقاً من أمثالهم فى المدن ؟

ثالثاً — أن التعليم المشترك يهذب الاخلاق ويلطف الطباع . ان الصبى مهما بلغ من الفظاظة والخسة لا يجرؤ على التلفظ امام البنات فى فرقته بما يستصوب ذكره أمام أفراد جنسه . وفضلا عن ان هـذه غريزة في المرء فان هذه الغريزة تتهذب وتقوى بارشاد الاساتذة ، ومجرد الوجود في وسط من الذكور والاناث . وغير خاف ان البنت بطبيعتها (مهما كانت البيئة التى نشأت فيهـا) رقيقة الاحساس دقيقة الشعور ، سليمة الذوق ، سريعة الخاطر . ولا بد ان يكتسب الصبى شيئاً منها اذا ما اتيح له البقاء بجانبها في حجرة الدراسة

كما ان البنت تكتسب منه صفات أخرى طبع هو عليها ، وحرمت هى منها ، كالشجاعة الأدبية والصبر والتأنى والتؤدة . ودليلنا على ذلك النشء في بلادنا المصرية مثلا ومقابلته بمثله في اميركا واوربا . الغالب فى الذكور من طلبة مدارسنا الميل الى العناد وصلابة الرأى والتهيج والخشونة وعدم احترام الغير . وبعكس ذلك الاميركى فى سنه فانك تجده لين الجانب هادىء الطباع رقيق الاحساس خجولا حييا. ولا يختلف اثنان ان فى هذه كلها صفات تستحب في الاطفال وتلاميذ المدارس، لأنها وان كانت اقرب الى صفات الاناث منها للرجال ، فان التلميذ فى هذه السن احوج اليها فى تلقن دروسه واصغائه للنصائح ، والاذعان والطاعة ومراعاة الغير خصوصاً ممّن هم اكبر منه سناً

أما البنت فى مدارسنا فيغلب عليهـا المبالغة فى الخجل والحياء والسكون الى ما يصح ان يسمى جبناً . فاذا ما خاطبتها ، ولو كنت لها عماً أو خالا ، شردت منك أو خجلت ، وأنت تحسب ذلك منها حياء . واذا ما سبب لها أحد أذى أو أساءها بسوء طوت عليه ضلوعها . وربما تكرر ذلك فعاد بضرر عليها . وتشب فيها صفات

الجبن والخبل والخيبة في ابتكار الحيلة . فكم نشاهد مثلا فى مركبات الترام وأمام المخازن التجارية رجالا ممن سفلت مبادئهم ، يضايقون السيدات، ويعاكسون الفتيات بألفاظ بذيئة، وأقوال شائنة ، واعمال معيبة . وهى لا تجرؤ على الاستغاثة برجال البوليس أو أحد المارة ولو كان زوجها . فيظن الرائى انها راضية بتحكك الغير بها راغبة فيه . وهى مسكينة جبانة لا تقوى على الدفاع عن نفسها باسهل الوسائل .

قارن هذه الحالة التى يؤسف لها بالفتاة أو السيدة الامريكية . تجد حياء الى حد. وخجلا يستحب . وسرعان ما تبدى من ضروب الشجاعة الادبية والدفاع عن نفسها اذا ما تصدى لها أحد . ولا تلبث ان تعود الميـاه الى مجاريها فيترقرق الحياء فى وجهها مرة أخرى . ولا يسعك الا الاعجاب بما انطوت عليه جوانبها من الصراحة فى القول ، والسرعة فى الاجابة ، والشجاعة فى ابداء آرائها ، والمطالبة بحقوقها ، مع الرقة والمجاملة والذوق . أو بعبارة أخرى ما يستحب من الصفات فى الرجال مزينًا ومنمقًا بما يشتمل من الصفات فى النساء

شاهدت مرة فى ولاية فرجينا معهداً كبيراً في حي يقطنه عمال فقراء . وكان عدد الطلاب فيه يربو على اربعة آلاف من ذكور واناث، ونظراً لكثرة الاعمال اليدوية والصناعات فى ذلك المعهد كان الصبيان يتلقون دروسهم فى حجر غير حجر البنات. ولكنى لاحظت اثناء تناول طعام الغذاء نظاماً آخر . شاهدت مئات من الموائد ممدودة ، وقد جلس على كل مائدة منهـا خليط من الجنسين بشرط ان يجلس ولد وبجانبه بنت ، ووقف نفر من البنات يشتغلن بطهو الطعام واعداده يعاونهن عدد من الصبيان

فسألت الرئيس عن الجمع بين الجنسين فى غرفة المائدة والتفريق بينهما فى غرف الدراسة فاجابنى قائلا . ان نظام معهدنا خاص فلا يتسنى توفير النظام المشترك وإلا لما تردد لحظة واحدة في العمل به . أما فى غرفة المائدة فاننا ننتهز الفرصة لايجادهما معاً، لأننا معشر الامريكيين نعتقد ان حديث المائدة من وسائل التربية فيجب العناية به . ويلزم ان يكون طليا فكهًا جذابًا . ولا يتسنى ذلك الا بمراعاة الآداب ، وهــذا الأخير لا يتوفر بأكمل وجوهه الا بوجود البنات والصبيان معاً . فمن الآداب المتفق

عليها فى بلادنا ان الولد أو الرجل لا يعد محترماً مكرماً أو Gentleman ما لم يبالغ في احترام الجنس اللطيف والاحتراس فى القول ، ووزن العبارات قبل التفوه بها . أضف الى ذلك ان الولد يأنس عادة الى البنت ، وهى كذلك تسكن نفسها اليه . لاحظت ايضاً ان الاساتذة لا يراقبون ذلك الجيش العرمرم اثناء المائدة فسألت الرئيس . اذا حدث ان احد الطلبة اخل بآداب المائدة فكيف يصل ذلك الى ادارة المعهد ؟ فأجاب ، هذا لا يكاد يحدث بالمرة. غير ان العادة ان يخرجه الطلبة الذكور من تلقاء انفسهم لانهم وحدهم مسئولون عن ذلك . وقد حدث مرة ان حكى طالب ثانوى حكاية عدها زملاؤه مخالفة للآداب . فعقد فوراً مجلس الطلبة لمحاكمته وجاء قرارهم بأغلبية مطلقة قاضياً بابعاده من ذلك المعهد ومن جميع معاهد الولاية التى هو أحد افرادها

يقولون ان العمل بالنظام المشترك وضع نواة الاسرة فى حجرة الدراسة . وهل يشك انسان فى عائلة درج فيها الزوج وزوجه بين جدار معاهد تلك نظمها وتلك مبادئها

وقد كتبت ادارة جامعة تكساس اخيراً تقريراً قالت فيه ادارتها انها تفاخر بخريجيها من شبان وشابات فانه بين مئات المتزوجين والمتزوجات منهم لم يحدث سوى قضية طلاق واحدة . وقد انشئت هذه الجامعة سنة ١٨٦٦ وقد عزت الادارة هذه النتيجة الباهرة الى التعليم المشترك الذى بدىء به فى جامعتهم منذ تأسيسها

كتب مرة المؤرخ الانجليزى المعروف H.G. Wells يندد بنظام التعليم المشترك فى المدارس الثانوية،فانبرت له فتاة انجليزية صرفت سنتين فى جامعات اميركا وردت عليه بمقالة في جريدة اسبوعية ، شديدة اللهجة جعلت عنوانها . اسمعن يابنات انجلترا ، قالت فيها : حتام السكوت على هـذه البدع والاباطيل ؟ أيظل أولئك الرجعيون يخيفوننا بتلك الاشباح الوهمية زوراً و بهتاناً وكذباً وتضليلا ؟ انهم لا يرومون ان تنزل الفتـاة الانجليزية الى ميدان الدراسة الثانوية مطلقاً ، فينذرونها بالويل اذا ما جلست بجانب الولد فى معاهدها . وهى حجة واهية يرمون بها الى حرمانها منها حرماناً تاماً،لانهم لايضعون فى ميزانيتهم للمعارف ما يكفى لتعليم بنات العامة،فلا تتاقى

العلوم الثانوية سوى بنات الارستقراط فى مدارس للبنات خاصة ، باهظة الأجور . استيقظى يافتاة انجلترا فقد تقدمتك الفتاة الامريكية بمراحل ، واوسعت الى التعليم الثانوى والعالى خطاها.فاياك ان تغفلى عن المطالبة بحقوقك . وبهذه العبارات الشديدة اخذت تستهوى بنات جنسها وتستغيث بالرأى العام،ولا غرابة اذا اتجه تيار الافكار هناك صوب التعليم المشترك فى جميع اطواره

ان من يزور جامعة من جامعات اميركا الكبرى تأخذه الدهشة ويعلم سر تقدم تلك البلاد اذا ما ترقب النهضة النسائية فيها . ان فى جامعة واحدة فى نيويورك فى جميع اقسامها النهارية والليلية اكثر من عشرين الف بنت وسيدة ، منهن الفان وخمسمائة فى قسم المعلمين.ولا أغالى اذا قلت ان قسم الصحافة فى تلك الجامعة كله من الجنس اللطيف وبعبارة أخرى ان اكثر من ٥٥ في المائة من جميع الطلبة من البنات. ويكفى ان يقال ان فى مدينة نيويورك وحدها اليوم اكثر من عشرين الف سيدة يشتغلن بالتعليم وان فى الولايات المتحدة اليوم فى المدارس الاجبارية المجانية عشرة ملايين من البنات . من هذا العدد نصف مليون بنت فى مدارس نيويورك المدينة

ولسنا نتوقع ان نثب وثبة واحدة فى بلادنا العزيزة فتجارى أمم الغرب فى هذا المضمار . غير انه يجب ان نولى وجوهنا شطره خطوة لخطوة . فنبدأ بالمدارس الأولية. وهى تجربة قد نلاقى فيها مشقة وعناء كسائر المشروعات المستحدثة . فاذا ما مهدت لنا السبل وخضعت لنا المصاعب انتقلنا خطوة اخرى . ففضلا عن الفوائد الاجتماعية التى ذكرت ، فان فى هذا النظام اقتصاداً فى المال والجهد . ومهما كبونا فى هذه التجربة ، فان هذه الكبوات خير مرشد لنا ومعلم . فمن سار على الدرب وصل



(المؤلف فى زيّـه العلمي على سلم مكتبة جامعة)
(كولومبيا فى نيويورك)

(مقابل صفحة ١٦٨)

التعليم الاجبارى

وكيف يعالجون مشاكله

إبنت فى مواطن كثيرة من مذكراتى أن التعليم فى أميركا الزامى مجانى الى سن معلومة ، تتراوح بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة . أى أن الرجل يستطيع أن يربى أولاده من ذكور وأناث بغير مقابل فى المدارس الابتدائية (وعدد سنيها الدراسية ثمان) والثانوية (وعدد سنيها أربع)

وكل ولاية من ولايات أميركا وعددها تسع وأربعون ، مستقلة تمام الاستقلال فى دائرة مدارسها عن الولايات الأخرى ، كما هى الحال فى التشريع والقضاء والضبط والربط والصحة والتنظيم ، ولكل منها مصلحة كبيرة للتعليم ، أشبه بوزارة المعارف فى بلادنا ، يرأسها مدير للتعليم ، يعاونه مراقبون وأساتذة ومساعدون .

والمراقبون فى أميركا يقابلهم فى مصر المفتشون ، غير أنهم هناك يمقتون كلمة « مفتش » لأنها تُشعر بضَعَة فى جانب الأساتذة ، ولذا يطلقون عليه اسم «مراقب» وقد ذهبت بعض الولايات أكثر من ذلك ، فاطلقت عليه اسم « مساعد المدرس » (Helping Teacher)

وكما أن معظم الأساتذة فى المدارس الابتدائية والثانوية من الجنس اللطيف ، فكذلك وظيفة المراقب فى أيدى السيدات ، وفى بعض الولايات تجد مدير التعليم نفسه Superintendent of Education من الجنس اللطيف ، ووظيفة مدير التعليم من الوظائف الخطيرة ، التى لا تمنح الا لمن اكتسبوا خبرة واسعة ، وحنكة ودراية وصيتاً حسناً ، ولذا يكون تعيينه فى الغالب بالانتخاب ، كأنه رئيس جمهورية . وقد يبلغ مرتبه السنوى فى بعض الولايات ١٨ الف ريال أى نحو أربعة الآف جنيه .

وتختلف كل ولاية عن الأخرى فى عدد مدارسها واساتذتها ، ومنزلتها العلمية ، وحسن أثاث معاهدها ، وفخامة بناياتها ، ودقة النظام فيها ، وما ينفق على كل طالب من طلبتها ، ومتوسط مرتبات الأساتذة ، وما شاكل ذلك

والمنافسة بين الولايات شديدة جداً ، فلا يمضى عام حتى تقرأ فى الجرائد

والمجلات والنشرات التى لا عداد لها ، احصائيات وافية ممتعة عن مالية التعليم ، وما يخص الطالب منها سنويًا ، ونسبة عدد الاساتذة الى الطلبة ، والسن المحدد للتعليم الأجبارى ومقابلة هذه الأرقام بنظائرها فى الولايات الأخرى

فبينما تجد مرتب مدير التعليم فى ولاية ١٨ الف دولار ، تجده فى ولاية أخرى أربعة الاف فقط ، و بينما تجد ما ينفق على الطالب الواحد فى ولاية ستين ريالاً ، فأذا به ضعف هذا المبلغ فى أخرى ، و بينما يكون راتب مدير التعليم فى احدى الولايات ستة الاف ريال تجد راتب المراقب Superviser فى ولاية أخرى – وهو أقل منه منزلة – ١٥ الف ريال . وهكذا تجد هذه الفروق واضحة فى السيارات التى تصرف لمديرى التعليم ومساعدى المدرسين ، وفى مناهج الدراسة والكتب الدراسية والنظام العام وغير ذلك

والاميركان يفاخرون بتنوع أساليب التعليم فى بلادهم ، وحرية الولايات فى تخير الطرق التى يرونها ملائمة لهم ، والاستمرار فى ادخال التعديل والتبديل والتغيير فيها ، كلما رأوا ذلك نافعًا لهم ، و يعتقدون أن فى تنوع هذه الأساليب والطرق سر نجاحهم ، وأن لهذه المعامل العلمية الكبيرة ، وحقول التجارب المتشعّبة فى جميع ولاياتها ، من المحيط الأطلسى شرقًا الى الهادى غربًا ، يعزى تقدمها

ولا تقتصر هذه الفروق العظيمة ، وذلك التباين الشاسع ، على مسائل التعليم فقط ، بل على جميع المسائل الاجتماعية الأخرى كما سبق فأبنت ، و بهذا التنوع يفتخرون ، و يعيبون الممالك الأخرى التى تجرى الأمور فيها على وتيرة واحدة ، وتتبع سنة ونظامًا واحدًا Standardized ، فيعدم التنافس ، وتختفى التجارب العلمية و يضيق ميدان التفكير ، وتعترى الحياة الاجتماعية الملل والسآمة .

وهنا يتساءل القارىء : ما موارد الثروة المستخدمة للانفاق على الوف المدارس فى كل ولاية لتعليم بنيها و بناتها ؟

وجوابًا على ذلك نقول أنه علاوة على الضرائب المتنوعة التى تضعها حكومة الولاية الواحدة ، على الملاهى المتعددة والمطاعم والفنادق والعقارات ، فأنّ هنالك ضريبة خاصة للتعليم ، يسمونها ضريبة الأربعة فى الالف ، ومعناها ان كل فرد من

السكان مكلف بدفع أربعة جنيهات عن كل الف حنيه مما يمتلك سنويا . وهنـاك مصلحة قائمة بذاتها لجمع هـذه المبالغ . ففى شهر معلوم يتوجه موظف يطلق عليه اسم (حصّار) Assessor الى منزل الشخص ، ويحصر ما به من أثاث ومجوهرات وحلى ، أو ما بمزرعته من بقر وخنازير وأوز ، ثم يقدر لها ثمنا كما يتراآى له . ولصاحب المنزل أن يطعن فى تقديره أمام هيئة معلومة ، فى بحر أيام معلومة ، ثم يلزم صاحب المنزل أو المزرعة فى دفع القيمة المقدرة ، فى ظرف شهر ، فاذا تجاوزه حجز على ما يملك وبيع بيعاً جبرياً ، ولكل ولاية طريقتها الخاصة فى جبى هذة الضريبة .

وعلاوة على ذلك فان الحكومة المركزية فى واشنطون تمد مجالس التعليم بمبالغ طائلة ، متى توفرت لديها شروط خاصّة ، يضاف الى هذا أعانة حكومة الولاية نفسها ، ويضاف الى جميع ذلك أيضاً تبرعات أهل الكرم

غير أن فى التعليم الاجبارى المجانى ، لا يعتمد الاميركان على ما يجود به أغنياؤهم ، بل على ما يدفعه الأهلون تنفيذاً للقوانين الموضوعة ، لأنهم يقولون أن تعليم أبناء الأمة ، بنات وبنين ، من المسائل الحيوية اللازمة ، كتوطيد الأمن العام ، والمحافظة على الأرواح ، والصحة العامة ، والدفاع عن سلامة البـلاد ، والذود عن حياضها ، اذا ما شنّ عليها العدو الغار .

ويقولون تأكيداً لهذه الفكرة ، أن الامة إنما تقوم بتعليم أبنائها ، وتمهيد وسائل التربية لهم ، ليس حباً فى سواد عيونهم ، أو شفقة بذويهم ، بل تخليداً لها ، وخوفاً على ذاتها من الموت والاضمحلال .

وربما لا يدرك القارىء ضخامة الاموال التى تجتمع من الضرائب على اختلاف أنواعها ، ولذا أضع أمامه هذه الارقام الخاصة بالملاهى فقط تمثيلا لما أقول

تتقاضى الحكومة الامريكية عن كل شريط للصور المتحركة خمسة فى المائة من أجرته . وقد بلغ ما تتقاضاه من هذه الضريبة فى سنة١٩٢٢ سنة ملايين من الريالات ولا بد أن تجاوز عشرة ملايين ريال العام الفائت لأن الزيادة فى صنع الشرائط المذكورة عظيمة مطردة ، فقد كانت فى سـنة ١٩٢١ مثلا أربعة ملايين تقريباً أى أن الزيادة فى سنة واحدة كانت ٣٣ فى المائة .

كما أن الحكومة تتقاضى ضريبة أخرى قدرها عشرة فى المائة من ثمن كل تذكرة دخول للملاهى ودور الصور المتحركة ، وقد بلغت هذه الضريبة فى السنة نفسها مئة مليون ريال (أى اكثر من عشرين مليوناً من الجنيهات)

ومن هذا يفهم أن ثمن التذاكر التى بيعت فى ذلك العام ، بلغ الف مليون ريال تقريباً (أو اكثر من مائتى مليون جنيه)

واذا كانت الزيادة بنسبة ما أشرنا اليه في العبارة السالفة ، فان هذا المبلغ لا بد أن وصل الآن ضعف هذا المبلغ على الاقل ، وقد دلت احصائية سنة ١٩٢٢ أن عدد الذين يؤمون المسارح ودور الصور المتحركة من السكان فى أميركا يومياً يتجاوزون ٢٥ مليون نفس ، أى اكثر من خُمس سكانها ، وضعف سكان القطر المصرى

وبهذه المناسبة يجدر بى أن اذكر للقارىء أنه يوجد فى أمريكا اليوم اكثر من عشرين الف دار للصور المتحركة (سينما توغراف) أي أقل من نصف ماقى العالم كله بقليل . ويلى اميركا مباشرة المانيا ، فان بها أربعة الاف تقريباً

ولا غرابة فى ذلك فان عدد الشرائط التى تصنع فى ولايات أميركا المتحدة ، يبلغ تسعين فى المائة مما يصنع فى العالم كله .

وليس لدى أرقام يتبين منها مقدار ما كانت تحصل عليه حكومتنا المصرية من الملاهى ، فيما اذا وفقت الى وضع ضريبة أسوة بأمريكا وأوروبا ، غير أنني لا اكون بعيداً من الصواب ، اذا قلت أن عدد الذين يشاهدون المسارح ودور الصور المتحركة فى بلادنا يومياً لا يتجاوزون واحداً فى كل الفين

هذا مثال واحد لمصدر واحد من المصادر التى قدر بالمال على خزائن التعليم ، التى منها ينفق على أبناء الأمة . ولا شك أن جميع ما ذكرت في هذا العدد لا ينطبق الا على التعليم الاجبارى المجانى ، فى المدارس الابتدائية والثانوية . وما ينفق عليه لا يعد شيئاً بجانب ألوف الملايين من الريالات ، التى تنفق على الجامعات والكليات والمعاهد الفنية والصناعية ، والمدارس الابتدائية والثانوية الخصوصية (أى غير العمومية التى ينفق عليها من مصادر خصوصية) .

***

وقوانين التعليم الاجبارى تطبق وتنفذ بكل دقه فى معظم الولايات ، فقد كنت أسأل رؤساء المدارس الثانوية والابتدائية التى كنت أزورها ، عن عدد المتغيبين من تلاميذها ، فكان يذهلني النتيجة الباهرة التى وصلت اليها حكومة الولايات فى تشديد المراقبة على والدى الطلبة من بنين و بنات .

ففى نيويورك مثلا ، سألت مرة رئيس مدرسة ثانوية عدد طلبتها اثنا عشر ألفاً ، عن عدد المتغيبين منها فى ذلك اليوم ، فكانوا يعدون على الأصابع وسبب تغيبهم المرض . وكان رؤساء تلك المدارس يدهشون لتوجيه هذه الأسئلة اليهم ، لأنهم لا ينتظرون أحداً يتغيب أو يتأخر بغير ما سبب شرعى ، لأن الوالدين مسئولون عن أبنائهم أمام القانون ، والبنت أو الولد الذى يتخلف عن الذهاب لمدرسة يعرض والديه للغرامة أو الحبس أو كلتا العقوبتين

ومما شاهدته بالاختبار فى مصر للأسف أن تغيب الطلبة فى بلادنا فى المدارس الثانوية والابتدائية يومياً كثير جداً ، اذا قسناه بنسبة التغيب فى مدارس أميركا ، ولا أبالغ اذا قلت أن متوسط الذين يتغيبون فى المدارس الثانوية يومياً بعذر و بغير عذر لا يقل عن ثلاثة فى المائة فى المدارس المصرية المنتظمة ، اذا ضربنا صفحاً عن غير المنتظمة .

وليس من السهل تنفيذ هذه القوانين على جميع السكان ، فالفقراء مثلا يميلون الى النزول بأولادهم فى ميادين العمل ، حتى يكونوا عوناً لهم على تحصيل العيش متى بلغوا سنا معلومة.وقد تكون هذه السن دون السن التى يتطلبها قانون التعليم الالزامى

كما أنه يوجد عادة طائفة من ضعاف العقول من الطلبة بطبيعتهم ، لا يتسنى لهم الاستمرار مع الآخرين فى المدارس الثانوية والابتدائية المعتادة ، فيكون بقاؤهم مع زملائهم الى بلوغ السن المحددة للتعليم الالزامى (السادسة عشرة أو السابعة عشرة مثلا) مستحيلا

وفوق ذلك فان هناك طائفة من الطلبة يصعب ارغامهم على البقاء فى المدارس اذا ما بلغوا السابعة عشرة من عمرهم مثلا ، وذلك لأن كثيراً من الفتيات والصبيان

يميلون بالغريزة الى طرق أبواب الرزق ، فضلا عن أن ميادين الحياة فى هذا العمر تكون جذابة شهية ، وحب المكسب يصير شديداً ، والحصول على المال يصبح مرغوباً فيه

والسؤال الذى لا مفر منه هنا هو : كيف تتغلب الحكومة على تذليل هذه المصاعب ، وما يكون موقف مجالس التعليم حيالها ؟

والجواب على هذا يستدعى تفصيلا وتمثيلا : -

فالطلبة الفقراء الذين يحتاج أهلهم الى الاعتماد عليهم فى تحصيل عيشهم بعد سن معلومة ، وأولئك الذين تغريهم زخارف الحياة خارج ابواب المدارس ، فيفرون منها ويولون هاربين الى ميادين الأعمال ، تعالج الحكومة مشكلتهم بوضعهم فى مدارس يسمونها استمرارية (Continuation Schools,) ، وهى تقابل المدارس نصف اليومية التي بدأت وزارة المعارف المصرية تجربتها فى المدارس الأولية ، وفيها يتلقى الطلبة الدروس نصف الوقت ، ويصرفون النصف الآخر فى أعمال خارج المدارس تحت اشراف لجان خاصة معينة من ادارة هذه المدارس

أما الطلبة ضعاف العقول بطبيعتهم ، وهؤلاء لا يتجاوزون عشرة فى المائة من مجموع التلاميذ ، (وهذه النسبة واحدة فى جميع مدارس العالم تقريباً) فيبدأ أولاً بمعالجتهم وهم فى المدارس الابتدائية . ففى كل مدرسة سجلات يدون فيها اسماء الطلبة ومقدار كتلة الذكاء فى كل منهم.ويوجد عادة لكل مدرسة استاذ اختصاصى لفحص التلاميذ وعقد امتحانات الذكاء لهم فى أوائل العام المكتبى . وهناك درجة صغرى مخصوصة اذا لم ينلها الطالب فى امتحان الذكاء (Intelligence Test) عُدَّ دون المعتاد Abnormal

ويوضع الطلبة الذين هم دون المعتاد فى فصول دراسية خاصة ، يقوم بتدريسهم اساتذة معيّنون ، وتُستخدم لتربيتهم وسائل خاصة ، كما أن فى المدارس عينها فصولاً خاصة للتلاميذ ضعاف الابدان يطلق عليها اسم Anemic Classes . فد تكون هذه الفرق فوق سطوح المدارس فى الهواء الطلق ، كما أن هناك فصولاً حرى للتلاميذ الاشقياء خصيصاً delinquent students

والطلبة ضعاف العقول ينقلون من مدارسهم الابتدائية ، فى كثير من الاحايين الى مدارس أخرى صناعية ، أو شبيهة بالصناعية ، وفيها يعلمونهم الاشياء النظرية والعملية التى تناسب مواهبهم وكفاءاتهم الشخصية .

واتماماً للفائدة وتقريباً للأفهام فضّلت أن أصف الايجاز ثلاثة معاهد معيّنة زرتها بنفسى وكتبت تقريراً عنها للاستاذ المختص فى جامعة كلومبيا في نيويورك حتى ترتسم فى مخيلة القارىء العزيز صورة مصغّرة كما يجرى هناك من وسائل التعليم ، تنفيذاً لقوانين التعليم الالزامى ، وعملاً على نجاحها . وأتيانها بالغرض المقصود .

وقد رأيت قبل وصف هذه المعاهد أن أبين بهذه المناسبة كيف كانت تهيأ لنا الفرص لزيادة مدارس ميركا وكلياتها

فرقة الرحلات العلمية

وزيارة المعاهد والكليات

كانت كلية المعلمين بجامعة كلوبيا فى نيويورك تخصص أيام الجمعة من كل اسبوع لزيارة المعاهد العلمية ، من ابتدائية وثانوية وصناعية وفنية وكلية وجامعة،حتى يتسنى للطلبة الاجانب درس نظام التعليم في اميركا ، تحت أشراف أحد أساتذتها،ولم تكن هذه الزيارات القيمة قاصرة على نيويورك وحدها ، بل كانت تتعداها الى عدة ولايات أخرى ، ولذا كنا نضطر أحياناً للتغيب عن سماع المحاضرات فى المواد الاخرى والانقطاع اسبوعاً أو اكثر لزيارة المعاهد على اختلاف انواعها ونظمها.

وكنا أذا حللنا بمعهد كبير مما يحتاج الى درس طويل ، نزلنا ضيوفاً على اصحابه، فكانوا يخلون لنا جناحاً فى أحدى البنايات ، ويعدون لنا الاسرة فى غرف أنيقة بديعة الأثاث مجهزة بالماء الساخن ليلاً نهاراً ، وأدوات الحمام على أحدث طراز ، كأننا فى أفخم الفنادق .

وكنا نتناول الطعام فى غرفة المائدة المعدّة خصوصاً لنا ، وندعى لتناول الشاى فى أندية المعهد الكثيرة المنتشرة فى نطاق الأبنية الواسع المترامى الاطراف ، ونتنزه في قوارب ومما كان يجعل تلك الزيارات طلية جميلة ، أن الطعام الذى كنا نتناوله كان من طهو الفتيات الطالبات فى المعهد الذى كنا نزوره ، كما أن الطالبات أنتسهن هن اللواتى كنا يقمن بخدمتنا على المائده ، وينظفن غرفنا وفراشنا وحماماتنا أثناء وجودنا فى غرف الدراسة ، والطلبة أنفسهم هم الذين كانوا يطوفون بنا على المعامل، وحجر المحاضرات ، والحقول الزراعية ، والمصانع والبنايات،وهم الذين كانوا يقودون السيارات التى تقوم بنقلنا من بناية الى بناية

ولا أنسى ان اقول ان من انفع ما فى هذه الزيارة الاجتماع بالطلبة من ممالك مختلفة . فالطلبة الذين كنت ارافقهم فى الرحلات ، وكان عددهم يتجاوز الاربعين، من ٢٧ أمة مختلفة ، ففيهم الامريكى والانجليزى ، والفرنسى والهندى ، والطليانى

والياباني ، والهولاندي والصيني ، والروسي والتركي الخ ، وكان نصفهم من الجنس اللطيف

كما انني لا أنسى ليلة قضيناها كاملة في باخرة من أفخم البواخر ، في نهر البوتمان، بين واشنطون وهامبتون من أعمــال ولاية فرجنيا ، تناولنا في الباخرة العشاء على مائدتها ، ثم انتقلنا الى بهو كبير للاستقبال حيث كانت الموسيقى تشنّف آذاننا بانغامها الشجية ، فتخترق ألحانها سكون الليل في جوف الفضاء

وكان يحيط ببهو الاستقبال طرقات طويلة ، ممتدة الى مسافات بعيدة ، مكسوّة بالبُسُط الحريرية السميكة ، وقد انتثرت عليها موائد صغيرة جميلة للـكتابة ، وكان من أبدع المناظر ان يشاهد الرائي الطلبة قد جلسوا كل على مائدة ، يسطر على أوراق عليها رسم الباخرة واسمها ، رسائل وكتباً للاصدقاء ، ومنهم من كان يكتب من اليسار الى اليمين ، أو من اليمين الى اليسار ، أو من أعلى الى أسفل

وفي ذلك المحفل المختلط الكبير ، الخالي من كل صبغة رسمية ، أو كلفة ، كانت تتجلّى مظاهر الصداقة في أسمى معانيها ، فكان يأتي كلّ بدفتر مذكراته ، ويطلب من الآخرين كتابة اسمائهم فيه بلغة بلادهم ، حتى يحفظوه تذكاراً عندهم

ولما ان طلع القمر اكتست القبة الزرقاء الصافية الأديم بحلة أنواره الفضية . وانعكس ظل الباخرة في الماء ، وهي تشق ماء النهر شقاً ، فهرع الطلبة مع عدد من المسافرين الآخرين الى سطحها حيث ظلوا يلعبون ويتحادثون ويتسامرون الى الهزيع الأخير من الليل

وأذكر انني قضيت بقية تلك الليلة في تسطير الـكتب الى اصدقائي في مصر متأثراً بما شاهدت من عظمة وجمال وجلال ، فكان يخيل اليّ لما رأيت حولي من آثاث ثمين ، وأنوار بديعـة تعد بالألوف والمئات ، وثريات وموائد ، وطنافس وأصاصيص للزهور ، انني في احدى بواخر البحر الاطلسي ، ولست في باخرة من بواخر الانهار الصغيرة

ولم تكن هذه الزيارات من قبيل الرحلات العلمية المعتادة ، فاننا كنا نكلف

بكتابة تقريرات وافية ، تطبع على الآلة الكاتبة وترفع اسبوعيًا للاستاذ المشرف ، وكانت كل رحلة يقابلها محاضرتان من استاذ الرحلات ، وفى خلال المحاضرة يناقش الطلبة فى ما شاهدوه ، وما سمعوه من خطب رؤساء تلك المعاهد وما وزّع عليهم من مطبوعاتها

ولدى طائفة كبيرة من هذه التقريرات ، يتجاوز عددها الخمسين ، وكلها مكتوبة على الآلة الكاتبة ، ويبلغ عدد صفحات بعضها العشرين ، وكلٌّ منها يتعلق بمعهد يختلف عن سواه من المعاهد التى زرناها ، واننى اذا اقتطفت شيئًا من ثلاثة فقط من هذه التقريرات فانما أرمى بذلك الى الموضوع الذى نحن فى صدده ، وهو كيفية تنفيذ قانون التعليم الالزامى



(طلبة في مدرسة برونكس نصف اليومية يتعلمون الخياطة)

(مقابل صفحة ١٧٩)

مدرسة برونكس نصف اليومية

فى نيويورك

(من تقرير كتبته عقب زيارتها فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣)

لما كانت جل رغائب ديموقراطيـة الولايات المتحدة العظيمة ، تنفيذ قوانين التعليم الالزامى بكل وسيلة ممكنة ، رأى أولو الشأن فيها بعد بحث وتجربة واختبار أن يؤسسوا مدارس نصف يومية ، حتى يتيسر للطلبة فوق سن الرابعة أن يواصلوا دروسهم نصف الوقت ويتلمسون ابواب الرزق فى النصف الآخر

فكثير من الطلبة الفقراء وضعاف الفهم يهجرون المدارس التى لا يلقنون فيها سوى مواد الدراسة المعتادة النظرية ، قبل بلوغ السن المفروضة ، ولهم العذر فى ذلك ، فان كثيرين منهم خلقوا بطبيعتهم ميالين الى أعمـال يدوية أو تجارية ، غير التى تقدم لهم فى مدارسهم

وطالما كان المفكرون يعتقدون ان المدارس الليليّة علاج شاف لدرء هذا النقص، وسد هذا الفراغ

غير أنه وجد بالاختبار أن المدارس الليلية عديمة الفائدة تقريباً . فقد كان متوسط الذين يؤمونها عشرين فى المائة من العدد الذى كان يجب ان يؤمها

فمن الصعوبة بمكان ان يكون التشديد فى الحضور ديدن القائمين بأمرها ، فلا المشرعون ، ولا رجال الضبط ، ولا موظفو المدارس الليلية نفسها ، يستطيعون ان يرغموا الطلبة على المواظبة ليلا ، بعد ان تكون قواهم قد انهكت ،وعزائمهم قد خارت ، فى المصانع والمتاجر وسائر الاعمال نهاراً

غير ان المدارس نصف اليوميـة هى أفضل حل لهذا المشكل ، وصل اليه المفكرون الى اليوم في اميركا

وتنحصر وظيفة هذه المدارس فى المسائل الآتية : —

أولاً — اعداد الطالب للمهنة الصالحة له ، يتوجه أساتذة معينون الى ألوف المصانع والمتاجر فى نيويورك ، وبيدهم اسماء الطلبة الذين يريدون التوظف بها ، والذين يصرفون نصف اليوم فى مدرستهم ، ويفاوضون مديرى هذه المصانع ، أو الشركات أو المخازن التجارية بخصوص الحاق تلاميذهم بالوظائف الخالية ، والاتفاق معهم على المرتب وعدد الساعات تبعاً لسن الطالب ومقدرته على العمل

ومما يخفف عبء هذه المسئولية الشاقة على اولئك الاساتذة ، الاتفاق المبرم بين مجالس التعليم العام واصحاب الشركات والمصالح ، وبمقتضاه يتعاون أولئك مع اساتذة المدارس نصف اليومية على تمهيد السبيل لتلاميذها ، وافادة أولى الشأن فيها عن الوظائف الخالية فى دور أعمالهم ، ومراقبة الطلبة متى أشغلوا تلك الوظائف ، وتوثيق الصلات بينهم وادارة المدرسة ، حتى يشعر الطالب ان المدرسة ودار العمل دارة واحدة

وقد رأيت فى هذه المدرسة طلبة يتقاضون أجوراً من المصنع الذى فيه يشتغلون، حتى عن الساعات التى يقضونها خارج المصنع فى المدرسة ، وذلك لأن مديرى المصنع يعتقدون ان الساعات التى يقضيها الطلبة فى المدرسة ، تزيد فى كفاءتهم ونشاطهم ، وتساعدهم على اداء اعمالهم ، فتحسن نتيجة العمل فى مصانعهم

وعندما يلتحق الطالب بالمدرسة يضعه الاساتذة فى القسم الذى يصلح له ، كقسم الكهرباء أو النجارة أو الاختزال أو مسك الدفاتر الخ بحسب استعداده الشخصى . فقد قال لنا رئيس هذه المدرسة مثلا ان البنت التى تكون أصابعها أقصر من المعتاد ، لا يسمح لها بدخول القسم الذى يعد الفتيات للكتابة على الآلات الكاتبة

ويرسل الطالب فوراً بعد قبوله الى مكتب التوظيف ، وهو أهم الاقسام فى المدرسة ، فبواسطته يتيسر للطلبة التوظف ، وهو الذى ينظر فى أمر الطلبة الذين رفتوا من وظائفهم ، ويناقش أولى الشأن فى اسباب الرفت ، ويبذل قصارى الجهد فى اعادتهم الى وظائفهم ، اذا تيسر ذلك ، وهو الذى يسمع شكاوى الطلبة المهددين بالرفت ، أو بالاستغناء عنهم من الوظائف التى يشغلونها ، وهو الذى يعمل الى اراحة الطلبة الذين يصادفون صعوبة وعناء فى اعمالهم

وفوق ذلك فان مكتب التوظيف يشير على الطلبة الذين لا يتناولون الأجور التي تناسب مقدرتهم على الاستقالة ، ويقدم لهم سواها ، بعد مخابرة اصحاب المصانع

ويتضح من ذلك ان مكتب التوظيف فى المدرسة هو سلسلتها الفقرية ، وعليه وحده يتوقف نجاحها

ثانياً — ارشاد الطالب فى تخير المهنة . قد يوضع الطالب فى قسم غير الذى يصلح له ، وقد يكون ذلك ناتجاً عن خطأ أساتذته فى التقدير ، أو خطأ الطالب نفسه فى تشخيص الميل الطبيعى ، وقد يستدعى الحال الى نقل الطالب من قسم الى آخر بطريق التجربة ، توصلا الى استكشاف مواهبه ، ومعرفة موطن القوة والكفاءة فيه . فكثيراً ما يجد الطلبة من تلقاء أنفسهم وظائف خالية فيلتحقون بها طمعاً فى المال ، ويطلبون من ادارة المدرسة الحاقهم بالقسم الذى يناسب الوظيفة التى يشغلونها

ولكن سرعان ما يتضح للمدرسة عدم صلاحيتهم فينصحون لهم وأولياء أمورهم بالعدول عن رأيهم ودخول أحد الاقسام الأخرى .

وقد شوهد بالاختبار أن كثيراً من الشبان الذين يفشلون فى عمل من الأعمال ، يظهرون نجاحاً باهراً فى غيره . فقدبعثوا مرة بطالب فى جميع أقسام المدرسة ، فكان نصيبه فى كل منها الفشل ،ولما أن يئسوا من ذلك خطر ببالهم أن يلحقوه بقسم الموسيقى ، ولم يمض عليه بضعة شهور حتى ظهر نبوغه الكامن .

وقد قال رئيس المدرسة الذى كان يروى لنا هذه المسألة ، أنه لولا تنوّع الأعمال التى حاولنا طرقها وصولاً الى ما يناسب هذا المسكين ، لظلت مواهبة دفينة لا ينتفع بها أحد ، كاللآلىء لا يتجلى جمالها الاّ بأخراجها من أصدافها وأزلة الرمال والأوساخ التى علقت بها

ثالثاً — التربية الخلقية . أن نزول عشرات الالوف من الغلمان والفتيات فى هذا السن الى ميادين الاعمال مما يعرض أخلاقهم الى اكبر الأخطار ، ولا يخفى أن معظم هؤلاء الطلبة تعوزهم رقابة الوالدين لأنهم فى الغالب فقراء أو يتامى أو عاقين

سلطة والديهم، لذلك كان همّ المدرسة تعيين الأساتذة لمراقبتهم في الخارج، والاتصال برؤسائهم فى دور أعمالهم ، ومساعدتهم بكل وسيلة فعاله حفظاً لأخلاقهم من الفساد

رابعاً — التربية الوطنية . رغم حالة الطلبة الاستثنائية لاتعدم الادارة وسيلة فى تلقينهم مبادىء التربية الوطنية وحضهم على خدمة بلادهم والعمل على رفع شأنها ، وتثقيف أذهانهم فى كل ما يختص بواجباتهم وحقوقهم الوطنية ووجوب الاشتراك فيها

خامساً — التربية البدنية وتوفير الوسائل الصحية من أجهزة للألعاب الرياضية لبحيرات صناعية للعوم والسباحة

و يبلغ عدد طلبة هذه المدرسة أربعة آلاف ، وهم لا يستقرون على حالة واحدة فهم في خروج ودخول مستمرين ، أى أنه كلما قضى التلميذ أو التلميذة السن المحدد غادر المدرسة وحلّ سواه مكانه ، ويقضى جميـع هؤلاء الطلبة شطراً من النهار في المدرسة والشطر الآخر فى دور أعمالهم .

ولا يقتصر التعليم فى هذا المعهـد على تلقينهم الدروس العلمية كاللغة والرياضة بل يتمرنون فوق ذلك على الصناعات التى يشتغلون بها فى الخارج ، وقد شاهدنا معامل الطباعة والحدادة ، والنجارة والسباكة ، والخياطة وأقسام الـكهرباء ، والميكانيكا والاتومبيلات ، والآلات الـكاتبة والاقسام التجارية ، والاقسام الخاصة بالبنات ، كالطهو والتطريز وصنع البرانيط

وترتب ساعات العمل وساعات الدراسة بمعرفة الادارة ، ولـكل طالب سجلّ يحفظ فيه جميع المراسلات والاوراق الخاصةّ به ، وقد تكون هذه الاوراق من رئيس المصنع او من الطبيب او من ولىّ الامر او من قسّيس الكنيسة

وقد رأيت الطلبة فى قسم الطباعة يكلفون بطبع الاشياء التى تفيدهم فى مهنتهم . وفوق ذلك فانهم يعودونهم الابتكار والتفكير فى وضع نماذج وأعمال لم يطرقها أحد . فقد رأيت طالباً يطبع نتيجة سنوية للسنة الجديدة بكيفية لم يطرقها أحد قبله

وشاهدت في غرفة الآلات الـكاتبة خمسين فتاة يتمرنَّ على الـكتابة ، وأمام كل منهنّ آلة ذات مفاتيح بيضاء ، أى غير مبين فوقها الحروف الأبجدية . وكلهنّ



(فتاة تعلّم الطلبة كيف يستعملون الآلة الكاتبة بغير أن ينظروا)
(الى الازرار لأن الحروف غير مكتوبة عليها)

(مقابل صفحة ١٨٢)

موظفات فى مصارف ومخازن تجارية . وتتفاوت أعمارهن بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة كسائر طلبة المدرسة

وقد أذهلنى ما رأيت فى قسم النجارة من دقة الصناعة على صغر سن التلاميذ ولا بد ان يعجب القارىء اذا علم ان بين أولئك الصغار من النجارين من يتناول ثلاثين ريالا فى الاسبوع (أى نحو ٢٥ جنيهًا شهريًا)

وعدد الطلبة الذين يشتغلون فى تصليح الاتومبيلات فى المدرسة كبير جداً ، وكثير منهم يتخذ هذه فوق الحرفة التى يحترف بها ، ويعزى ذلك الى كثرة عدد السيارات فى اميركا والحاجة الشديدة الى اصلاحها وقيادتها

كما ان هناك عدداً كبيراً جداً من طلبة هذه المدرسة يشتغلون فى قسم الكهرباء ، ومعظمهم يشتغلون فى مصلحة التليفونات وشركة اديسون الكهربائية الذائعة الصيت

أما فى قسم التجارة ومسك الدفاتر ، فمعظم الدروس التى يتلقونها عملية محضة ، ففى المدرسة مصرف مالى كبير يقوم بجميع اعماله طلبة هذا القسم أنفسهم

وفى أثناء زيارتنا لهذا القسم سمعنا جدالا عنيفًا ومناقشات حادة فى عمليات مالية متعلقة بالكمبيالات والتحاويل وتظهيرها ، وغيرها من المسائل التي لا ينتظر من طلبة صغار مثلهم البحث فيها

أما الاقسام الخاصة بالبنات فقد عنيت بها المدرسة عناية كبرى ، فعلاوة على الاقسام التجارية ، ومسك الدفاتر ، والاختزال واستخدام الآلات الكاتبة ، التى يمكن ان يشترك فيها البنات مع الطلبة الذكور ، فان المدرسة أعدت لهن أقسامًا خاصة لصنع البرانيط ، والخياطة ، والطهو ، والتدبير المنزلى . والتعليم فيها نظرى وعملى معًا ، وتكلف البنت فى قسم البرانيط بصنع برنيطتين لنفسها واستعمالها ، وفى قسم الطهو يعد البنات طعام الافطار وطعام الغذاء

وقسم التدبير المنزلى يُشغل حيزاً واسعًا من المدرسة . وهو مفروش بالاثاث اللازم لقاعات الاستقبال وحجر النوم والمائدة ، التى تستخدمها الطالبات فى التدرب على الاعمال المنزلية ، كترتيب الاثاث ، ووضع الصور فى أماكنها ، واعداد المائدة ، وتنظيف الأوانى بعد استعمالها ، وتغيير نظام الحجر ، وتجهيز الفراش ، وصقل المرائى

وتشتغل الطالبات فى خارج المدرسة فى مصالح متنوعة ، بمرتبات اسبوعية تتراوح بين عشرة ريالات وسبعة عشر ريالا . وفى أثناء زيارتنا أقسام البنات كان رئيس المدرسة يسأل الطالبات عما يتقاضين من المرتبات ، وكان أقل مرتب ذكر سبعة ريالات فى الاسبوع ، وقد وجد الرئيس ان الفتاة التى تتناول هذا المبلغ الضئيل عمرها ١٤ سنة ولم يمض عليها اكثر من ثلاثة اسابيع فى المدرسة وهى تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة فى مكتب أحد رجال المحاماة

ولم يكن للرئيس علم بذلك ، فشق عليه ان يكون مرتب الفتاة ضئيلا بهذا المقدار ، وفى الحال استدعى أمامنا أحدى موظفات قلم التوظيف ، وطلب اليها ان تبادر بالحاقها بوظيفة أخرى خالية في أحدى المصانع ، بعد مخابرة مكتب المحامى تليفونيا ، اللهم إلا اذا شاء المحامى رفع مرتبها

ولم يفت ادارة هـذا المعهد ان يعدوا لتلاميذهم أنواع المسرات والملاهى والحفلات الادبية وليالى السمر ، فأسسوا أندية ، وخصصوا قاعة كبيرة للمحاضرات الأدبية ، وحفلات الموسيقى ، وجعلوا ليلة كل اسبوع للرقص، تحت أشراف الاساتذة من رجال وسيدات

وبهذه المثابة لم تكن هـذه المدرسة فقط سداً لفراغ أو اتماماً لنقص في قانون التعليم الالزامى ، بل كانت فوق ذلك منقذاً لفتيان وفتيات من نزق الشباب ، وفساد الاخلاق ومخالب الفقر ، وبراثن البطالة والكسل ، فضلا عن كونها معولا قويا لهدم أركان الجهل وتقويض دعائمه



مدرسة « منهاتن » الصناعية للبنات

في مدينة نيويورك

(من تقرير كتب عقب زيارتها فى يوم الجمعه ٢٨ مارس سنة ١٩٢٤)

منهاتن اسم لتلك الجزيرة الكبيرة القائم عليها الشطر الأكبر من مدينة نيويورك ، وهى التى كان يقطنها الهنود الحمر ، سكان أميركا الاصليون ، والتى ابتاعها المهاجرون ، الذين نزحوا عن أوروبا وأتخذوا أميركا وطناً لهم ، بعشرين ريالاً .

وهنا يتساءل المرء : هل كان يخطر ببال أولئك المهاجرين أن تلك الجزيرة الصخرية التى لم يتجاوز ثمنها أربعة جنيهات تسع يوماً من الأيام أضخم بنايات العالم وأفخمها . وتتمخض عن أكبر المشروعات وأوسعها نطاقاً ، وتبعث من جوفها الى قبة السماء مداخن المصانع ، وقباب الكنائس ، وأسلاك الكهرباء ؟

باسم هذه الجزيرة التاريخية سمى القسم الأكبر من مدينة نيويورك وباسمها دعيت مدرسة البنات الصناعية التى نحن فى صددها ، وهى بناية فخمة شاهقة ، تتألف من اثنى عشر طابقاً فوق الأرض وثلاثة طوابق تحتها ، وليس الغرض وصف البناية ، فقد أدرك القارىء فى غير هذا المكان من الكتاب بدائع فن المعمار فى هذه المدينة ، مما لا تعد بناية هذه المدرسة بجانبه شيئاً

غير أن الغرض كما سبق فأبنت ، وضع نموذج آخر للمدارس التى تساعد على تنفيذ قانون التعليم الالزامى ، وتخفف العبء الملقى على عواتق المنوطين بأمر تنفيذه .

وطالبات هذا المعهد وعددهن فوق الألف ، من بيوتات وضيعة فى الغالب ، محدودات الذكاء ، لا يصلحن لتلقى الدروس العلمية المحضة ، ولذا أعد لهن عدد وافر من الصناعات والحرف ، التى تحتاج اليها البلاد ، والتى يتسنى لهن الاشتغال بها تحصيلا للعيش الى أن يوفقن للزواج

ويضاف الى هذه الصناعات دروس فى اللغة والرياضة وعلم الصحة ، وغيرها من المواد التى تساعدهن على الاطلاع على الآراء الحديثة ، فى المؤلفات التى تبحث

فى الصناعات المذكورة ، وتمهد لهن سبيل الاتصال بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، التى ستكون حلقة من حلقاتها فى مستقبل حياتهن

فقد لاحظت مثلاً أن الدروس الحسابية فى قسم البرانيط غيرها فى قسم التطريز ، وأن المفردات التى تمرن الطالبات على تهجئتها فى قسم الخياطة غيرها فى قسم الطهو ، وبعبارة أخرى أن الغرض أن تلم الفتاة بمجموعة الكلمات الشائعة الاستعمال فى دائرتها الصناعية، وتكون قادرة على حل المسائل الحسابية التى تعترضها فيها

وتتلقى جميع الفتيات على السواء مهما كانت الحرف التى يشتغلن بها ، دروساً فى النسيج والأقمشة وأصنافها ، وعلم الصحة ، والتربية البدنية، والرسم الصناعى، والتربية الوطنية ، وقانون العمل .

والفتيات اللواتى لا يتخذن الطهو أو غسل الثياب حرفة لهن ، يكلفن بحضور ساعات معلومة فيها كل أسبوع نظراً لأهميتها فى مرافق الحياة

وبين الأقسام المتعددة المنتشرة فى هذا المعهد الكبير اذكر فقط ما تيسر لى زيارته منها ، وهى : الخياطة بالآلات، تفصيل الثياب ، صناعة البرانيط ، قص الأظافر (Manicuring) ، تزيين الشعر ، مظلات المصابيح (Lamp Shade Making) ، العلب الحريرية ، الزهور والرياش ، أدوات الزينة ، صناعة البرانيط القش بواسطة الالات ، التطريز بالآلات ، الطهو ، غسل الثياب وكيها

وزمن الدراسة فى هذا المعهد سنتان ، ويختلف عن المدرسة نصف النهارية التى سبق وصفها ، فى أنه يحتم بقاء الطالبة كل الزمن ، فى حين أن الأخيرة لا تتطلب من التلميذ سوى نصف الوقت كما يدل عليها اسمها

غير أنه لا يتحتم على الطالبة أن تبقى فى المعهد سنتين كاملتين ، فقد تفرغ من الدروس والأعمال المقررة فى أقل من ذلك ، كما أنها قد تستغرق زمناً أكثر ، فالنظام فيها كما فى كثير من معاهد أميركا ما يسمونه نظام دالتون (Dalton Plan) وملخص هذه الطريقة هو أن يكتب بين الاستاذ والطالب عقد كعقود المعاملات المعتادة يتعهد فيه الطالب أن ينجز العمل الذى أعطاه له الاستاذ فى أسبوعين ويتعهد فيه الاستاذ (طرف ثان) أن يسلم له سواه فى حالة انجازه على ما يرام

ومن الغريب أن كثيراً من مدارس أميركا غير الصناعية أو الفنية – كالابتدائية والثانوية ، تتبع هذا النظام ، فيعطى استاذ الرياضة مثلا الطالب عدة مسائل لحلها فى أسبوعين فى الساعات المقررة للرياضة ، تحت ارشاده واشرافه ، فاذا قام بحلها انتقل معه الى مشارطة أخرى (Contract) وهكذا الى أن ينتهي المقرر

ويفهم من ذلك أن كل طالب يشتغل بنفسه ، وفى هذا من الاعتماد على النفس مالا يخفى . كما أن كلا يعمل على قدر استطاعته وذكائه ، فقد يفرغ أحدهم من المقرر فى ست سنوات ، وآخر فى أربع فقط ، وبعبارة أوضح ينتقل الطالب كل أسبوعين الى « فرقة أخرى » بدلا من كل عام

وقد تتبع هذه الطريقة مع الأطفال ، فهناك مدرسة كبيرة للأطفال تسير على النظام وتدعى جامعة الأطفال . وأول من ابتكر هذه الطريقة سيدة مربية فاضلة لازالت توالى جهودها وتنشر فكرتها ، ليس فى أميركا فقط بل فى أوروبا والشرق الأقصى

وقد ألقت محاضرات عديدة فى اليابان والصين وجزائر الفليبين وانجلترا ، فصادفت طريقتها نجاحاً باهراً ، و يشير رجال التربية اليها فى محاضراتهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم

* * *

وقد هالنى عدد الفتيات اللاتى يشتغلن على آلات الخياطة ، فقد كانت تقودنا أحدى الطالبات ، وهى العادة في كثير من المعاهد هناك ، ولما أن أرشدتنا الى القاعة التى بها هذه الآلات كدنا نكذب ما تراه عيوننا ، فقد شاهدنا اكثر من مائتى بنت بعضهن صغار جداً ، منكبات على مثل هذا العدد من الآت الخياطة ، وكانت القاعة على اتساعها تموج بالثياب على اختلاف ألوانها وتنوّع أصنافها ، وتدوى بأزيز الآلات وحركات الأرجل التى تديرها

وشاهدنا هنا وهناك معلمة تدون ملحوظاتها فى دفتر صغير في يدها ، وتكتب اسماء الطالبات اللاتى لا يجلسن أمام آلة الخياطة جلسة صحيّة ، وقد تضطر الادارة الى عدم منح الدبلوم للفتاة التى لا تراعى قواعد الصحة فى الجلوس الى أن تمكث فى المعهد فترة أخرى تعتاد فيها المحافظة على ذلك .

ويخصص الطابق الأول برمته لعرض أعمال البنات فى التطريز، وجميع ما فيه مقدم للبيع لمن يشاء، وله أبواب في الشوارع المحيطة بالمدرسة تبيح الدخول للجميع بغير تفريق

وقد أعجبنى روح الطالبات فى هذا المعهد اكثر من أعجابي بكل شيء آخر. فبناء واحد يتألف من أثنى عشر طابقًا، يؤمه اكثر من ألف فتاة، تخيم عليه السكينة ويسود فيه النظام والهدوء علي ما شاهدت، مما يدلّ على حسن الادارة واحكام وتدقيق فى الترتيب.

كما أن انكباب الطالبات على أعمالهنَّ، واهتمام كل منهن فى انجاز ما لديها من الأعمال فى أقرب فرصة ممكنة، مما يشهد لتلك الطريقة الحديثة – طريقة العقود أو المشارطات – بالتفوق على سواها

وقد يحار القارىء كيف أن فتاة تصرف سنتين من عمرها في درس فن تزيين الشعر وتقاليم الأظافر وتنظيفها، غير أن المطلع على الحياة هناك يعلم اهتمام النساء على الأخص بالتردد على حوانيت الحلاقين، وشغفهن بالمحافظة على شعورهن واتباع الازياء الحديثة فيما يختص بها

ويوزع على الطالبات كتب ومؤلفات حديثة تبحث فى الصناعات التى يشتغلن بها، ويكلفن بمطالعتها وكتابة مذكرات عما يرون نافعًا لهنَّ فيها، ويرفعن بذلك للأستاذ تقريراً عنها، ثم يستعملن هذه المعلومات فى تحسين صناعاتهن.

وتوجد فى الطابق الثانى قاعة للمائدة فسيحة، صفت فيها موائد مستطيلة مصقولة ومقاعد جميلة، بترتيب يسترعى الانظار، وطعام الغذاء كله من الأصناف التى تجهزها الطالبات فى قسم الطهو. ولما أن حان وقت الغذاء وهممنا بالانصراف، بقى بعضنا لتناول الغذاء على مائدة الطالبات

وفى الحال قدمت لنا فتيات قائمة المأكولات، وقد كتبت أثمانها وهى رخيصة جداً بالنسبة الى مثلها فى المطاعم المعتادة وقامت الطالبات بخدمتنا، وقدّمن لنا نوعًا من الحلوى وآخر من « الدندرمة » بغير مقابل، وكان الأكل شهيًا والطعام متقنًا

والخدمة على ما يرام ، وفى نهاية الأكل أخذ الطالبات يسألننا عن الممالك المختلفة التى ننتمى اليها ، وقد أدهشهنّ تنوع لهجاتنا فى النطق واختلاف الألوان والسحن

وبجانب قاعة المائدة ناد كبير لا يسمح لدخول أحد فيه من الطلبة غير الأعضاء وهو مفروش باثاث بديع ، وتتوفر فيه المجلات والكتب وسائر الوسائط التى توجد عادة فى الانديه .

والمدرسة شديدة الحرص على أخلاق طالباتها وسمعتهن الادبية ، وبها جمعية من الطالبات انفسهن للمحافظة على الاخلاق ورفع مستواها ، ويشجع افراد هـذه الجمعيّة الطالبات على القيام بالواجبات فى اعمالهنّ ، والتفاخر بالشرف والصدق والامانة والشجاعة الأدبية . وقد كانت الفتيات اللاتى كلفن بارشادنا الى أقسام المدرسة من اعضاء هذه الجمعية ، وقد رأينا منهن من الحفاوة والرصانة والحشمة والأدب ما جعلنا نلهج بالثناء على المعهد — أساتذته وطلبته

ولا يقل الاهتمام بالصحة فيها عن الاهتمام بالاخلاق ، فقد عنيت المدرسة عناية كبرى بالألعاب الرياضية ، فأنشأت ملعبًا فسيحًا فوق سطحها وجهزته بالاجهزة اللازمة ووضعت في ركن منه « بيانو » ويستعمل الملعب للرقص ليلة كل أسبوع

وللطلبة ناد للألعاب وآخر للعوم وصندوق للتوفير

وممّا يشهد بتفوق الطالبات فى هذا المعهد أن أصحاب المصانع فى نيويورك وخارجها يثقون ثقة عمياء بهن ، فلا تجد البنت صعوبة فى ايجاد عمل بعد نيلها الشهادة النهائية ، ويعطى لها أول مرتب من ١٢ الى ١٦ ريالا فى الأسبوع ، وسرعان ما يصل الى ٢٥ أو ٣٥ ريالا ، ويوجد من الطالبات النجيبات اللاتى تخرجن من هذا المعهد من يتناولن من ٧٥ الى مائة ريال فى الأسبوع (أى بمرتب شهرى من ستين الى ثمانين جنيهًا شهريًا) فليتأمّل القارىء

ومن أبدع ما رأيت فى نظام هذا المعهد المكافآت التي تمنح للطلبة ، وليست هذه المكافآت جوائز ماليّة أو كتبًا أو أوسمة ، بل هى شيء آخر بالمرة والى القارىء البيان :—

يوجد فى ولاية كنتيكت مزرعة واسعة أهديت للمدرسة من أحد المثريين

الأفاضل ، والى هذه المزرعة تبعث الادارة الطالبات المتفوقات فى اعمالهن واخلاقهن بشرط أن يكن قضين ستة شهور على الاقل فى المدرسة ،وتمكث الفتيات فى المزرعة من ثلاثة أسابيع الى شهر ، يتدربن فى خلاله على الطهو والتدبير المنزلى ، وزراعة الخضروات ، وتنمية الزهور ، وحفظ البقول وخزنها فى علب من الصفيح ، كما أنهن يتمرن على لعبة التنس والبسكت ، والبيس ، والسباحة والعوم

وتكون أجرة السفر والسكنى والطعام على ادارة المدرسة وليتصور القارىء تلك الفرص الثمينة النادرة التى تقدم لهؤلاء الفتيات الفقيرات ، فالتعليم في المدرسة (كما فى سواها) مجانى ، وفى المدارس الابتدائية التى سبقتها كذلك ، يضاف الى ذلك تلك الفترة الجميلة التى تسافر فيها الطالبات الناجحات الى تلك البقعة الخصبة المترامية الاطراف ، البعيدة عن نيو يورك ، فيذقن لأول مرة طعم الحيـاة الريفية ، و يتنسمن لأول مرة نسيم الحقول البليل ، خلواً من دخان المعامل ، و يمتعن أنفسهن بسكون القرى وهدوءها بعيداً عن ضجيج نيو يورك وزحام المدن

ولا يمضى طويلاً حتى يندمجن فى سلك الحياة العملية ، فيخففن من العبء المالى الملقى على عواتق الوالدين، و يعدون انفسهن للحياة الزوجية ، أملاً فى الوصول اليها

ولا بد أن يعترض البعض على تلك النظم التى تمهد كل سبيل للفتاة للاشتراك فى ادارة دواليب الأعمال ، وتضعها فى مستوى الرجل ، وهو غير المستوى الذى خلقت لأجله - والجواب على ذلك ان هذا النظام لا مفر منه فى أى بلد متمدين . فمن المبادىء الاقتصادية المسلم بها ان المدنية تزيد فى حاجات الانسان ، وهذه تتطلب المال ، ولا يسهل على الناس من جميع الطبقات أن يحصلوا على المال الكافى لسد حاجاتهم وحاجات بنيهم و بناتهم

فمعظم العائلات فى البلدان غير المتمدينة أو نصف المتمدينة تعيش عيشة البؤس . فالحياة أقل فى مستواها بكثير منها فى ممالك أورو با وأميركا . ألا يعيش بنات الطبقات الفقيرة و بعض المتوسطة فى بلادنا مثلا على أحط الاطعمة ؟ و يلبسن أحط الملابس التى لا تتناسب مع عصرنا الحاضر . أليس بنات هذه الطبقة محرومات من كثير من ملاذ الحياة التى تزيد الناس سعادة وهناء ؟

أن أولئك القوم بلغوا من المدنية مبلغاً لا تقف عنده الفتاة مكتوفة اليدين قانعة بشظف العيش ، وهى تأنف نفسها الأبية أن تمد يديها الى والديها وأخوتها وهى فى عنفوان الشباب ، تستطيع أن تعمل وتكد وتفكر

كان الناس لا يكادون يصدقون أن الفتيات فى بلادنا لا يزاولن الأعمال كما فى أميركا ، ولما سئلت عن السبب أجبت أنهن فى غنى عن ذلك ، فضحك محدثى طويلا ، وقالوا أننا اذا استثنينا كبار المثريين فأن الناس جميعهم فى حاجة مستمرة الى المال ، فمطالب المدنية كثيرة وحاجاتها لا تحصر ، وفوق ذلك فان ثمة سعادة فى العمل ، وكيف تستطيع البنت أن تقتل أوقات الفراغ بغير عمل قبل زواجها ؟ أليس فى البطالة هدم للسعادة فى الحياة ؟

***

وتحقيقاً لهذه المبادىء كان من أقدس واجبات الديموقراطية تهيئة الفرص لابناء الامة من بنين و بنات على السواء ، وفتح أبواب المدارس المجانية للجميع جبراً الى سن معلومة ، حتى يشترك الكل فى التمتع بمزايا المدنية الحديثة

معهد جرينس

فى نيو يورك

(من تقرير كتب عقب زيارته فى ٣ مايو سنة ١٩٢٤)

أن مشكلة التعليم الاجبارى فى أميركا لا تنحصر فى الزام أبناء الامة بتحصيل العلم الى سنين معلومة (١٨ سنة فى بعض الولايات وأقل من ذلك فى غيرها) بل فى تهيئة الجو الصالح لهم حتى يستطيعوا الالتحاق بمعاهد التعليم وهم ناعموا الاظفار

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، فان مئات الالوف من المهاجرين الذين ينزحون اليها من أوروبا سنويًا (بحسب القانون الأخير يقبل نصف مليون مهاجر سنويًا) يزيدون المشكلة تعقيداً على تعقيدها ، فمعظمهم من العمال والطبقات السفلى الذين لا يحسنون قراءة اللغة الانجليزية وكتابتها ، بل قد لا يلمون بقراءة لغات بلادهم الأصلية وكتابتها ، وهكذا يكون أولادهم ذكوراً واناثاً

ولما كان عدد هؤلاء أمراً لا يستهان به ، فان أولى الشأن يؤسسون لهم معاهد خاصة يطلقون عليها اسم Adult Schools ، ولما كان نساؤهم يشتغلن مساعدة لأزواجهن فى كسب المال ، فان هناك معاهد خاصة أيضًا تؤسس للاعتناء بأطفالهم الذين يبلغون سن الثانية فما فوق ، والمعهد الذى نريد وصفه من هذا القبيل

***

أن حى جرينس المشاد فيها المعهد المسمى باسمه ، من أحياء نيويورك التى يبلغ فيها زحام المساكن أشده . ويقطنه عائلات أخنى عليها الدهر فعاشت فى فقر مدقع فى منازل ضيقة مفعمة بساكنيها ، فلا المنازل تسمح بتربية الأطفال فيها ولا الامهات يجدن من الوقت متسعاً للاعتناء بهم لاشتغالهم بطرق أبواب الرزق

والسكان جميعهم من غير الأميركان ، فهم من العمال المهاجرين من الطليان والارلنديين ، والمنازل بينهم مقسمة مناصفة ، ولا يوجد بينهم من مهاجرى الامم الاخرى أحد

ولما كان الغرض من المعهد تحسين حالة أولئك المهاجرين البائسين والتخفيف من ويلاتهم الاجتماعية ، فقد رأى أولو الأمر أن يكون هذا المعهد شاملاً أى لا يقتصر فقط على مدرسة لتربية ابنائهم . فقد رأيت من أقسامه عيادة للأطفال ، ومدرسة للبالغين ، وروضة أطفال ، ومقصفاً ، ومعهداً للموسيقى ، ومصنعاً للأوانى الخزفية ، وآخر للحفر والنقش على الخشب ، وملعباً داخل البناء للصبيان Gymnasium وآخر للبنات ، ونادياً للذكور وآخر للاناث ، وقاعة كبيرة للمطالعة لسكان الحى ، وعيادة تتلقى فيها أمهات الاطفال دروساً فى الاعتناء بأولادهن ، وقاعة كبيرة للمحاضرات (Auditorium) يدعى فيها السكان لسماع الخطب والمحاضرات

ومعظم المشتغلين بادارة هذا المعهد الكبير متطوعون ، لا يتناولون أجراً ، ولذا فأن ميزانيته السنوية لا تتجاوز مائة الف ريال

والفصول التى تخصص للبالغين غريبة فى بابها ، هناك تجد فتاة لا تتجاوز العشرين تقوم بتعليم فرقة من الرجال والنساء تتراوح اعمارهم بين العشرين والخمسين وقد تبلغ الستين ، ولا يقتصر تعليمهم على القراءة والكتابة والحساب ، بل يتناول أيضاً دروساً عملية فى الصحة . فيعلمونهم مثلاً كيف ينظفون أسنانهم ويتعهدون غسلها ، وقد أعدّوا لهم « الفرش » والانابيب لهذا الغرض ، وقد يكون أول مايطلب اليهم قبل البدء فى الدرس كل يوم الكشف على أسنانهم ومعرفة ما اذا كانوا قاموا بتنظيفها قبل ذهابهم الى المدرسة أم لا .

ويوزع عليهم كتب ونبذ صغيرة متنوعة عن كيفية المحافظة على الصحة ، ومراعاة الاعتدال فى المأكل ، واستشارة الطبيب وتجنب العدوى ، والمواظبة على التمرينات البدنية . وتوزع على السيدات كتب خاصة بمسائل الحمل والوضع والامراض والاخطار التى تتعرض اليها النساء وغير ذلك

ويبلغ عدد الاطفال والبالغين الذين يترددون على المعهد كل اسبوع ثلاثة آلاف ، بين طلبة يتلقون العلم ، ومرضى يعالجون، وامهات يدرّبن على تربية اطفالهن

وقد رأيت عيادة خاصة بالاسنان يتعهد فيها الطبيب الذين يحتاجون الى معالجة

اسنانهم أو تركيب سواها . والاسنان هناك من المسائل التى يبالغون فى الاعتناء بها ، فانه لا تكاد توجد مدرسة واحدة ابتدائية كانت أو ثانوية ، بغير غرفة خاصة لطبيب الاسنان مجهزة بجميع الادوات اللازمة

وعلاوة على مئات الاطفال الذين يحجزون فى المعهد لمجرد المعالجة ، فان هناك قسماً خاصاً بتربية الاطفال من بين سن الثانية والرابعة ولعل هذا أهم أقسام المعهد وأوسعه نطاقاً . فكثير من النساء فى حى جرينيش (كما قلت) يتوجهن الى المصانع التى فيها يشتغلن ، ولا يوجد من يعول اطفالهن ، فيتركنهم فى المعهد ما داموا بالغين من العمر سنتين الى اربع سنوات ومتى رجعن من اعمالهن قبيل الغروب يصحبنهم الى منازلهن

ويودع الاطفال فى أيدى ممرضات اختصاصيات يقمن باطعامهم وتعليمهم والاعتناء بهم واعداد الالعاب لتسليتهم والعزف على الآلات الموسيقية لتشنيف آذانهم

واكثر من ذلك انهم يعدون لكل طفل سريراً صغيراً معلق عليه صورة شمسية ، فاذا ما قرع الناقوس فى فترات معلومة هرع كل طفل يبحث عن صورته لمعرفة سريره وتمدّد عليه يغفو زمناً حتى يقرع الناقوس مرة أخرى فينهض الى ساحة اللعب أو قاعة الطعام

وقد رأيت لوحة كبيرة عليها تعليمات يحتم على الممرضات اتباعها وهى تختص بآداب المائدة ومعاملة الآخرين وآداب اللعب وغيرها من الاشياء التى يعلقون عليها أهمية عظيمة فى تعويد أولئك الصبية عليها وهم ناعمو الاظفار حتى اذا ما ثبتت فى أذهانهم صغاراً شبوا عليها كباراً

ومما يستوقف الانظار في هذا القسم ان الامهات متى رجعنا فى المساء من دور اعمالهن لحمل اطفالهن الى المنازل ، يكلفن بأخذهم أولا الى الحمامات فى المعهد قبل مغادرته ، وليس الغرض من هذا المحافظة على نظافة الصبية فقط ، بل تعويد الامهات على تنظيف الاطفال ومراعاة القواعد الصحية الحديثة ، كاستخدام الماء الساخن فى درجة الحرارة المناسبة ، وعدد الدقائق التى لا يجب ان يتعداها الطفل فى الماء . الى غير ذلك

وترمى ادارة المعهد فوق ذلك إلى التعاون مع نساء الحى على الاعتناء بالاطفال ووضع القواعد التى يجدر بهن اتباعها حتى ينسج على منوالها ايضاً الامهاتِ اللواتى لا يترددن على المعهد

وقد شاهدت فوق سطح البناية خيوطاً من المصابيح الكهربائية ، وعلمت أنهم يقيمون حفلات راقصة صيفاً فى الهواء الطلق ، ومعظم المدعوين يكونون عادة من الفتيات والفتيان الذين كان لهم ارتباط بالمعهد يوماً ما أو ما زالوا ملتحقين بقسم من اقسامه

وحول قاعة المحاضرات الكبرى رأيت نماذج متنوّعة من اعمال التلاميذ ومصنوعاتهم معروضة للزائرين . وتفتح القاعة كل مساء لسكان حى جرينش فيؤمها رجاله ونساؤه لسماع المحاضرات أولاً ومشاهدة النماذج بعد ذلك .

ثم يقلبون الاوراق ، والكتب ، والنبذ ، والصور ، والمطبوعات الكثيرة ، المنتشرة على موائد مستطيلة أمام مدخل القاعة ، ويتناقشون فى التعليمات الصحية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية المدونة فيهـا ، ويحملون معهم منها الى منازلهم ما تسمح بة ادارة المعهد

وقد لاحظت أن هذه المطبوعات مكتوبة بلغة بسيطة لا يجد صعوبة في فهمها من له أقل المام باللغة الانجليزية ، واكثر من نصف هذه المطبوعات خاص بأضرار زواج الفتيات اللاتى لم يبلغن سن الثامنة عشرة أو العشرين والحيطة التى يجب اتخاذها فى حالة حصول هذا الزواج ، والاخطار التى تعترض الشابات فى مثل هذه السن .

وفضلاً عن الالعاب الداخلية فأن للمعهد قطعة من الارض فسيحة فى الخلاء لكرة القدم والبيس بول ، وتساعد مصلحـة التعليم العامة المعهد فى ترقية هذه الالعاب ، ويبلغ عدد الذين يشتركون فيها يومياً خمسمائة .

وفي العطلة الصيفية يضرب عدد من الطلبة فى الخلاء خيامهم للاستراحة والقيام بأعمال الخيام التى سبق وصفها فى غير هذا المكان ،وقد بلغ عدد الذين ضربوا خيامهم من الطلبة فى الصيف الأخير نيفًا ومائتى طالب ، وتعلّم تسعون فى المائة منهم السباحة

***

هذه الجهود الواسعة تبذلها اميركا فى حىّ مائة فى المائة من سكانه من الاجانب، وهى تفعل ذلك مدفوعة بعاملين ، أولهما عامل الانسانية ، فهى تتألم أن ترى بين الناس مَنْ يئن تحت ارزاء الجهل ، تقتلهم الامراض وتفتك بهم الفاقة ، وثانيهما عامل القومية. تعلم اميركا ان أولئك المهاجرين قطعوا كل علاقة بينهم و بين أوطانهم ، وألقوا عصا الترحال فى العالم الجديد ليتخذوه لهم وطناً، فهم اميركيون وطناً وان كانوا أجانب جنسية، وهم و بنوهم و بناتهم ونساؤهم محسو بون على الامة ، وكما قلنا فى مكان آخر من هذا الكتاب الديموقراطية مسئولة عن أبنائها ، فعليها وحدها تبعة تعليمهم وتر بيتهم والاعتناء بهم ليس فقط لمحض حبهم بل تخليداً لها ومحافظة على حياتها



متحف التاريخ الطبيعي

في نيو يورك

لا أقصد بوصف متحف التاريخ الطبيعي في نيو يورك ، سوى الاشارة الى أن التربية وتلقي العلم وتحصيل المعرفة ، لا تنحصر بين جدران المدارس والكليات ، بل تتعداها الى سواها من المكاتب العمومية ، ودور الآثار والمعارض الصناعية والفنية والزراعية وغير ذلك .

وقد أشرت في فصل آخر الى الخدم الجليلة التي تؤديها المكاتب العمومية الى طلبة المدارس والكليات ، وكيف أن الأطفال في المدارس الابتدائية يتلقون دروساً عملية في المكاتب العمومية،حتى يتعودوا مطالعة الكتب الخارجة عن مقرر الدراسة

أما عن معارض الآثار فقد ولى الزمن الذي كانت فيه دورها مستودعاً فقط للعاديات النادرة ، والتحف الجميلة ، والأشياء المعدومة النظير ، فيؤمها الزائرون كما يؤمون ملهى من الملاهي ، أو حديقة من الحدائق ، ويقصدونها لمجرد مشاهدة ما فيها ، كما يشاهدون الحيوانات في اقفاصها فما هي اليوم الاّ معاهد علمية يتلقى فيها زائروها العلم ، أما موظفوها فليسوا كما كانوا قبل اليوم حراساً لمحتوياتها ، بل معلمون وأساتذة ، ولا تنحصر مهمتهم في توفير أسباب اللهو وأنواع التسلية ، ولكنها تتعدى الى تعليم أفراد الامة وتزويدهم بالمعلومات .

يزور متحف التاريخ الطبيعي في نيو يورك سنوياً مليون طالب من معاهدها ، وفيه يكونون موضع رعاية الموظفين وعنايتهم . فيرشدون الى كل ما يهمهم الاطلاع عليه ، ويلقون عليهم المحاضرات مستعينين بالأجهزة العلمية والفانوس السحري والصور المتحركة

وهناك قاعة كبيرة على شكل مدرج (امفيتياتر) تسع أكثر من الف وخمسمائة مستمع ، وقاعات اخرى عديدة أصغر منها لهذا الغرض

ويوجد قسم خاص فى المتحف لاعداد شرائط الصور المتحركة العلمية ، وزجاجات الفانوس السحرى ، وأعدادها فى مجموعات وافية ترسل للمعاهد العلمية التى تطلبها ، لعرضها على الطلبة وشرحها بواسطة الأساتذة .

وحتى يستعين الأساتذة على أيضاح هذه الصور ، تبعث معها ادارة المتحف كراسات وافية مطبوعة على الآلات الكاتبة،مدون فيها جميع المعلومات الخاصة بها .

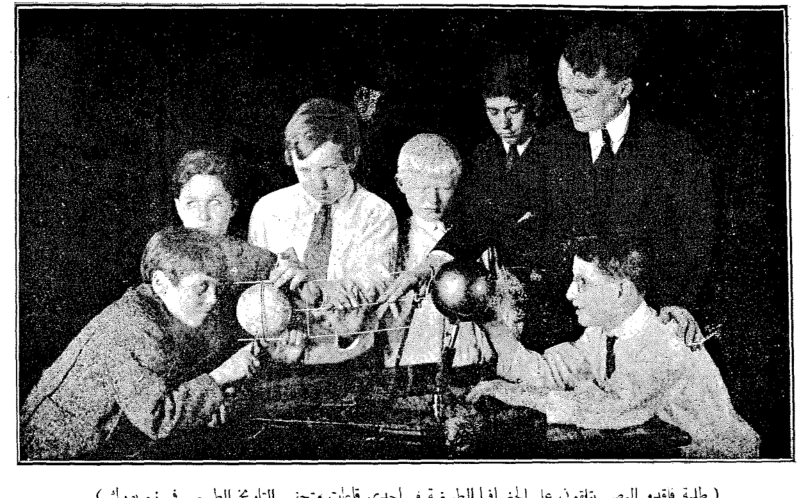
ويوجد فى المتحف عدد وافر من السيارات ، المخصصة لنقل ألواح الصور وشرائط الصور المتحركة ، الى المدارس والكليات التى تطلبها ، بغير أن تتقاضى أجراً

وأهمّ ما يلفت النظر هناك العدد الوافر من الطيور والحيوانات المحنطة ، وقد يحيط بكل منهـا الأشجار والخضر ، والحشائش التى تعيش بينها عادة . وبعض هذه الأشجار والأعشاب صناعية وبعضها طبيعية ، وقد اضيف اليها مواد كيمائية بطرق علمية لحفظها من الذبول. ولا يشك الناظر أن تلك الأشجار الصناعية طبيعية ، وذلك بفضل الرسوم البديعة المنقوشة على الحوائط خلفها ، مما يوهم الرائى أنه يشاهد سماء أفريقية ، أو أدغالا وغابات فى أواسط أوربا ، أو صخوراً وأحجاراً فى أسيا ، أو أنهاراً أو بحيرات فى أماكن أخرى

وكثيراً ما كنت أشاهد النباتات المشار اليها وسط المياه ، كما تكون عادة فى الارجاء التى تنمو فيها ، وما تلك المياه الاّ الواح من الزجاج أو الخشب ، المطلى بمادة تجعله شفّافاً صقيلاً ، فيخاله الرائى ماء

وهناك معامل واسعة النطاق ، يعمل فيها اختصاصيون ممّن نالوا خبرة عظيمة فى أعداد رءوس الحيوانات المتحجرة وعظامها ، ووضعها فى الأماكن المعدّة لها . ولا يسمح بدخول الزائرين ، وقد أذن لنا مدير المتحف بصفة استثنائية أن نشاهد هذه المعامل ، فشاقنا ما رأينا من المواد المتحجرة ، وبقايا الحيوانات النـادرة المستخرجة من قاع البحار وطبقات الأرض ، فى الصين واليابان وسيبيريا وجزائر البحر الهادى .

وتبعث ادارة المتحف بعثات الى جهات عديدة للبحث والتنقيب ، وارسال ما يعثر عليه . وينفق على هذه البعثات الأموال الطائلة ، وقد شاهدت قرب مدخل



(طلبة فاقدو البصر يتلقون علم الجغرافيا الطبيعية في احدى قاعات متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك).

(مقابل صفحة ١٩٩)

الدار خريطة كبيرة للكرة الأرضيّة ، ثبّت عليها سبع ورقات ملوّنة فى أماكن مختلفة فى العالمين الجديد والقديم تبياناً للمواقع القائم فيها البحث

وهناك مجموعة كبيرة لأهم الصور التى ظهرت فى أكبر مجلات العالم ، فى الموضوعات العلمية الشتى ، وصور الكتاب الذين درجوها توضيحاً لمقالاتهم ، وقد رسمت على الزجاج لاستعمالها بواسطة الفانوس السحرى ، و يبلغ عددها ٧٥ الف صورة. وقد اشرت الى المجموعات الأخرى العلميّة، وكل مجموعة منها تختص بموضوع علمى كحياة النمل وعيشة الاقزام وجرثوم الحمى الخ

وتحفظ هذه المجاميع فى خزانات دقيقة الترتيب يعنى بها موظفات خبيرات . يدونَّ اسماء المدارس التى استعارت منها شيئاً مع الأشياء التى استعاروها ،والكتب التى أرسلتها شرحاً لها

وقد شاهدت فى هذا اليوم الذى زرت فيه المتحف جيشاً عرمرماً من الطلبة فى القاعة الكبرى ، كانوا قد توجهوا اليه خصيصاً ،لسماع محاضرات صامتة(كما يسمونها هناك) عن حياة الهنود الحمر ، وأخرى عن طيور البحار ، بواسطة الصور المتحركة .

وقد علمت من الاستاذ الذى كان يرافقنا ، أن القاعة المذكورة مشغولة كل ساعة من النهار طول أيام السنة . فأن جميع المعاهد العلمية تتسابق للحصول على ساعة معلومة فى يوم معلوم ، يتاح لطلبتها فيها سماع تلك المحاضرات الصامتة

ومن أغرب ما رأيت هناك الغرف والقاعات الخاصّة بفاقدى البصر . يجد الزائر فيها نماذج متعددة ، وكرات أرضية عليها رسوم بارزة ، موضوعة لكفيفى البصر خصيصاً . و بين هذه النماذج جهاز كبير ثمين متعدد الأجزاء ، لشرح الكسوف والخسوف ، وهو مجهز بمصابيح كهربائية ، ومرتب بكيفية يتسنى بها لأولئك الطلبة فهم النظريات الجغرافية ، التى يتعذر عليهم فهمها بدونها ، نظراً لحالتهم الاستثنائية .

و يرى القارىء صورة مأخوذه فى احدى هذه القاعات بياناً لهذه الحالة

كما أن هناك ترتيباً آخر للطلبة ضعاف البصر ، الذين لا يمكنهم تمييز الصور المتحركة أو التى تعرض بالفانوس السحرى ، ومعظم هؤلاء الطلبة من أبناء المهاجرين

من غير الاميريكيين ، وقد علمنا من مدير المتحف ان متوسط عدد الفصول الدراسية من الطلبة كفيفي البصر الذين يزورون المتحف سنويًا مئتان

ومن هذا يتضح أن متحف نيويورك الطبيعي عبارة عن جامعة عظيمة ، يتلقى فيها زائروها من طلبة وغيرهم ، علومًا في التاريخ والجغرافيا والسياحة والمناخ والقانون والاقتصاد وعلمي الصحة وطبقات الأرض ، وكل ما يختص بالزهور والاشجار والغابات والنهيرات والحشرات والاسماك والطيور والحيوانات ذوات الثدي ، وما تحويه الطبيعة من نبات وحيوان ، وما يتعلق بهما من علوم النبات والحيوان ، والتعدين والاجناس البشرية ، والصناعية قديمًا وحديثًا الى غير ذلك

ومما يجدر ذكره أن هذا المعهد العظيم ، على اتساع نطاقه وكثرة نفقاته ، وما يقوم به من جليل الأعمال في نيويورك وولايات أمريكا المتحدة عامة، يتكفّل الانفاق عليه أفراد من عشاق العلم ، ومحبي الخير ، اي أنه ليس معهداً حكوميًا ، رغم كونه موقوفًا على الخدمة العامة . وغاية مافي الأمر أن حكومة ولاية نيويورك تمنحه اعانة مالية من خزانتها سنويًا

فهو كمعظم المعاهد العمومية اذاً ، يمده الأفراد ، ويهتم بشأنه أولو الخير ، وأكبر درس نتعلمه من هذا هو أن أبناء الامة يستطيعون أن يعملوا مستقلين عن حكومتهم الى رفع شأن أوطانهم واسعاد بني جنسهم وبلادهم، بما يبذلونه من جهود، وما يمدونه من اكف سخية ، وما يحملونه بين جنوبهم من قلوب خفاقة ، ونفوس كريمة ، ودماء تجرى حماسًا وحبًا ووطنية .



كلمة ختامية

لا ريب فى أن النجاح الباهر الذى نالته اميركا ، ووثوبها طفرة واحدة الى المعالى ، يعزى الى الثروة الكامنة فى أراضيها الزراعية الفسيحة الارجاء ، ومعادنها الغنية الثمينة ، وغاباتها الظلماء الكثيفة ، وسائر مصادرها المادية

بيد ان هناك اسراراً أخرى دفينة يجدر بنا الاشارة اليها فى ختام الكتاب ، ويمكن حصرها فى ثلاثة اشياء ، وهى الرؤوس المفكرة ، والأيدى العاملة ، والقلوب الخفاقة الطاهرة

راجع معى فصلاً من فصول الكتاب التى أفضنا فيها البحث عن عظمة ذلك العالم الجديد وادخل معى مصنعاً من المصانع الكبرى مثلا

تأمل أولاً فى المناضد المعدة للكتابة ، والاوراق المكدسة حولها وعليها ، والمصابيح المظللة تنبعث منها الأنوار الكهربائية الضئيلة ، وانظر الى الجالسين اليها المنكبين على العمل الساعات الطوال ليلا ونهاراً ، واصغ الى نقرات الآلات الكاتبة فى غرف الفتيات . كاتبات أسرارهم

ثم هلم بنا الى الجناح الآخر من المصنع ، وانظر ألوف العمال بملابسهم الزرقاء الملوثة بالزيوت ، والعرق من اجسامهم يتصبب حتى يبلل ثيابهم

ثم قف معى ندرس نفسية هؤلاء جميعاً . الرؤساء على مكاتبهم الفخمة والعمال فى أرديتهم الرثة أمام المطارق الحديدية الضخمة . لنعلم سر نجاح العمل

***

الآن وقد أمعنا النظر ، واستجلينا غوامض المسألة ، حق لنا ان نجاهر بالقول ان تلك الرؤوس المفكرة ، والأيدى العاملة ، ما كانت وحدها كفيلة بنجاح المصنع لولا تلكم الذمم الطاهرة ، والضمائر الحية الشريفة ، والقلوب النابضة الخفاقة

أن الأفراد لا تثمر جهودهم ، ولا تكلل أعمالهم بالفلاح ما لم يشتغلوا بقلوبهم جنبا

الى جنب عقولهم الراجحة وأيديهم العـاملة . فقد يعمل الفرد مسوقاً بغير ضميره ، مدفوعاً بغير ميله ولذته وحبه للعمل ، ونزوله فى ميدانه جسما وعقلا وقلبا

وما يقال عن الفرد يقال عن المجموع ، فالأمة التى لا يستنزف أفرادها دماء أفئدتهم ، تضحية لها على مذابح الاعمال والصالح العـام ، مآلها الخيبة والخسران لا محالة ، مهما رجحت عقول أبنائها، وكدت أيديهم

***

ان السفينة ماى فلور (May Flower.) . وهى أول سفينة عبرت البحر الاطلسى بعد استكشاف اميركا ، حملت الى العـالم الجديد من شمال غرب اوروبا نواة الأمة الأميركية التى نراها اليوم كزهرة الربيع ناضرة زاهية

كان ركاب تلك السفينة من عشاق الحرية ، وأنصـار الديموقراطية . غير ان أوروبا فى ذلك الحين كانت بؤرة التعصب ، ومثـال الجور والظلم ، والاستعباد والتعسف ، فأبت نفوس هؤلاء الابطال الضيم ، وسئموا الاضطهاد والذل ، وما كادت ترد اليهم الاخبار باستكشاف الدنيا الجديدة حتى ألقوا عصا الترحال ، وركبوا مع بنيهم وبناتهم وزوجاتهم متن البحار، وتجشموا المصاعب والأخطار ، حتى رست سفينتهم فى مرفأ اميركا الأمين ، فشهدوا فجر الحرية ، وتنسموا نسماتها العليلة العذبة

وهنا لا يصعب على القارىء الكريم ان يستنتج ان سكان اميركا اليوم ، سلالة آبائهم واجدادهم الأماجد ، الذين ما نزحوا الى أقطار أميركا النائية ، إلا حباً فى ركوب المعالى ، وطمعاً فى بلوغ قمة المجد ، وتطلعاً الى المثل الأعلى

فلا بدع اذا دوّن لهم تاريخهم الحديث تلك الصفات السامية النبيلة ، كالاعتماد على النفس ، والحرية بأتم معانيها ، والصراحة فى القول ، والأمانة فى العمل ، والعناية بأفراد الأمة حفظاً لكيان المجموع ، وتحمل المسئولية والقيام بالأعمال ، بعقول تفكر ، وأفئدة تخفق بالحب والشرف

***

واذا كان لنا من تاريخ الشعوب عبر ، ومن حياة الأمم عظات بالغات ، فان لنا من العالم الجديد عبرة العبر وعظة المواعظ . ان مصر ربيبة المجد المؤثل ، الغنية

بنيلها العزيز الكريم ، الفياض ، فقيرة الى رجال يضمون قلوبهم الى عقولهم وأيديهم في القيام بما يعهد اليهم من الاعمال

وهيهات ان تبلغ شأو ما كانت عليه في القرون الخالية ، وما عليه أميركا واوروبا اليوم ، ما لم يعمم التعليم الاجباري المجاني بين طبقات الأمة ، ذكورها وأناثها ، ونقلب مناهج التعليم ونظمه الحاضرة رأساً على عقب ، ويعلق على الاخلاق والفضائل السامية اكبر أهمية في مدارسنا نظرياً وعملياً ، وتشتعل نيران الثورة الفكرية بين الطبقات المستنيرة ، فنحطم أصنامنا القديمة التي طالما عبدناها السنين الطوال ، ونقضي على كل قديم باطل ، ونرحب بكل حديث نافع

***

ولما كانت جوارحي وميولي تفيض حباً لأمتي المصرية العزيزة ، كانت جل أماني وأشد رغباتي ، ان يبعث كتابي ، عن ذلك العالم الجديد المدهش ، في نفوس أبناء مصر عموماً وشبيبتها خصوصاً روح الحمية والحماس ، والغيرة والوطنية ، فينهضوا ببلادهم الى ذروة الرفعة ، ويعيدوا لها مجد الآباء والأجداد ؟

القاهرة ٣ ابريل سنة ١٩٢٦



الشكر واجب

أنّى لي أن أرُدَّ الفضلَ لذويه ، والمعروف لأهله ؟ ومن لى بعقود المديح فأنظمها ، ولآلىء الثناء فأنثرها ؟ أننى مدين لطائفة من الأدباء والأصدقاء : —

مدين للاستاذ اسماعيل حسين بالجامعة الأمريكية ، وخليل افندى رزق وكيل حساباتها ، ومسعد افندى سعيد بسكرتاريتها وعبده افندى احمد بوزارة المالية ، وكثيرين من الأدباء ومحبي العلم

فقد راجع الأول صفحات الكتاب ، وصحح الثانى والثالث مسوداته ، وجمع الرابع ما نشرت فى الصحف والمجلات ، وشجعنى الآخرون على اخراجه

فلهم منى جميعاً اسمى وارق عبارات الشكر ومن الخالق عز وجل اكبر أجر ما؟

المؤلف

فهرس



جميع الكتب المذكورة في هذا الملحق من علمية وتاريخية واجتماعية هي من أجود الكتب العصرية ، ومؤلفوها أشهر كتاب الشرق ، ومطبوعة أتقن طبع على أحسن ورق ، ومزينة بالصور الجميله ، ومغلفة بأجمل وأمتن غلاف

يُضاف الى ثمن الكتاب الذي يُطلب ٤ قروش أجرة بريد لبلاد القطر المصري و ١٣ قرشاً للخارج وهذا المبلغ يكفي لارسال ما زنته ٥ كيلوجرام . فيحسن بمن يرغب في طلب كتاب واحد أن ينتخب من هذه المجموعة النفيسة بعض كتب أخرى فنرسلها كلها معاً ضمن طرد بريد واحد

قيمة الكتب تُرسل مقدماً مع الطلب ، أو يرسل نصفها ويحول عليه بالباقي .

(القرش المصري يساوي ½ ٢ بنسات انكليزية أو ٥ سنتات أميريكانية)

العنوان البريدي — الياس انطون الياس ، صندوق البريد رقم ٩٥٤ — مصر
Mr. Elias A. Elias, P.O. Box 954, Cairo, (Egypt.)

القاموس العصري

عربي وانكليزي

مُصَوَّرٌ

تاليف

الياس انطون الياس

هو معجم لم يُنسج على منواله حتى الآن ، ويمتاز بأسلوبه البسيط (المسجل في المحاكم المختلطة تحت نمرة ١٦٢) الذي ابتكره المؤلف لأجل التوفيق بين الترتيب المصطلح عليه في القواميس العربية والترتيب الهجائي البسيط المتبع في كل القواميس الافرنجية ، ثم تحديد معنى الكلمة العربية أو تفسيرها بكلمة عربية مرادفة لها تمهيداً لذكر الترجمة الانجليزية .إذ بدون ذلك لا يتسنى للطالب أن يتحقق من صحة المقابل الانجليزي للمعنى الخاص الذي يطلبه

إطلع عليه فتعلم انه اكثر فائدة لك من أي قاموس آخر مادمت من المشتغلين باللغة الانكليزيه —

عدد صفحاته ٧٠٠ من القطع الكبير ويحوي نحوه ٥٢,٠٠٠ كلمة عربية وما يقابلها من الترجمة الانكليزية . وقد قررته وزارة المعارف العمومية لاستعمال معلمي اللغة الانكليزية والترجمة في جميع فصول مدارسها الثانوية في القطر المصري .

عدد صفحاته ٦٩٣ من القطع الكبير وثمنه ١٠٠ قرش مصري

للغة الانكليزية ، فسَلْ من تقدمك في درس اللغة الانكليزية عن هذا الكتاب يخبرك بعظيم فائدته — ثمنه ١٠ قروش

الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية

(لالياس انطون الياس)

يكفي للتنويه بفائدة هذا الكتاب أن نذكر انه طبع للمرة الخامسة في بحر عشر سنوات . وكل من بدأ دراسة اللغة الانكليزية بواسطته استفاد جداً من سهولة اسلوبه ، خصوصاً لأن الطريقة الحديثة التي ابتكرناها للفظ الكلمات الانكليزية بأحرف عربية هي الطريقة التي لا يمكن ايجاد أسهل واضح منها

اشتر نسخة منه ، وجرب أن تتعلم اللغة الانكليزية من دون احتياج الى الاستعانة بعلم . ثمنه **١٢** قرشاً

قاموس عربي وانكليزي

باللفظ الانكليزي للكلمات العربية

تأليف سقراط سبيرو

(وقد التزم طبعه ونقحه الياس انطون الياس واضع القاموس العصري الشهير)

قد جمع هذا القاموس كل شاردة وواردة من مفردات وجمل واصطلاحات اللغة المصرية الدارجة في الكلام والكتابة . ولا نغالى اذا قلنا انه لازم لكل مشتغل باللغة الانكليزية من ابناء مصر خاصة والشرق عامة لما يحويه من الكلمات التي لا يمكن وجودها في غيره من المعاجم العربية انكليزية — ثمنه ١٠٠ قرش صاغ



مجموعة ممتعة تشمل ٨٠ قصة أدبية غرامية مختلفة المغزى والأسلوب ومحــلاة

بكثير من الصور الرمزية ومترجمة بعبارة فصيحة قريبة المتناول لطيفة الأسلوب على طريقة أهل الغرب فى كتابة هذه القصص المستظرفة التى يتوخى بها الذهن بلذة السيرة المحكية وايصال الفائدة المقصودة الى العقل من طريق تلك اللذة باسلوب انشائى خاص تجتمع فيه السهولة والسلالة الحاذقة الوصف الى رشاقة المحادثة وظرفها ، الى حكمة سامية أو عظة كافة عن الشر داعية الى الخير، كما قال نابغة الشعر والنثر خليل بك مطران في المقدمة التى كتبها لها

وتقع هذه المجموعة في ما يقارب الخمس مئة صفحة وثمن النسخة ١٠ قروش

مختارات

سلامه موسى

ليس بين كتاب مصر الآن من هو أصرح برأيه وأجهر به من الاستاذ سلامه موسى الذي يعرفه جميع قراء الصحف والمجـلات ، فهو كثيراً ما يقتحم الميادين التي تخشى اقتحامها الملائكة ، لا يبالي أن يصرح برأيه في الدين وفي الاشتراكية وفي المرأة ، وفي مثل هذه الشئون الاجتماعية ، غير متعمد في كل ما يكتبه اظهار براعة أو التباهي بمهارة ، وانما غايته التي لا يحيد عنها هي فائدة القاريء ، وليست هذه بالميزة القليلة القيمة في وقت نرى فيه عدداً غير قليل من كتابنا لا يبغي من وراء كتابته الا أن يقول عنه الناس كما يقولون عن البهلوان « ما أبرعه ! » في حين كان يجب أن يقولوا « ما أنفعه »

ولسنا نشك في أننا نخدم جميع قراء العربية بجمع هذه المقالات النفيسة ، وغيرها مما لم ينشر للآن ، حتى يتيسر للجيل الجديد قراءتها والانتفاع بها دون أن يحتاج الى الكد في البحث عنها في متفرق المجلات والصحف . وثمنه ١٠ قروش مصرية

رواية

الأميرة فوستا

(كاملة في جزئين كبيرين بدلاً من ثمانية اجزاء صغيرة)

وهي تابعة لرواية باردليان — وثمنها ٢٠ قرشاً

ثم رواية



(كاملة في جزئين كبيرين بدلاً من ثمانية أجزاء صغيرة)

وفيها تكملة حوادث الروايتين السابقتين وثمنها ١٦ قرشاً

ثم رواية

روكامبول

في ١٧ جزء كل منهم رواية جميلة كاملة

(الجزء الاول «الارث الخفي» وثمنة ٥ قروش)

ترى ازياء تتعاقب ،وعادات تتوالى ، وتقاليدَ تُتَوارَث ، ورأيًا عامًا يسود ، وقوانين تتقرَّر . فكيف تنشأ الازياء والعادات والتقاليد والقوانين ؟

في « علم الاجتماع » ترى العواطف والعقول تتصادم فتثير الجماعات ثم تسكنها ، وتتمخض الثورات الفكرية عن الانظمة والهيئات

« علم الاجتماع » يبين لك ان الشهوة الجسدية ، والحب ، والذوق الجميل ، والعواطف ،فعلت كل ذلك،وفي وسعها أن تقول للجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل

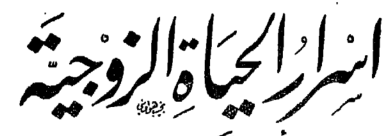
« فعلم الاجتماع » هو علم التكوُّن والنشوء ، وعلم العواطف المسيطرة على الهيئة الاجتماعيـة ، وعلم العقل المدرّب للعواطف ، وعلم الحب والجمال اللذين يرتفعان بالمدنية الى فوق

« علم الاجتماع » هو البوابة التي تدخل منها إلى عالم أسرار الهيئة الاجتماعيـة حيث تنكشف لك وترى العجب العجاب . هذا هو العلم الذي بسطه الاستاذ نقولا الحداد الكاتب الاجتماعي المعروف في هذا الكتاب الذي نحن في صدده ، بسطًا يدع كل قارىء يفهمه بكل سهولة

فهذا الكتاب هو الوحيد في موضوعه باللغة العربية والمستوفي كل ما يخطر لك ببال من هذا القبيل . أفلا تشعر أنه يجب أن تطالعه وأن يكون في مكتبتك لكي تعود اليه كلما رمت أن تعرف منزلتك في الجماعة ومنزلة قومك في الامة ومنزلة أمتك في المجتمع الانساني ؟ وما هي وسائل الارتقاء لك ولقومك ولامتك ؟

الكتاب الأول – في حياة الهيئة الاجتماعية – **٢٥** قرشًا

الكتاب الثاني – في تطور الهيئة الاجتماعية – **٢٥** قرشًا



تأليف الدكتورة ماري ستوب

نقله الى العربية لخدمة الانسانية وللحرص على سعادة الزوجين وسلامة العيلة الكاتب المعروف الاستاذ نقولا الحداد

تاييس

(قصة مزينة بالصور)

تأليف شيخ كتاب العصر أناتول فرانس

وترجمة الاستاذ احمد الصاوي محمد

تاييس — صورة صادقة لمصر القديمة بعلومها وفنونها وفلسفتها وادابها ، وقصورها وحقولها ، وصحاريها ووديانها ، وملاعبها وأديارها ، وعادات أهلها

تاييس — قصة حب تملك عليك نفسك ، فتظل تقرأ حتى تنسى نفسك وتحملك دعابات أناتول فرانس اللذيذة المشهورة الى عالم كله ضحك ومسرات ، ثم تجملك تبكي لآلام رجل راح ضحية الدنيا الغرور بعد ان عذبه فكره عذاباً فظيعاً .

إقرأ تاييس — تجد الحكمة والمعرفة والردود الصائبة على الاسئلة التي تخالج نفوس الشباب الفتية الحائرة ، وقلوب أهل الفطنة والذكاء .

ما الحب ؟ ما الكره ؟ ما الحكمة ؟ ما الضلالة ؟ ما المعرفة ؟ ما الجهالة ؟ ما الفلسفة ؟ ما الغباوة ؟ ما الوطن ؟ ما الخيانة ؟ ما الشر ؟ ما الدين ؟ ما الكفر ؟ ما الجنة ؟ ما النار ؟ ما الشهوة ؟ ما العفة ؟ ما التلذذ ؟ ما التقشف ؟ ما الحرية ؟ ما العبودية ؟ ما العشق الحلال والعشق الحرام ؟ مافلسفة الفضيلة والرذيلة ؟ ماحكاية الارض والسماء ؟؟

إقرأ تاييس — تاييس تحل لك كل هذه الالغاز المغلقة ! تاييس تبوح لك بأسرار الغرام ! إقرأ قصة تاييس الفاجرة ! تاييس القديسة

ثمن النسخة ١٠ قروش

الزنبقة الحمراء

(قصة مزينة بنحو ثلاثين صورة)

بقلم الـكاتب العظيم **اناتول فرانس**

تعريب الاستاذ احمد الصاوي محمد

مع مقدمة بقلم كاتب الشباب النابه **الاستاذ منصور فهمى**

عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية

لم ينتشر كتاب في الحكمة انتشار كتاب « تاييس »، كما لم ينتشر كتاب فى الحب انتشار كتاب « الزنبقة الحمراء » ، ويكفي أن تعلم أن الترجمة العربية لهذه القصة منقولة عن الطبعة السابعة والثمانين بعد الأربعمائة !! فتأمل !!

وقديمًا وصف « شكسبير » نابغة الدهر الغيرة بانها : تلك الخليقة الشوهاء ذات العيون الخضراء التي تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس ! وقال : أن الرجل الذي يثلم عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليـه سعيد بجانب ذلك الذى يقضى الدقائق الجهنمية شغفًا ، الاّ انه مستريب ، عاشقًا أشد العشق ، ولـكن تساوره الشكوك . . .

وحديثا ، بعد ثلثمائة عام ونيف ، جاء أناتول فرانس ، افلاطون العصر ، فحلل الغيرة في قلب رجل العصر ، الرجل الباريسى ، باسـلوبه الرقيق الجزل البليغ المداعب الاخّاذ بمجامع القلوب .

فلن تجد في هذه القصة عبث اطفال وغرام أيفاع . كلا ! انك ستجد الرجل الغيور المستهام وكيف يتعذب و يعمل على تكوين حزنه وضجره . كما انك ستجد المرأة بكل انوثتها القوية المستكملة لا سلطان عليها الاّ سلطان الهوى — هوى عقلها وفؤادها وجسمها . .

والى غير هذا الغرام والغـيرة تجد أحاديث اخرى فيّاضة طليّـة طريفة ساحرة . . منها فصل معقود على « نابليون » الذي يراه المؤلف مشوراً بسرقة

علب النشوق المرصّعة من النبلاء !!! ثم حديث « فلورنسا » الجميلة ، والفنون الجميلة ، والاشتراكية ، والزواج . الخ الخ

الزنبقة الحمراء ! انهـا نداء صارخ عميق الى الحب كأنه هدير البحر ! فترى الحب ، ذلك الطاغية الجبار ، آتياً ملبياً النداء تهتز لقدومه الكائنات . . . فيطلع الفجر مبرقعاً بنشوة الحب الأولى ، ثم تشتعل ناره ويشتد أواره حتى تأتي الغيرة فترخي بيدها على الغرام ستار ليل الهجر الأبدي . . . فياله من مشهد مهيب ترتعد من هوله الفرائص ويغلب الأسى العيون فتذرف الدمع الهتون ! . . .

الزنبقة الحمراء ! انها كتاب الحب ! وهل كتاب الحب الاّ كتاب الحياة ؟ ؟ ؟

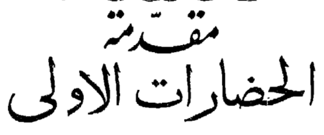
ثمن النسخة ١٥ قرشاً مصرياً و ٢٠ قرشاً على ورق خاص ممتاز والبريد ٤ قروش



تأليف الدكتور غوستاف لوبون

نقله الى العربية الاستاذ محمد عادل زعيتر

كتاب اجتماعي يبحث فى مبادىء الاشتراكية ونفسية انصارها ، وعن كونها معتقداً ، وعن اختـلافها باختلاف الشعوب ، وعما بين مقتضيات الاقتصاد من التباين ، وعن المبادىء الديموقراطية ، ورغائب الاشتراكيين ، وتطور المجتمعات فى الوقت الحاضر ، ومصير الاشتراكية . ثمنه ٢٥ قرشاً



تأليف العلامة الحكيم غوستاف لوبون

لما ألف الدكتور غوستاف لوبون كتابه في حضارات المصريين ،والأشوريين

والفينيقيين ، والفرس وغيرهم ، وضع له مقدمة هي بالنسبه الى تاريخ الامم القديمة بمنزلة مقدمة ابن خلدون بالنسبة الى تاريخ الامم الاسلامية ، فأرسل هذا الفيلسوف بنظره الثاقب في تاريخ الحضارات الاولى واستعان على ذلك بسياحاته الكثيرة واستنتج من كل ذلك حقائق في فلسفة التاريخ بناها على قواعد علم النفس وعلى النواميس المقررة في العلوم الكونية ، فأصبح كتابه المرجع في كشف النقاب عن كيفية اشراق شمس الحضارة في شعوب البشر وتدرجها في سلم الرقي . مطبوع طبعاً متقناً في ١٢٧ صفحة كبيرة على ورق صقيل وثمنه ٨ قروش

الحضارة المصرية

للدكتور غوستاف لوبون

هو أول كتاب (الحضارات الاولى) بعد المقدمة الاجتماعية العمرانية التي تقدم وصفها . وفيه كلام على بيئة المصريين وجنسهم ، ومصادر تاريخهم القديم ، ولغتهم ، وكتابتهم ، وديانتهم ، ونظمهم السياسية والاجتماعية ، واخلاقهم وعاداتهم ، وقانونهم ، وعلومهم وصناعتهم ، وادبهم ، ومؤلفاتهم ، ومبانيهم – فاذا كنت من المهتمين بالتاريخ ، خصوصاً تاريخ مصر فاقرأ هذا الكتاب وثق بانك ستجده من اثمن ما كتب في موضوعه – وقد حليناه بكثير من الصور اللازمة لفهمه مأخوذة عن الأصل الفرنسي – ثمنه ١٠ قروش

حصاد الهشيم

تأليف الكاتب الشهير الاستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

لا حاجة بنا الى ترغيب القارىء في اقتناء هذا السفر النفيس فمؤلفه اشهر من نار على علم . والكتاب يُعدّ درة في تاج المطبوعات العربية . مطبوع طبعاً نفيساً على ورق صقيل وعدد صفحاته ٤٣٠ ولترويجه جعلنا ثمنه ١٠ قروش فقط

نظرية التطور

وأصل الانسان

تأليف الكاتب الكبير الاستاذ

سلامه موسى

ليس بين الالفاظ الان ما هو اكثر وروداً على اقلام الكتاب و المؤلفين من لفظ «التطور» ولا يمكن قارئاً يحترم نفسه أن يهمل فهم مدلول هذه اللفظة وادراك النظرية التي تقول بها

والتطور ليس نظرية فحسب بل هو نزعة نزعت اليها العلوم والآداب والفلسفة. بل لا يمكن أن نجاري الثقافة الحاضرة ونساير العلماء في أرائهم ما لم نفهم هذه النظرية ونقتنع بها

ليس في العالم العربي منذ أن مات الدكتور شبلي شميل من يدعو الى هذه النظرية بنشاط وهمة مثل الاستاذ سلامه موسى * فهو يكتب عنها بأسلوب مغر و يأتي بأمثلة مألوفة تعين القارىء على فهمها . وقد وضع كتاب « نظرية التطور وأصل الانسان » فى نحو ثلاثين فصلا يتضمن النصف الأول من الكتاب فصولا عن تطور الاحياء الى ظهور الانسان . والنصف الثاني يحتوى على ١٥ فصلا خاصة بتطور الانسان الجسمى والعقلى والاجتماعى . والكتاب موضح بنحو خمسين صورة فريدة تساعد القارىء على فهم الموضوع

وثمنه ١٠ قروش

---

* والاستاذ اسماعيل بك مظهر الذي يعرفه قراء المجلات الشهرية ومترجم كتاب اصل الانسان ومؤلف كتاب ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء الجاري طبعه في مطبعتنا

عامة عن هذه الأمراض وكيفية التعرض للعدوى بها وطرق معالجتها وأحسن ما يتبع عمليًا لمنع العدوى بها . كتاب حيوى للشبان والشابات يفهمهم الاخطار التى يتعرضون لها من أول التقبيل الى . . . . . . ويفهمهم واجبهم الادبي والصحى لتحاشى هذه الاخطار .

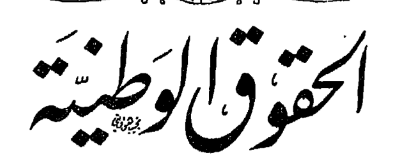
يقع هذا الكتاب فى ٣٢٣ صفحة بالقطع الكبير وبه أكثر من ٦٠ صورة تمثل المرض فى الاعضاء التناسلية عند الذكور والاناث وثمنه ثلاثون قرشًا مجلداً بقماش

التربية الاجتماعية

تأليف الاستاذ على فكرى

أمين دار الكتب المصرية

ظهر هذا الكتاب حديثًا وقد جمع من الحقوق والواجبات والآداب الاجتماعية ما يعرف به المرء ما له وما عليه ليعيش في راحة بال واسعد حال : وهو أول كتاب في موضوعه ، ثمنه ١٠ قروش مصرية



تأليف الاستاذ فرنسيس ميخائيل

الغرض منه تعليم الطالب مقتطفات من النظام الاجتماعي ليلم بحقوقه وواجباته نحو أبناء وطنه ويقف على القوانين والانظمة التي تجري على بلاده ويطلع على حدود السلطة التنفيذية والقضائية وما يتمشى عليه دستور وطنه – يقع في ٧٠ صفحة وثمنه ٣ قروش والبريد قرشان

أناتول فرانس

في مباذله

تأليف جاك بروسون

مع خلاصة كتاب

« محادثات مع أناتول فرانس ، لنيقولا سيغور »

وزبدة ما قالتهُ الجرائد الفرنسية في فرانس يوم وفاته

نقلهُ الى العربية وصدرهُ بمقدمة وعلق عليه بعض حواش

كاتب الشرق الأكبر صاحب العطوفة

الأمير شكيب ارسلان

من أعضاء المجمع العلمي العربي

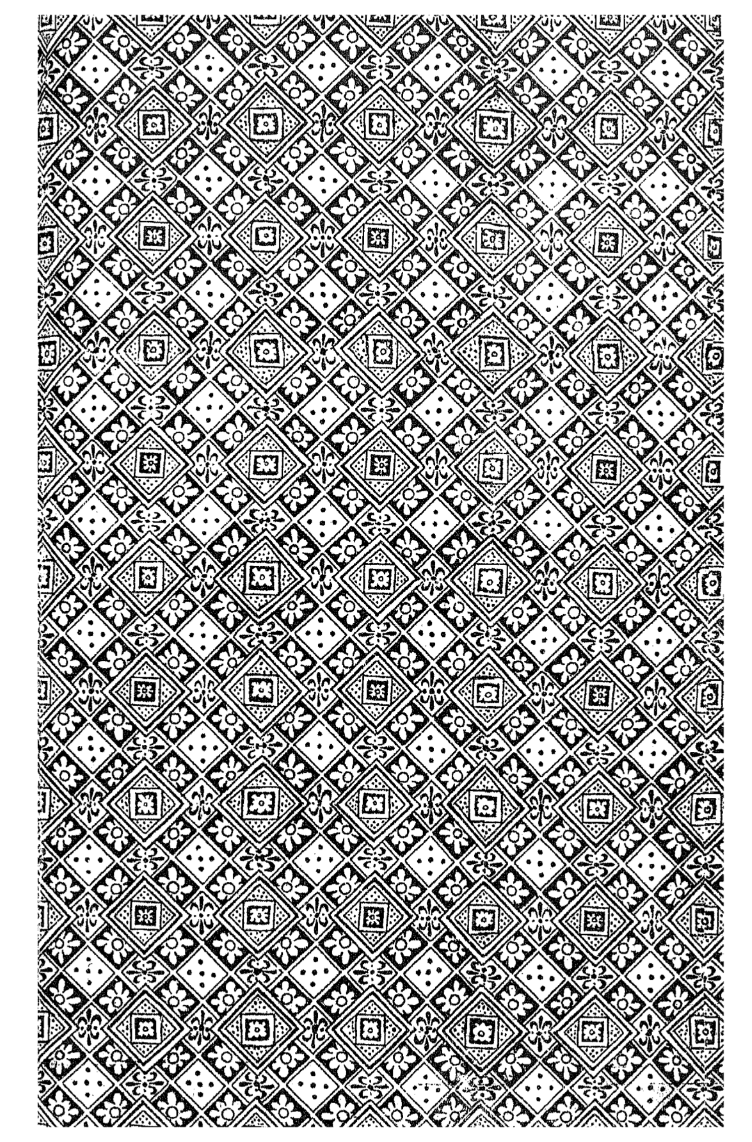
وقد حليناه بما يزيد عن المائة والخمسين صورة وطبعناه على ورق جميل وجعلنا ثمن النسخة ٢٥ قرشاً ، وطبعنا منه نسخاً قليلة على ورق ممتاز وثمنها ٣٠ قرشاً فقط

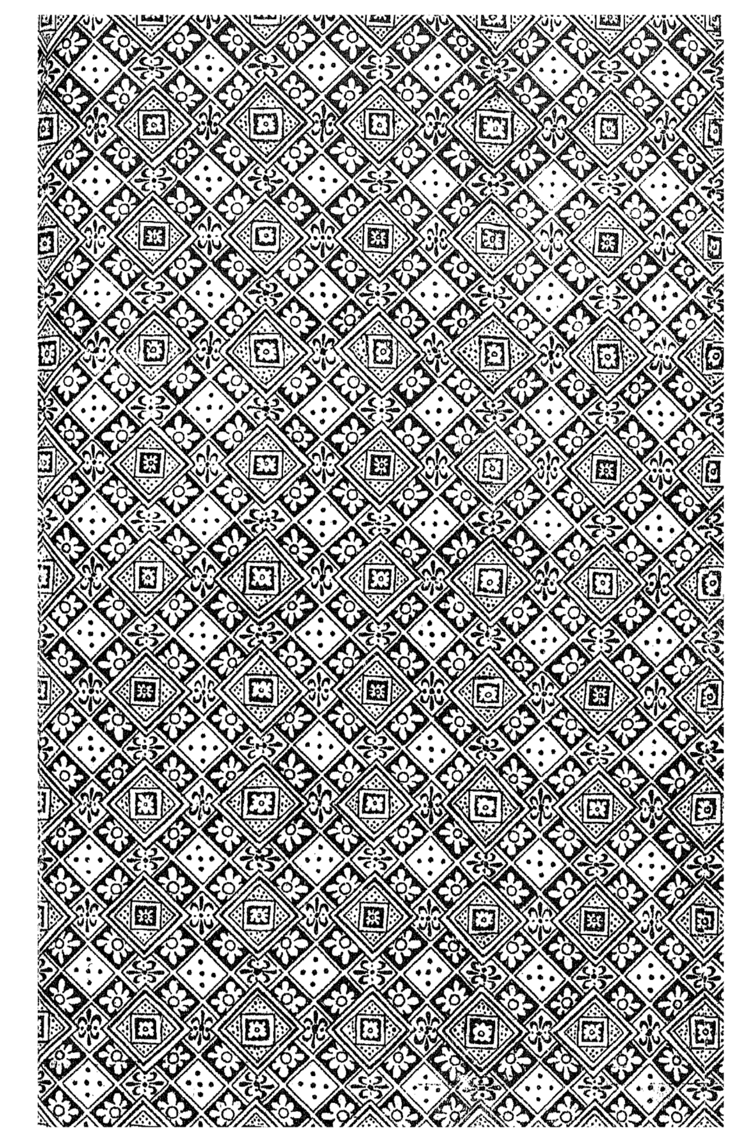


تأليف حضرة

الدكتور محمد عبد الحميد بك

هذا كتاب يجب ان يطلع عليه كل معلم ووالد وتلميذ ، وحباً في تعميم فائدته قد جعلنا ثمنه ١٠ قروش م؟






Bibliotheca Alexandrina
0249179